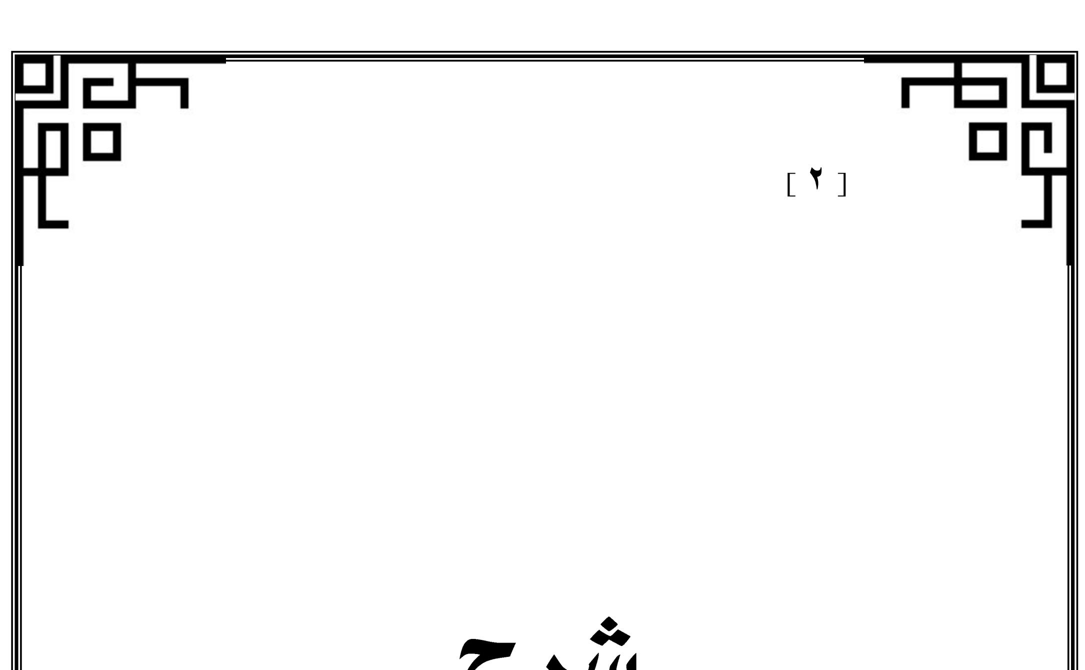


شرح
كتاب التوحيد

للشيخ



ح ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تم شرح هذا المتن خلال الفترة من ١٤٣٢/٨/١٥هـإلى ١٤٣٢/٨/٧هـ
في المسجد النبوي الشريف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فهذا كتاب اسمه «**كتاب التوحيد الذي هو حق الله تعالى على العبيد**» ومصنفه هو الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي، المولود سنة ألف ومئة وخمسة عشر عامًا من الهجرة، وولد في بلدة العيينة، وهي تقع شمال الرياض بقرابة خمسين كيلو مترًا تقريبًا، وترعرع فيها، وبيته بيت علم فوالده كان قاضيًا رحمه الله .

وكان على نهج السلف الصالح، ومنذ نشأته وهو ناشئ على الذكاء، والحذاقة، والنباهة، وقوة الحفظ، فقد حفظ القرآن وعمره عشر سنوات، بل إنه بلغ في سن مبكرة الحلم، فقد بلغ وعمره عشرة أعوام، وتنقل رحمه الله بعد أن تزود العلم من والده ومن علماء أهل بلده انتقل إلى الأحساء لتزود من العلم، وسافر إلى الحجاز، وتوجه أيضاً إلى العراق، وصنف كتابه هذا في البصرة.

وكان رحمه الله نهجه في دينه اقتفاء السلف الصالح، فلم يأتِ بشيء من عنده من تلقاء نفسه، بل كان حريصًا على إتباع الكتاب والسنة، لذلك يكثر في مصنفاته من ذكر الدليل سواء من الكتاب أو من السنة، فمثلاً في ثلاثة الأصول، وهو متن ليس بالواسع فيه أكثر من مئة دليل، وملأ كتابه هذا كتاب التوحيد من الأدلة من الكتاب والسنة – كما سيأتي – لهذا لم يكن لأخصامه عليه مدخلاً في أنه أتى ببدع من الدين، بل كل ما أتى به من الكتاب والسنة أو باستنباط منهما على نهج سلف هذه الأمة .

وعاش رحمه الله في حياته داعيًا ومصنفًا وعابدًا لله سبحانه، فكان داعيًا وهو منذ صغره يدعو إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ، وآزره الإمام محمد بن سعود رحمه الله، وأيَّده ونصره، ومنع أحد منه أن يعتدي عليه، أو أن يؤذيه، فقامت دعوته المباركة على هذا النهج السديد.

وكان يصنف مع دعوته، ولم يكن هناك فن من فنون العلم إلا وقد صنف فيه، ففي الحديث مثلاً أَلَّف كتابًا في الأحكام، وهو من أكبر الكتب المصنفة فيه، وأضاف فيه ما لم يضف غيره، من علامات الساعة في آخره وغير ذلك، واختصر أيضاً فتح الباري.

وفي الفقه: اختصر الشرح الكبير لابن قدامة والانصاف، وألف شروط الصلاة، وآداب المشي إلى الصلاة.

وفي العقيدة: ألَّف القواعد الأربع، وثلاثة الأصول، وكتابه هذا العظيم كتاب التوحيد، وألَّف كشف الشبهات الذي هو خلاصة دعوته فيما ألقاه أخصامه من شبهات، وهو يعتبر مختصر لكتاب التوحيد.

وامتاز رحمه الله في تصنيفه، بسهولة العبارة ليفهم المخاطبون ما يريد، وامتاز أيضاً رحمه الله بذكر دليل ما يذكره من المسائل؛ ليكن المستمع أو القارئ يأخذ ما ذكره لك بيقين؛ لأنه أعطاك شيء من الكتاب والسنة.

ومما امتاز به رحمه الله أنه يجمع شتات المسائل، فمثلاً ثلاثة الأصول لا تجد مصنف قط يذكر فيه المسائل الثلاثة العظيمة، معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام، فهو جمع هذه الثلاثة المسائل، وجعل في كل مسألة عليها أدلة، وصنف في كل مسألة ما يتفرع منها، بل ويزيد في كل مسألة ما يذكره الدليل .

وكان رحمه الله من أخلاقه وصدق دعوته فيما يخاطب به غيره، أنه يدعو لأخصامه في السجود، كذلك في بعض رسائله يكتب لأخصامه، وأنت ممن أدعو له في سجودي بأن الله يهديك، وكان يعفو عن أخصامه ممن يؤذيه، أو يخالف دعوته، أو يؤلب عليه، ولا ينظر إلى مثل ذلك.

وكان محبا لهدي النبي ﷺ كثيرًا، بل إنه سما أولاده بما سمى به النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أولاده وأحفاده، فأولاده علي، والحسن، والحسين، وإبراهيم، وعبدالله. فهؤلاء هم أسماء أولاد أو أحفاد النبي ﷺ ، وليس له سوى بنت

واحدة، وسماها باسم بنت النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فاطمة، ولهذا يقال لا تجد بيتا من أهل نجد في التسمي بأولاد النبي ﷺ مثل بيت الشيخ رحمه الله وبيت أحفاده، ولهذا لا مطعن فيما يقال عنه: بأنه لا يحب النبي ﷺ، أو أنه جاف للنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أو أنه مبتعد عن دعوته، بل حتى أولاده سماهم بأولاد أو أحفاد النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

ومن رأفته بما رآه مما تعلق به أهل بلده أو غيرهم مما انتشر فيهم الشرك، أنه ذهب إلى الملتزم في الكعبة، والتزم عند الكعبة في مكان الملتزم، ودعا ربه بأن يظهر دعوته، وأن يكتب لها القبول، فاستجاب الله عز وجل له دعوته، فانتشرت دعوته بتجديد من درس من معالم الإسلام في عصره إلى الآفاق، فقد كان عصره عصر قد أوغل في الشرك، بل أتوا بأعظم مما أتى به أبو جهل، فوصلوا إلى عدم طلب الشفعة والشفاعة أو الزلفى، بل جعلوهم أولياء من دون الله : أي يدعونهم، لا يطلبون منهم الوسيلة أو الزلفى، وإنما يدعونهم كإلهًا من دون الله، وكانت إذ ذاك ديار نجد وما حولها منتشر فيها الشرك من عبادة الأحجار والأشجار، فضلاً عن القبور، فرحمة من الله سبحانه بأهل بلدته ومن بعدهم أن بعث هذا الإمام المجدد؛ لبيان التوحيد، وإحلال النور مكان الظلام، والتوحيد بدل الشرك.

ولهذا من أتى بعده في تلك الديار أو منتشر في الآفاق للشيخ رحمه الله حق عليه؛ لأنه أنقذ أهله وآباؤه - بفضل الله - من الشرك، وإلا لكان آباؤه ومن بعدهم إلى عصرنا، ونحن نطوف حول الأوثان ونحو ذلك، إلا تداركنا الله برحمته.

وأوذي كثيراً في دعوته، وهذا نهج الأنبياء في الإيذاء، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] فهذه سنة الله سبحانه فيما دعا إلى التوحيد، يؤذَ لرفعة درجاته، ولتساقط أهل الباطل مع باطلهم، ويبقى الحق ناصعاً مخلصاً.

وبعد عمر جهيد من الدعوة والتصنيف والعبادة أمد الله ﷻ في عمره إلى عام ألف ومئتان وستة، ثم توفي رحمه الله في ذلك العام، وقد عمَّر رحمه الله ، فقد بلغ من العمر حين وفاته واحد وتسعين عاماً رحمه الله .

هذه حياة الشيخ باختصار، وما قدمه لهذه الأمة رحمه الله رحمة واسعة .

وأقل ما يقدمه المسلمون له: الدعاء له، ونشر مصنفاته، والذَّبِّ عنه فيمن يجهل حاله وحال دعوته للوقوع فيه.

وأما كتابه هذا الذي اسمه «**كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**» فهو من أجمع إن لم يكن أجمع ما صنف في هذا الباب، بل إن الشخص لو اختصر على مسائل توحيد الألوهية على هذا الكتاب واعتقد بما فيه، فإنه - بإذن الله - يغنيه عن بقية الكتب في توحيد الألوهية.

وقال في حاشية كتاب التوحيد: (**ليس له نظير في الوجود**).

(١) سورة فاطر: ٢٥.

وموضوع هذا الكتاب، يعني ما الذي اشتمل عليه هذا الكتاب؟

اشتمل على بيان ما بعث الله ﷻ الرسل، من بيان التوحيد، وما ينافيه بالكلية من الشرك الأكبر، أو ما ينافي كماله الواجب من الشرك الأصغر، أو ما يقدح في التوحيد من البدع، أو ما ينقص من التوحيد، وهو المعاصي، وذكر وسائل وذرائع المؤدية إلى الشرك، والمراد بالمعاصي التي ذكرها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد، هي: معاصي الشبهات لا معاصي الشهوات، معاصي الشبهات - كما سيأتي - من تعليق التمائم مثلاً، أو من حل السحر فيما يشتبه على بعض الناس، وغير ذلك كما سيأتي إنشاء الله .

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : (**إن معاصي الشهوات إذا زادت تكون شبهة**) والمصنف رحمه الله في هذا الكتاب ذكر أنواع التوحيد الثلاثة كما سيأتي، ذكر توحيد الربوبية، وتعظيم الله ﷻ ، ومنع الأسماء التي لا تليق إلا به سبحانه وتعالى كأبي الحكم، كما سيأتي، وذكر أيضاً توحيد الأسماء والصفات، وجعلها في آخر كتابه، وأكثر من توحيد الألوهية في هذا الكتاب لأمرين :

الأمر الأول : بأنه هو الذي دعت إليه الرسل .

الأمر الثاني : لكثرة وقوع الناس في عصره فيما يناقض توحيد الألوهية.

وهذا الكتاب العظيم المفيد المختصر حفظته الأجيال من بعد الشيخ رحمه الله إلى يومنا هذا؛ لعظيم فائدته، وتوالى عليه العلماء بالشرح، وأول من شرحه حفيده

رحمه الله الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن الوهاب في كتابه: «**تيسير العزيز الحميد**» ووصل فيه إلى آخر باب ما جاء في منكري القدر، ولم يكمله؛ لأنه قتل شهيداً صغيراً، وعمره ثلاث وثلاثون عاماً فقط.

ثم بعد ذلك أتى حفيده الآخر، وهو الشيخ عبدالرحمن بن الحسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فهذب وأكمل ما لم يكمله ابن عمه سليمان المحدث إلى نهاية كتاب التوحيد، ثم بعد ذلك تتابع العلماء في شرح هذا الكتاب العظيم، مثل شرح ابن عتيق رحمه الله، ومثل شرح قرة عيون الموحدين، ومثل كتاب حاشية ثلاثة الأصول، وهكذا.

وهذا الكتاب نصح ولا يزال ينصح به العلماء بحفظه، ومعرفة ما فيه؛ لاشتماله على مسائل كثيرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

اكتفى المصنف رحمه الله على البسملة في أول كتابه، ولم يضع مقدمة له؛ ليكون جميع ما في هذا الكتاب فقط من الكتاب والسنة؛ حتى لم يكن قد وضع من عنده ولا حرفاً واحداً، فلم يقل: وضعت في هذا الكتاب أو خصصت أو استدليت، ولا شيء شيئاً من ذلك، وإنما قال: **بسم الله الرحمن الرحيم** كتاب التوحيد؛ لئلا يقال: أن الشيخ قد أتى بشيء من تلقاه نفسه، فاختصر على البسملة، واختصر على البسملة تأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته، واقتداء بالقرآن العظيم، فأول ما فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين .

ومعنى: **بسم الله الرحمن الرحيم**

(الباء) هنا للاستعانة والتبرك، يعنى مثلاً: تريد أن تفتح الباب تقول: بسم الله، يعنى: أتبرك بسم الله عند ذكري في فتح الباب حال كوني مستعيناً بالله، يعني: أنا استعين بالله في فتح الباب، وأتبرك بسم الله عند فتح الباب.

فإذا قيل هل ذِكر بسم الله تحل البركة بهذا ؟

نقول: نعم، بل قد لا يجوز لك أن تأكل شيئاً إلا إذا ذكرت اسم الله، فمثلاً عند الصيد أو الذبيحة لا يجوز أن تأكلها إلا إذا ذكر اسم الله عليها، كما قال سبحانه ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[1] وقال ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ

---

(١) سورة الأنعام: ١٢١.

ﭐللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾[1] فوجود اسم الله علي الشيء تحل به البركة، بـل تجعـل المحـرم بعيـداً عنه، وكذا عند دخول المنزل تقول: بسم الله، وعند الخروج تقول: ما ورد، وعنـد دخول المسجد تقول: بسم الله، وكذا الخروج.

والباء متعلقة بمحذوف، وهو الفعل، بمعنى: لا تقول آكل بسـم الله، وإنـما حذف الفعل آكل، مثلاً أو أشرب، وجعل الأمر معلقاً بـالله ﷻ مبـاشرة، تقـول: بسم الله، والفعل محذوف، وبسم الله الاسم مأخوذ من السمو والارتفـاع، أو مـن العلامة، يعني: هذا الأمر وضعت عليه علامة بأني طلبت البركة به، وأنا مسـتعيناً به سبحانه، وما فعلته فيه سمو وارتفاع لي .

(ﭐللَّهِ) : هـذا علـم عليـه سـبحانه لا يطلـق إلا عـلى الله ﷻ وهـو اعـرف المعارف واسماء الله ﷻ تنقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : لا يجوز إطلاقه إلا على الله ﷻ مثل (**الله ــ القدوس**) .

القسم الثاني : يطلق على الله وعلى غيره مثل (**الحكيم ــ الكريم**) .

القسم الثالث : عند الإطلاق لا ينصرف إلا على الله ﷻ مثل (**الرب**).

فإذا قيل: الرب فـلا يطلـق إلا عـلى الله ﷻ، وإذا أضـيف عـلى حسـب مـا أضيف إليه.

---

(١) سورة الأنعام: ١١٨.

فإذا قيل: هذا رب المال، يعني: صاحب المال، أو هذا رب الدار، يعني: هذا صاحب الدار

القسم الرابع : يجوز إطلاقه على الله ﷻ وعلى غيره، ولكن الأولى عدم إطلاقه إلا على الله، مثل (**السيد**)، وذلك لما قيل للنبي ﷺ : أنت سيدنا وابن سيدنا فقال : «**إن الله هو السيد**»، ومثل الكنى، لما غير النبي ﷺ كنية رجل من أبي الحكم إلى أبي شريح .

فهذه الأقسام الأربع في الإطلاقات على الله ﷻ .

(ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ): هذان اسمان من أسماء الله ﷻ لصفة الرحمة.

قال ابن عباس: (**الرحمن الرحيم اسمان رقيقان يعني: واسعان أحدهما أرق من الآخر يعني: أوسع من الآخر**) .

فإذا قيل ما الفرق بين الرحمن والرحيم ؟

الفرق الأول : الرحمن لا يجوز إطلاقه إلا على الله ﷻ، أما الرحيم يجوز إطلاقه على الله وغيره، فتقول: أنت رجل رحيم، ولا يجوز أن تقول: أنت الرحمن، ولكن لو أضيفت كلمة رحمن بالإضافة يجوز كرب، فتقول: هذا رحمان هذه البلدة ، ويقال: هذا رحمان اليمامة، وهكذا .

الفرق الثاني : أن الرحمن دال على الصفة المتعلقة بالله، والرحيم دال على

تعلقها بالخلق، مثلاً شخص أوشك على الهلاك ثم عوفي، فتقول: هذا رجل تداركته رحمة الله، فالرحمن دال على الله، والرحيم أثر هذه الرحمة على المخلوق.

الفرق الثالث : اسم الرحمن أوسع من الرحيم، كما قال ابن عباس فهو شامل للكفار وللمؤمنين، وأما الرحيم فهو خاص بالمؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[1] فاسم الرحمن عام للجميع في الدنيا، وأما الرحيم فخاص في الآخرة، لذلك إن شئت قلت: إن الرحمن اسم تعلقه بالصفة في الدنيا وفي الآخرة، أما الرحيم فقط اسم تعلقه يكون مع الدنيا للآخرة، أيضاً فهو خاص فقط الرحيم بالمؤمنين في الآخرة، فهذا هو الفرق بين الرحمن وبين الرحيم .



(١) سورة الأحزاب: ٤٣.

كتاب التوحيد

(**كتاب**): الكتاب مأخوذ من الكتب وهو الجمع، فكل من جمع شيئاً يقال: له كتبه، فمن جمع مثلاً تمراً يقال هذا مكتوباً من التمر، وكذا من جمع الحروف وصنف يقال هذا كتاب، وجرت عادة المصنفين من العلماء أن يضعوا الأكبر الكتاب ثم الباب ثم المسألة، وهذا ما صنعوه المصنف ﷺ في كتابه ، فجعل كتاباً هو أم الكتاب وما بعده، ووضع مسائل في نهاية كل باب .

(**التوحيد**): مصدر وحد يوحد توحيداً يعني: هذا كتاب أذكر فيه ما هو الواجب في توحيد الله ﷻ، والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وتقسيمه استقراه السلف رحمهم الله في ظهور المخالفين، فإذا ظهر مخالف يصح أن نجعل قسماً لتوحيد لرد عليه، وجميع أقسام التوحيد سواء الثلاثة أو ما يزيد به المخالف – كما سيأتي- من توحيد الذات، أو توحيد الطاعة، كلها ترجع إلى توحيد الربوبية، فتوحيد الربوبية هو الأم في التوحيد .

وتعريف توحيد الربوبية : هو إفراد الله بأفعاله يعني: كل فعل من الله مثل الخلق والرزق والإماتة والإحياء نفردها لله وحده، فلا نقول: الذي يحيي هو غيره، ولا نقول: الذي يميت هو غير الله، فمن قال مثلاً: أن الله هو الذي ينزل

المطر، نقول: أنت أفردت الله بفعله، فالفعل هو إنزال المطر، وأنت نسبة هذا الإنزال لله هذا توحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية لم ينازل فيه أحد، فأبو جهل ومن معه من كفار قريش ومن قبلهم ومن بعدهم يقرؤون بهذا التوحيد، لأنه لا يمكن إنكاره، لذلك قال سبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[1] . ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾[2] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[3] فهم لا ينكرون توحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية لا يكفى في دخول الجنة والنجاة من النار، بل لابد من إتيان بنوعي التوحيد معه: توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات .

وتوحيد الربوبية يسمى: التوحيد الخبري، يعني: تخبر عن الله بأن الذي أنزل المطر هو الله، ويسمى توحيد المعرفة، فأنت عرفت بأن الذي أنزل المطر هو الله، فيسمى توحيد الربوبية توحيد المعرفة والإثبات.

والدليل على أن توحيد الربوبية هو الأصل في التوحيد، قوله سبحانه:

---

(١) سورة العنبكوت: ٦١.

(٢) سورة سبأ: ٢٤.

(٣) سورة لقمان: ٢٥.

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾[1] وقال ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾[2] فهذه في توحيد الربوبية ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾[3] في توحيد الألوهية .

القسم الثاني : توحيد الألوهية : هو إفراد الله بأفعال العباد، يعني: تفرد عملك من الصلاة تجعلها خاصة بالله، لا تجعل معها اثنين، الله وغير الله، لذلك قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[4] وإنما يفرد وتصلي لله، وتقرأ القرآن لله، هنا أفردت عملك لله، فهذا توحيد الألوهية إفراد الله بأفعال العباد، وكذا تطلب العلم من أجل الله، هذا إفراد الله بفعل العبد، وهو طلب العلم، وأفردت الله بالقصد في قلبك

ويسمى: توحيد الألوهية توحيد الطلب، وتوحيد القصد، توحيد الطلب يعني: تطلب عملك هذا لله، ويسمى توحيد القصد يعني: أقصد في صلاتي هذه رب العالمين وحده.

وتوحيد الألوهية هو الذي من أجله بعث الله ﷻ الرسل، وإلا فكانت الأرض

---

(١) سورة الفلق: ١-٢.

(٢) سورة الناس: ١-٢.

(٣) سورة الناس: ٣.

(٤) سورة النحل: ٥١.

على التوحيد؛ لذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾[١] يعني: لا تفسدوا في الأرض بالشرك بعد إصلاحها بعد ما كانت صالحة بالتوحيد، ولما وقع الشرك فيها بعث الله ﷻ الرسل من نوح عليه السلام إلى محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لبيان هذا التوحيد لذلك قال سبحانه: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[٤].

وقال الله ﷻ عن نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[٥] ما في توحيد الربوبية يدعونهم توحيد الألوهية لأنهم مقرؤون بتوحيد الربوبية وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[٦] وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا

---

(١) سورة الزخرف: ٤٥.
(٢) سورة سبأ: ٢٤.
(٣) سورة الأنبياء: ٢٥.
(٤) سورة النحل: ٣٦.
(٥) سورة الأعراف: ٥٩.
(٦) سورة الأعراف: ٦٥.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[1] جميع دعوة الرسل من أجل توحيد الألوهية .

والقسم الثالث من أقسام التوحيد: توحيد الأسماء والصفات.

ومعنى توحيد الأسماء والصفات : إثبات ما أثبته الله لنفسه يعني: من الأسماء والصفات، وما أثبته له رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا من غير تكيف ولا تمثيل.

من غير تحريف: ما أحرف المعنى، فأقول: يد النعمة، وإنما نثبت اليد لله.

ولا تعطيل: فلا نقول: أن الله ﷻ لا يسمع، تعالى الله عن ذلك.

ومن غير تكيف: لا أثبت صفة لله على كيف أنا، فلا أقول مثلاً: يد الله مثل يد فلان، تعالى الله عن ذلك، أو يد الله مثل كذا، فهذا تكيف، أو أقول يد الله كيفيتها كذا وكذا، أكيفها من غير إثبات لمخلوق.

ولا تمثيل يعني: أمثل هذه الصفة بشيء من مخلوقاته، فيقول مثلاً: سمع الله مثل سمع فلان، تعالى الله عن ذلك وهكذا، ونفي ما نفاه الله ﷻ لنفسه وما نفاه له رسوله ﷺ من توحيد الأسماء والصفات .

ولا يكون العبد موحداً إلا إذا أتى بجميع هذه الأنواع الثلاثة، فلا يكفى

---

(١) سورة الأعراف: ٧٣.

أن يكون مقراً بتوحيد الربوبية، بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ويخل بتوحيد الألوهية، فيطوف على القبر مثلاً، ولا يكون الشخص موحداً فيقر مثلاً بأن الله الخالق الرازق المدبر، ويصلي لله، ويعبد الله، ويقول: ليس لله أسماء ولا صفات تعالى الله عن ذلك، لذلك قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1] فسماهم ملحدين حتى ولو أتوا بتوحيد الربوبية أو بتوحيد الألوهية.

وتوحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية، ومعنى هذا الكلام: أن الشخص إذا كان يقرر بأن الله هو الذي يرزقه ويميته ويحيه، فيلزم من ذلك أن تعبدوه.

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية يعني: إذا صليت لله وحده، فيدخل في ضمن هذا المعتقد أن الله الخالق الرازق المحي المميت، يعني: لا يجحد هذه العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية .

وإذا ظهر مخالف في المعتقد في التوحيد لا بأس بإفراد توحيد للرد عليه، فابن القيم ﷺ قال: (**يسمى توحيد الذات لما قال النصارى إن الله ثالث ثلاثة**) فنثبت ذاتا واحدة لله، فلا بأس أن يسمى توحيد الذات، وكذا توحيد الطاعة.

(١) سورة الأعراف: ١٨٠.

فلو قال شخص أنا أطيع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأطيع غيره في التشريع وهكذا، نقول: لا عليك بتوحيد الطاعة، فوحد طاعتك لله ﷻ باتباع النبي ﷺ هذا الآن التوحيد قد انتهى . وضد التوحيد الشرك .

وتعريف الشرك: دعوة غير الله معه، فمثلاً لو قال شخص: يا فلان صاحب القبر ارزقني، أنت دعوة مع الله غيره، أو قلت يا صاحب القبر اغفر لي - والعياذ بالله - دعوة مع الله، وهذا شرك، وهذا التعريف دعوة غير الله معه أقصر تعريف للشرك ، وذكره الشيخ رحمه الله في القواعد الأربع.

وتعريف آخر ومعناه واحد : وهو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله ، مساواة غير الله بالله يعني: عبادة لا تصرف إلا لله، فأنا أصرفها لغيره، وهذه العبادة لا تصرف إلا لله، فمن صرف شيئاً لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(١)].

(**وقول الله تعالى**) يعني: يصح بالرفع على أنه مبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف، وهذا قول الله، أو قول الله كذا، ويصح بالجر على أنه معطوف على التوحيد .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ استفتح المصنف رحمه الله كتابه بهذه الآية؛ لبيان أن الله ما خلقك إلا لتوحده، فعرف مالذي خلقك الله عز وجل من أجله، وهو التوحيد فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ يعني: ما خلقتهم إلا لآمرهم أو أنهاهم، ليوحدوني، فالله عز وجل فعل الأول، وطلب من الخلق فعل الثاني.

ويقال الحكمة من خلق الخلق: العبادة، ولا يقال المصلحة من خلق الخلق العبادة، فإذا قيل المصلحة كأن الله ينتفع بعبادة الخلق، والله عز وجل غني عن عباده، فهو خلقهم لا ليستكثر بهم من قلة، ولا ليتقوى بهم من ضعف، وإنما خلقهم لحكمة هي: أن يعبدوه، وهم إن قصروا في عبادته سبحانه هم الذين يتضررون من ذلك، فدل على أن كل واحد محتاج لله سبحانه، ولا يستغني عنه طرفة عين، والله لكرمه من عبده أدخله الجنة، ومن أشرك به غيره عذبه سبحانه وتعالى

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

بعدله، فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

قال ابن عباس: (**كل آية وردة في كتاب الله يعبدون يعني يوحدون**)، فإذا كان الله خلقك من أجل التوحيد يجب أن تعلم ما هو التوحيد .

(١) سورة الذاريات: ٥٦ .

وقوله : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[١] الآية.

ساق المصنف رحمه الله هذه الآية؛ لبيان أن دعوة الرسل جميعاً للحكمة التي خلقهم الله عز وجل له وهي العبادة، فلما قال لك المصنف الله خلقك للعبادة، وأن الرسل بعثوا من أجل هذه العبادة، لذلك قال: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ ﴾[٢] وهذا من فضل الله عز وجل أنه لم يدع أمة إلا وأرسل إليهم رسولا، بل من جنسها، بل من لسانهم، لذلك قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[٣] وجعلهم من جنسهم، فلم يبعث للإنس رسولا من الجن، وإنما بعث لهم رسولا من أنفسهم يكلمونه ويكلمهم، ويجالسونه ويجالسهم، ويؤاكلوه ويؤكلوهم، ويسألوه ويسألهم، ويتبعوه، ويقتفون أثره، وهكذا ، ولو كان هناك بلدة كلهم صالحون، لبعث إليهم رسولا، وهذا من رحمة الله وكرمه لذلك قال سبحانه: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾[٤] وهذا من رحمة الله ولطفه بعباده،

---

(١) سورة النحل: ٣٦.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) سورة إبراهيم: ٤.

(٤) سورة الإسراء: ٩٥.

فكل مجتمع يحتاج إلى داعية، حتى ولو كانوا صالحين، وكل داعية فضلا عن غيره يحتاج إلى صحبة صالحة، حتى الرسل أخبر الله ﷻ أن لهم صحبة صالحة ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾[١].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[٢]

هذه الآية المصنف رحمه الله بوب لها تبويب سيأتي باب تفسير التوحيد، فالتوحيد لا يكون إلا بنفي وإثبات، وهما ركنا التوحيد، إذا اختلى أحدهما لم يكن الشخص موحداً، لذلك قال ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني أفردوا العبادة لله، وهذا لا يكفي في التوحيد، بل ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يعني: لابد أن يكفر بالطاغوت، وهو ما عبد من دون الله، وليس الشرع من مقاصده إقامة العبادة فقط، وإنما أن تخلص العبادة لله، ولهذا أخبر الله ﷻ بأن الكفار يتعبدون الله، ولكن لم يخلصوا العبادة له، فذموا حتى ولو كانوا يعملون صالحاً، قال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾[٣] هذه عبادة ومن العبادات القتال، والله يقول ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[٤] فلا تحمد العبادة لوحدها وكذلك قال عن المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوا

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) سورة الأنفال: ٣٦.

(٤) سورة البقرة: ٢١٧.

إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوٓاْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾[2] فهم ينفقون ومع ذلك لم تقبل منهم النفقة؛ لأن المقصود من العبادة هو إفراد الله بالعبادة، اختلى عندهم فذموا، فلا بد من التبرؤ من عبادة غير الله.

فلو قال شخص: أن الله واحد. نقول: ما يكفي، بل يجب أن تزيد أن كل معبود غير الله فعبادته باطلة .

---

(١) سورة النساء: ١٤٢ .

(٢) سورة التوبة: ٥٤.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1] إلى قوله ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[2] الآية.

في هذا الكتاب في أوله ساق المصنف رحمه الله خمسة آيات وأثراً وحديثاً.

الآية الأولى: في بيان الحكمة من خلق الخلق.

والآية الثانية: أن الرسل دعوا إلى الحكمة التي خلق الله عز وجل الخلق من أجلهم إلى تحقيق الحكمة لعبادة الله وحده.

والآية الثالثة والرابعة والخامسة ساقها المصنف لبيان أوجب الواجبات هو: التوحيد، فأول ما يبتدأ به هو التوحيد، لذلك قال ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[3] والأثر في تفسير هذه الآية وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه من أراد أن يقرأ وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٥١.

والحديث ساقه المصنف في بيان فضل التوحيد لمن حققه، وأنه أوجب الواجبات على الخلق، حق العباد على الله أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، لذلك الآية الثالثة ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[1] تعالوا يعني: أقبلوا أيها الناس وهلموا إلي يا محمد لأبين لكم، وأتل عليكم ما حرم ربكم عليكم المحرمات.

﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[2] فأول محرم وأعظم محرم هو الشرك بالله ﷻ، لذلك في صحيح البخاري، سئل النبي ﷺ كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه **(أي الذنب أعظم عند الله ؟ قال: «أن تجعل لله نداً وقد خلقك»)** فإذا كان الشرك أعظم النواهي وأولها دل أن التوحيد هو أوجب الواجبات، وهو أفضل الأوامر لأن فيه تعظيم لله، وفيه إفراد الله ﷻ بالعبادة، وفيه انصراف القلب بالكلية لله، وفي الشرك هضم للربوبية، وقدح في ألوهية الله ﷻ، وتنقص له، وفيه عدم تحقيق صفات الله ﷻ التي وصف الله نفسه بها من الوحدانية والقوة والعظمة والكبرياء، فمن أشرك هذه الصفات تقل في حقه، فمن توجه إلي صاحب القبر وفي قلبه أن الله ضعيف لا يستطيع أن يقضي حاجاته - والعياذ بالله - لذلك الموحد دائما هو المعظم لله وحده .

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢) سورة الأنعام: ١٥١.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[(١)] إلى آخر الآيات، وهي الوصايا العشر، ما من نبي بعث إلا ووصى أمته بها، وأول ما يوصي الأنبياء أقوامهم البعد عن الشرك، والدعوة إلى التوحيد .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[(٢)] **إلى قوله** ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾[(٣)] هذه هي الوصايا العشر جميعاً، فإذا لم تشرك وأقمت الحدود التي أمر الله من حقوق الخلق، وبالوالدين إحسانا، وبالقربى، واليتامى، والمساكين، وقولوا للناس حسناً، ومن إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومن إعطاء اليتيم حقه، جميع حقوق الخلق سواء في هذه الوصايا العشر وما يتفرع منها، فلما بين الأساس وهو التوحيد، ثم تفرع منه حقوق الخلق قال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾[(٤)] وهو التوحيد ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ ﴾[(٥)] .

فإذا قيل: أن الحق له أكثر من طريق، فمثلاً لو قال شخص: الإسلام على حق، وأهل النصارى على حق، وأهل اليهود على حق.

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢) سورة الأنعام: ١٥١.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٥) سورة الأنعام: ١٥٣.

نقول: لا، الله يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا﴾[1] صراط واحد فقط ليس أكثر من وجهة، فمن سلك هذا الصراط نجا، أما الأهواء والآراء فليست هواء وحداً ولا رأياً واحداً، بل متشعبة ولا تنتهي، لذلك قال ﴿فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾[2] فلما كانت الأهواء كثيرة، والمعتقدات المخالفة كثيرة، لم تذكر ولما كان الحق واحد ذكر.

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

وقوله : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾[1] الآية.

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾[2] يعني: ألزم ووصي، والمراد بالقضاء هنا: القضاء الشرعي الديني، يعني: أنه واجب على جميع الخلق أن يؤدوا هذا الأمر، فمن لم يؤده أثم، لذلك قال: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾[3] شرعاً وديناً.

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[4] يعني: يجب عليكم ألا تعبدوا إلا الله، فأول الأوامر التي صدرت هي وحدانية الله وحده، فدل أن أعظم الأمور هي التوحيد، ولو أتى شخص إلى قوم يعبدون ضريحاً وهم لا يصلون، نقول: لا يأتي ويأمرهم بالصلاة أولاً، وإنما أولاً يأمرهم بالتوحيد، وينهاهم عن الشرك، ثم بعد ذلك بقية الأوامر؛ لذلك أوجب الواجبات هو التوحيد.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[5] أعظم حق من حقوق الخلق هو بر الوالدين، ولم يبين ما هو الإحسان إليهم، وهذا راجع للعرف، فكل إحسان حسب كل عرف أهل بلد وزمن يفعل مع الوالدين .

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣.

(٢) سورة الإسراء: ٢٣.

(٣) سورة الإسراء: ٢٣.

(٤) سورة الإسراء: ٢٣.

(٥) سورة الإسراء: ٢٣.

وقوله تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[١] **الآية.**

كذلك أعظم أمر به هو التوحيد، فقرر المصنف أن أوجب الواجبات هو التوحيد بثلاث آيات، لئلا ينازع فيها أحد بأن يقول: لماذا تقرؤون التوحيد أو لماذا تكثرون من التوحيد؟ ساق لك آيات أن أعظم الأوامر التوحيد.

فإذا قال شخص أنا موحد، لماذا أقرأ التوحيد؟

نقول: أولاً: القلب قد يدخله شيء من قوادح الشرك من الرياء، أو كثرة المعاصي التي قد تؤدي في القدح في التوحيد، بل إن النعم قد تؤثر في توحيد الشخص، كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فمن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك مؤمن بالكوكب كافر بي**».

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (**فدل أن الشخص قد يمسي مؤمن ويصبح كافر**) .

وفي صحيح مسلم: «**يبيع الرجل دينه بعرض من الدنيا قليل**».

قال النووي رحمه الله : (**فهذا يدل على تقلب الحق في قلب الشخص**) فقد يقوى

---

(١) سورة النساء: ٣٦.

إيمانه في أول النهار، ويضعف، وقد يدخل فيه الشرك وهو لا يعلم، وقد لا يقوى توحيده، وهكذا، فإذا كان الشخص دائماً متعلقاً بكتاب الله ﷻ وبسنة النبي ﷺ، مكثراً من قراءة العقيدة، هذا أقوى في الثبات، والدليل أن الله ﷻ قال للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[1] يعني: تمسك بالتقوى وزد منها، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾[2] يعني: زيدوا في إيمانكم، فهذا الخطاب للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وحتى للمؤمنين، فدل أن التوحيد يحتاجه الموحد ويحتاجه غير الموحد؛ ليخرج من لوثة الشرك إلى حنفية التوحيد.

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[3] يدل عليه (واعبدوا الله) فإن عبادة الله وحده من مستلزماتها أن يكفر بالطاغوت، ولكن لا تشركوا به شيئاً من باب التأكيد ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[4].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه؛ فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[5] إلى قوله ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ

---

(١) سورة الأحزاب: ١.

(٢) سورة النساء: ١٣٦.

(٣) سورة النساء: ٣٦.

(٤) سورة النساء: ٣٦.

(٥) سورة الأنعام: ١٥١.

ٱلسُّبُلَ ﴾[١] الآية.

(قال ابن مسعود ﷺ : **من أراد أن ينظر محمد** ﷺ **التي عليها خاتمه)** يعني: من أراد أن ينظر هل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصى بشيء فلينظر في كتاب الله في الوصايا العشر أواخر سورة الأنعام ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾[٢] يعني: لو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يريد أن يوصي بوصية ويضع عليه ختمه لم يوصي إلا بخواتيم سورة الأنعام ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ لذلك قال **(من أراد أن ينظر إلى وصية محمد** ﷺ **التي عليها خاتمه)** بفتح الميم والكسر يعني: سواء ختم عليه أو وضعت الوصية، وختم عليها بالختم فليقرأ ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ يعني: النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا أراد أن يوصي لم يوصي بشيء إلا التوحيد، مع أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصي بالتوحيد فقال: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**» .

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾[٣] يعني: كأن المصنف يقول: هذه الآيات بينت أن أوجب الواجب التوحيد، والسنة أيضاً أتت بأن أوجب الواجب هو التوحيد .

---

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٥١.

(٣) سورة الأنعام: ١٥٣.

وعن معاذ بن جبل ﵁ قال: "كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال: يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم . قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس! قال: لا تبشِّرهم فيتكلوا " أخرجاه في الصحيحين.

ساق المصنف ﵀ هذا الحديث لبيان أن أول واجب يجب على العباد أن يفعلوه هو التوحيد، حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

(**وعن معاذ بن جبل ﵁ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار**) هذا يدل على تواضع النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث ركب الحمار، ويدل أيضاً على جواز الإرداف على الدابة، فلا بأس أن يركب اثنين، إذا لم تخشى الفتنة على دابة واحدة، وكذا ما في حكم الدابة، ويدل أيضاً على أنه يجوز ركوب الاثنين على الدابة إذا لم يشق عليها، وأما إذا كان يشق فلا، وهذا يختلف باختلاف قوة الدابة وضعفها، فهذا الحمار الذي ركبه النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومعاذ ﵁ لم يشق عليه ركوب اثنين، ويدل محبة النبي لصحابته، فكان يقربهم منه قلباً وحساً، يجعلهم بجانبه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

(**فقال: يا معاذ**) وهذا يدل على التلطف في التعليم، وقال له: يا معاذ!

ليصغي معاذ إلى ما سيقوله النبي ﷺ ، فلو قال شخص: يا زيد! تقول: نعم، فتقول له كذا وكذا، وكان النبي ﷺ يحب معاذ، كما في الحديث الآخر «**والله يا معاذ إني لأحبك لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**».

(**أتدري**) ذكر النبي ﷺ ذلك بصيغة السؤال؛ ليجلب انتباه المستمع إليه، وهذا من أساليب حسن التعليم، أحياناً بالإلقاء، وأحياناً بالسؤال، وأحياناً التعليم بالعمل، كصلاة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وصعوده على المنبر ثم رجعه، وأحياناً بأخلاقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وأحياناً بتقريريته وهكذا.

«**أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب (**هذا يدل على أن هذه المسألة قد خفيت على بعض الصحابة؛ لأن معاذ قال: الله ورسوله أعلم، ويدل أيضاً حرص النبي ﷺ على ترسيخ التوحيد والعقيدة في قلوبهم**) .

(**ما حق الله على العباد**) يعني: مالذي يجب على العباد أن يفعلوه.

(**وما حق العباد على الله؟**) يعني: إذا فعلوا العباد ذلك ماذا أعد الله لهم كرماً وفضلاً وإنعاماً وإحساناً لهم .

(**قلت: الله ورسوله أعلم.**) هذه المسألة العظيمة خفيت على معاذ، وهو من أكابر الصحابة في العلم؛ لذلك قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**معاذ يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة يعني بخطوة**» فهو من أعلم الصحابة، ومع ذلك قال: الله

ورسوله أعلم، وإذا سئل السائل عن شيء لا يعلمه يقول: الله أعلم، وفي حياة النبي ﷺ لا بأس أن يقال: الله ورسوله أعلم؛ لأن الوحي يتنزل عليه، وأما بعد وفاته، فلا يجوز أن يقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي ﷺ مات .

(حق الله على العباد) يعني الذي يجب على العباد أن يفعلوه، وإلا لم يفعلوا ذلك عذبهم الله بالنار ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[1] ومن أطاعه أدخله الله ﷻ الجنة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[2] فمما يجب عليك وحدانية الله ﷻ لأنه هو الذي خلقك ورزقك وأغدق عليك بالنعم، وهو المستحق للعبادة، لا أحد سواه يستحق أن يركع له وأن يسجد، وأن تفرد أنواع العبادة إليه إلا لله وحده لأنه هو الكبير العظيم، والشخص أعظم ما يقدمه ويعفر به وجه للرب الواحد الكبير المتعال، ولا يخنع بالقلب أو بالجسد لغير الله عند قبر، أو عند شجر، أو عند حجر ونحو ذلك .

(أن يعبدوه) بأن يفردوه بالعبادة.

(ولا يشركوا به شيئاً) فإذا قيل: لماذا تأتي النصوص بعبادة الله وحده والنهي عن الشرك، والناس اليوم قد تقدموا، فلم يعبدوا صنماً ولم يعبدوا وثناً، والآن في

---

(١) سورة المائدة: ٧٢.

(٢) سورة الكهف: ١٠٧.

عصر الحضارة ونحو ذلك ؟

نقول: لا، الله ﷻ ذكر عن إبراهيم عليه السلام قوله ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[(١)] فالغالب على الناس في الأرض عدم الإسلام وهو الشرك، ولقوله سبحانه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١٧﴾[(٢)] وكثير من أهل الأرض لا يعبد الله، وأقل القلة هم أهل الإسلام الخالص من الشوب، فمثلاً شرق الأرض كثير منهم من يعبد الأصنام من البوذية ونحو ذلك، وهم من أكثر سكان الأرض، فقرابة ربع أهل الأرض في تلك الجهة من غير المسلمين ممن لا يعتنق الإسلام من العبادة للصنم والركوع له، وصدق حدث إبراهيم عليه السلام لما دعا ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[(٣)] والواقع يشهد بذلك.

(وحق العباد على الله) هذا الحق لا يوجبه الخلق على الله، يعني: ما يقول الخلق إلزاماً عليك يا ربنا أن تدخلنا الجنة لأننا وحدناك، لا. وإنما هذا حق الله تفضل به لك إنعاماً منه وإحساناً وتكرماً، فقال: إذا وحدتني أنا أعدك بالجنة، وهذا من إنعام الله وفضله، ومن كرم الله أن جعل التوحيد موافق للفطرة، فلو كانت الفطرة في جانب، والدعوة للتوحيد في جانب، يصعب تحقيق ذلك في

(١) سورة إبراهيم: ٣٦.
(٢) سورة هود: ١٧.
(٣) سورة إبراهيم: ٣٦.

القلب، ولكن الله ﷻ أعان الخلق على التوحيد، فهم مفطرون على التوحيد، بل إن الموغل في الشرك إذا حلت به الشدائد يرجع لفطرته وهو التوحيد، قال سبحانه ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[1] يوحدون لذلك قال: **(ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)** فمن أفرد الله وحده سبحانه وعد ألا يعذبه بعدم خلده في النار؛ لذلك أجمع أهل السنة على أن مآل الموحد هو الجنة، لكن بعض الموحدين قد يعملوا معاصي، وهذه المعاصي إما أن يغفرها الله بفضله، أو أن الله يعذبه بالنار بتلك المعاصي، لكن مآله في الجنة سواء غفر الله له بما هو دون الشرك أو لم يغفر الله له.

فإذا قيل: ما دام أن الموحد مآله إلى الجنة، لماذا لا أعمل السيئات ؟

فنقول :

أولاً: السيئات قد تظلم القلب وتورثه الوقوع في الشرك أو النفاق .

الثاني: لو قال لك شخص أنا أعطيك قصراً مشيداً، لكن بشرط أغمسك في النار نصف ساعة؛ لأنك أخذت مني عشرة آلاف ريال مثلاً بغير حق، وشخص آخر قال: لأنك لم تأخذ مني شيئاً سوف أعطيك القصر المشيد بدون أن أغمسك في النار ولا ساعة، هل ستقول: أسرق عشرة آلاف وانغمس في النار ساعة ثم أدخل الجنة، أو تقول لن أسرق وأريد القصر المشيد بدون شيء؟!

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٥.

لاشك ستسلك السبيل الآخر، فتبتعد عن السرقة مثلاً، حتى تنال القصر المشيد، وهكذا .

(قلت: يا رسول الله! أفلا أبشر الناس؟) هذا يدل على أن السنة تبشير الناس بالأمر السار لذلك الله قال للرسول ﷺ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] فكل خبر يفرح على المسلم أن ينشره ويبثه فيما فيه مصلحة دينية لك مثلاً أو لغيرك، والله قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)] يعني بشر المؤمنين إذا وحدوا الله بأن لهم الجنة، وهذه أعظم بشارة، وهنا فرح معاذ بذلك؛ لأن الموحد مآله إلى الجنة، فقال **(أفلا أبشر الناس؟)** وأخبرهم بهذا الخبر العظيم بأن مآل الموحد الجنة .

(قال لا تبشِّرهم فيتكلوا) هذا يدل على عظم فضيلة التوحيد، وأنه يدخل الجنة، وأن مآله إلى الجنة، ويدل أيضاً على أنه يخشى من الصالحين من الاتكال على ما عندهم من التوحيد، وأنهم قد يعملون المعاصي؛ لذلك قال: **(لا تبشِّرهم فيتكلوا)** .

فإذا قيل لماذا قال النبي ﷺ : «لا تبشرهم» نقول: أن هذا في بداية أول مطلع الدعوة، فلما رسخ الدين في نفوسهم، وعلموا ذلك بعد وفاة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر معاذ بها الناس وبشرهم بها، ويدل أيضاً هذا الحديث على

---

(١) سورة التوبة: ١١٢.

(٢) سورة التوبة: ١١٢.

أن المخاطب إذا كان يخشى منه القصور في العمل الصالح، يقول: له لا تخبر أحدًا، ويدل أيضاً على جواز تخصيص العلم أحدًا دون الآخر، مثل يعلم أشخاص الفرائض ولا يعلم الآخرين؛ لأنهم قد لا يعلمون علم الفرائض وهكذا .

أخرجاه في الصحيحين.

وهنا انتهى المصنف رحمه الله من الكتاب الأول .



باب
فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

لما ذكر المصنف رحمه الله كتاب التوحيد، وأنه واجب على العبد من حسن التعليم، أنه إذا أمرته بشيء تبين له ثواب ذلك الشيء، فذكر المصنف رحمه الله في الكتاب الأول: أن التوحيد هو أوجب الواجبات، وافعله واحرص عليه وأخشى أن تقدح فيه، ثم بعد ذلك قال لك: إن فعلت ذلك فإن له فضلاً عظيماً، وأن هذا التوحيد يكفر الذنوب؛ لذلك قال: **(باب فضل التوحيد)** يعني باب ذكر الأحاديث في فضل التوحيد.

(وما يكفر من الذنوب) يعني باب فضل التوحيد وتكفيره الذنوب، يعني: سأذكر لك فضل التوحيد، وسأذكر لك أحاديث فيها تكفير الذنوب بسبب التوحيد، وإذا كان التوحيد يكفر الذنوب، دل على أن الطاعة فيه طاعة عظيمة؛ لهذا أعظم عمل يتوسل به الشخص إلى الله عز وجل في قضاء حاجاته من الأعمال الصالحة، هو التوسل بالتوحيد، فمثلاً لو قال شخص: اللهم إني أتوسل إليك بصلاتي منذ عشرين سنة، إن كنت تعلم أنها خالصة لوجهك الكريم فشافني من هذا المرض، وقال شخص آخر: اللهم إني أتوسل إليك بتوحيدي لك وعدم إشراكي بك، إن كنت تعلم أن هذا خالصًا لوجهك الكريم، فاشفِ مرضي.

نقول: توسل الثاني أبلغ وأعظم وأحرى بالإجابة من الأول لماذا؟ لأنه فعل فعلاً عظيماً من الطاعة، بل أعظم الطاعات وهو التوحيد .

وقول الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

ساق المصنف رحمه الله هذه الآية لبيان فضل من فضائل التوحيد، وهو الأمن في النفس بالطمأنينة والراحة والأمن بين الأفراد، لا تعتدي على أحد، ولا أحد يعتدي عليك، والأمن في المجتمع بعدم الخوف فيه والنهبة والسرقة ونحو ذلك؛ لذلك قال ابن القيم رحمه الله : (**إذا قل العلم في محلة كثر الشر فيها وإذا كثر فيها العلم قل فيها الشر**) ولو أن الناس كمل توحيدهم؛ لما حتاجوا إلى تقاض، ولم يحتاجوا إلى جند ولا حراس ولا غير ذلك، فكل يراقب ربه فما يحدث في العالم من حدوث خلل في الأمن أو نحو ذلك، بسبب القصور في التوحيد، ومراقبة الله عز وجل، فهنا قال ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ**﴾[2] يعني بشرك، والذي فسر ذلك هو النبي عليه الصلاة والسلام وذلك لما نزلت هذه الآية قال الصحابة: وأينا لم يظلم نفسه يا رسول الله! قال: «الظلم الشرك».

الجزاء ﴿**أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[3] لهم الأمن على قدر توحيد

---

(١) سورة الأنعام: ٨٢.

(٢) سورة الأنعام: ٨٢.

(٣) سورة الأنعام: ٨٢.

الشخص، كلما قوي إيمان الشخص وقوي تعلقه بالله يحصل له الانشراح والراحة والطمأنينة، قال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[2] فمن فضائل التوحيد الراحة النفسية، والراحة في البلدان .

(١) سورة الأنعام: ١٢٥.

(٢) سورة الزخرف: ٣٦.

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » أخرجاه .

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث؛ لبيان أن التوحيد يدخل الجنة، فهذا من فضائله؛ لذلك قال في آخره «**أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»وأي فضل لهذه الطاعة بأن يكون جزاؤها دخول الجنة «**من شهد أن لا إله إلا الله**» يعني: بلسانه وموقناً بها قلبه، وعالماً بمعناها، ومجتنب ما يناقضها من نواقض الدين، فلا يكفي التلفظ، فالمنافقون يتلفظون بها، فلا بد من هذه الأمور، كما سيأتي في شروط لا إله إلا الله «**وحده لا شريك له**» تأكيد للوحدانية، من شهد أن لا إله إلا الله شهد بأن الله وحده، أأكدها وحده لا شريك، لا، الأولى تكفي، والثانية للتأكيد «**وأن محمدا عبده ورسوله**» وشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

«**وأن عيسى عبد الله ورسوله**» يعني عيسى عبدالله ورسوله، فكلاهما موصوف بالعبودية والرسالة وهما أشرف الخلق، لكن يزيد في الإيمان بعيسى ما تفرد به مما خلق، وهو أنه ولد من غير أب .

«**وكلمته ألقاها إلى مريم**» يعني: تشهد بأن عيسى أتى في بطن أمه جنيناً من غير أب، بكلمة من الله، وهي كن، فقال الله سبحانه: كن فكان، عيسى في بطن أمه من غير أب.

«**وروح منه**» يعني وأن عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله ﷻ، مثله مثل غيره، وأضاف الله ﷻ الروح إليه من باب التشريف، مثل بيت الله، وحرم الله وهكذا .

«**وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**» الله ألقى إلى مريم بأن قال لها: كن يا عيسى في بطن مريم: فكان جنيناً من غير أب، فأصبح روح من الأرواح التي خلقها الله ﷻ، وبهذه الآية العظيمة، وهي أنه خلق بلا أب، افتتن به كثيراً من الناس.

لذلك قال ابن كثير رحمه الله : (**وقد دخل بسبب عيسى يعني بخلق عيسى بلا أب النار ملايين الناس**) ولو علم الشخص قوة الله ﷻ لم يحصل له هذا اللبس؛ لذلك قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ** ﴾[1].

(**والجنة حق والنار حق**) يعني: من شهد بأن الجنة حق، وهي مآل الموحدين، وأن النار حق، وهي مآل الكفار، والجنة والنار هما الآن مخلوقتان؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام : «**اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»

---

(١) سورة آل عمران: ٥٩.

وقال: «واطلعت على أهل النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وهما الآن مخلوقتان .

(أدخله الله الجنة) هذا فضل التوحيد، إذا وحدت الله بذلك ولم تجعل عيسى رباً أو ابناً لله، وشهدت بأن عيسى ومحمد ﷺ عبدان رسولان، وأن الجنة حق، والنار حق، الفضل أدخلك الله ﷻ الجنة؛ لذلك قال: **(أدخله الله الجنة)** هذا مآله.

ثم قال: **(على ما كان من العمل)** أي أن درجتك في الجنة تكون على قدر العمل الذي عملته في الدنيا، يعني: مآل الموحد الجنة، لكن الموحدين في الجنة درجات على قدر أعمالهم، بفضل الله ورحمته.

ولهما في حديث عتبان : «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله؛ يبتغي بذلك وجه الله».

وهنا ذكر المصنف ﷺ حديث عتبان في باب فضل التوحيد، أن من فضل التوحيد، أن صاحبه حرم الله ﷻ عليه دخول النار، يعني: لا يمكن للموحد أن يكون مآله النار مطلقاً، وهذا فضل عظيم، لو قال لك شخص: إن فعلت هذا الفعل لا يمكن أن تخلد في النار، وهنا إن فعلت التوحيد لم تخلد في النار؛ حتى ولو عملت أي عمل دون الشرك، لكن تحت المشيئة، لذلك لما سأل أبوذر حتى وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق، لكن على التفصيل الذي ذكرناه لكم من قبل، قد يعذب، وقد يغفر الله له ذنبه، ويدخل الجنة بغير عذاب.

(**فإن الله حرم على النار**) هذا ثواب التوحيد (**من قال لا إله إلا الله**) حرم على النار أن يخلد فيها، من قال لا إله إلا الله ولا يكفي القول، وإنما ذكر الشرط (**يبتغي بذلك وجه الله**) يعني مخلصاً فيها لله، فلا بد من الإتيان بالشروط حتى يكون من يقول كلمة التوحيد محرمة عليه النار، فهنا قال: (**يبتغي بذلك وجه النار**) وفي لفظ: (**مستيقناً بها قلبه**) وفي لفظ: (**خالصاً من قلبه**) ولا بد من الإتيان بسبعة شروط؛ حتى يكون الشخص محققاً للتوحيد حين التلفظ بكلمتها، وهي مجموعه في قولهم :

علم يقين إخلاصك صدقك مع محبة وانقياد والقبول لـهـــا

فهذه سبعة شروط، إذا اختل شيء منها، لم تنفعه تلك الكلمة .

علم : يعني علم بمعنى: لا إله إلا الله، وأنها لا معبود بحق إلا الله، والدليل قوله سبحانه لموسى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾(١) .

يقين : غير شك فيها، كما يشك فيها المنافقون، أو من في قلبه مرض يصل إلى الشرك .

إخلاصك: يعني : الإخلاص وضده الشرك، فلو قال الشخص: لا إله إلا الله وهو يطوف على القبر، نقول: ما أخلصت فيها، وإنما وقعت في الشرك .

صدقك: يعني : يخرج من كان كاذباً في قولها، كالمنافقين فهم يقولون: لا إله إلا الله، وفي قرة أنفسهم تعلقهم بغير الله في طلب الحاجات ونحو ذلك .

محبة : المنافية ضد المحبة، يعني : تحب هذه الكلمة وتحب الله ﷻ؛ لأنه الواحد، وتحب ما دلت عليه، وتفرح بأوامر الله ﷻ وشرعه .

وانقياد : الإذعان لها، فمما يلزم فيها أن تنقاد لما دلت عليه بأن لا تعبد إلا الله ولا تعبد غيره .

والقبول لها : القبول المنافي للرد، فلو قال شخص لآخر: لا تطوف على

---

(١) سورة طه: ١٤.

القبر، وقول لا إله إلا الله، وتوكل على الله وحده، فإذا قال: لا أريد أن أقول لا إله إلا الله. فنقول لم يكن موحدًا، لذلك قال سبحانه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[1] يردونها والقبول لها بأن تقبل هذه الكلمة وتفرح بها وتذعن لها، وبعضهم يزيد الكفر بالطاغوت شرط ثامن، لكنه يدخل في الصدق واليقين .

هذه شروط لا إله إلا الله، فلو أن شخصاً قال: لا إله إلا الله ولا يصلي نقول: ما تنفعه، لماذا؟ لأنه لم يحقق معناها، فمعناها أن تعبد الله، وهنا ما عبدت الله، ولو شخص يذهب عند القبر ويذبح، نقول له: هذا شرك، يقول تقل لي مشرك وأنا أقول لا إله إلا الله، نقول: نعم؛ لأنك لم تصدق في هذه الكلمة، ولم توقن بها، ولم تخلص لله بها، فما أخلصت في هذه الكلمة، ولو أخلصت لما عبدت إلا الله وحده سبحانه .

---

(١) سورة الصافات: ٣٥.

وعن أبي سعيد ﷺ مرفوعا: «قال موسى: يا رب! علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به؟ قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله . قال: يا رب! كل عبادك يقولون هذا . قال: يا موسى! لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ؛ مالت بهن لا إله إلا الله». [رواه ابن حبان والحاكم وصححه].

لازال المصنف رحمه الله يذكر فضل التوحيد، وسبق أن من فضائل التوحيد حصول الأمن لصاحبه، والأمن لصاحبه على قدر توحيد العبد لربه في قلبه، وسبق أيضاً أن من فضائل التوحيد أن مآل الموحد إلى الجنة، كما سبق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل، ومن فضائل التوحيد أن الموحد لا يخلد في النار بحال، كما في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

وهنا في حديث أبي سعيد يذكر عظم كلمة التوحيد، وأن السموات السبع ومن فيهن من العمار غير الله عز وجل، والأرضين ومن فيهن لو وضعن في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله؛ لعظم وثقل وقوة هذه الكلمة، فإذا كانت هذه الكلمة ترجح بمن في السموات ومن فيهن من غير الله عز وجل والأرضين ومن فيهن، دل على عظمة ما دلت عليه، وهو توحيد الله عز وجل ، فهذا من فضل التوحيد، حيث أن كلمته ترجح بالمخلوقات .

(وعن أبي سعيد ﷺ مرفوعا: قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به) هذا يدل حرص الأنبياء إلى أجل الطاعات فيما يقتضينه الله ﷻ ؛ لذلك موسى يقول: ربِّ علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به **(أذكرك)** من الذكر **(وأدعوك به)** سواء دعاء عبادة أو دعاء مسألة .

(قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله) يعني قل: هذه الكلمة، وهي أعظم الذكر، كما في صحيح مسلم: «**أحب الكلام إلي الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**» وفي لفظ لمسلم «**أفضل الكلام إلي الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**» وهي مفتاح الجنة من لم يأتِ بها لا يفتح له باب الجنة بحال .

(قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا) يعني أن موسى يطلب شيئاً يختص به من العبادات؛ ليرتفع عند ربه، وهذا فيه دليل على أن الشخص له أن يسأل ربه أن يخص بشيء مما لم يختص به سوى عباده الأفاضل؛ لذلك الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾[1] فلو قال شخص مثلاً: اللهم اجعلني من عبادك المخلصين أو المصطفين ونحو ذلك، نقول: هذه من الأدعية الفاضلة .

(قال: يا موسى) وقبلها قل: لا إله إلا الله، هذا يدل على صفة الكلام لله ﷻ، فهو سبحانه يتكلم متى شاء كيف شاء إذا شاء بما شاء، وهو يتكلم ﷻ مع موسى أو مع آدم ومع الملائكة وغيرهم، لا يزال يتكلم ﷻ وسيتكلم في المستقبل

(١) سورة البقرة: ١٠٥.

ﷻ من غير تكيف لهذا الكلام ولا تمثيل له.

(لو أن السموات السبع) يعني: لو أن السموات السبع المخلوقة.

(وعامرهن) يعني: من يسكن فيها من الملائكة، بأن جعلت السموات وجعلت الملائكة والأرض ومن في الأرض في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، لمالت بها لا إله إلا الله، وهذا هو الشاهد من الحديث **(غيري)** يعني: من يسكنها غيري؛ لأن الله ﷻ كما هو معلوم في السماء، كما قال سبحانه ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1] وقال ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[2] ولكن لا يقال: بأن الله يسكن في السماء، وإنما نقول الله في السماء .

(والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله) فدل على فضل هذه الكلمة، ولمكانة هذه الكلمة بهذه المثابة فما دلت كذلك في الفضل، وهو توحيد الله ﷻ **[رواه ابن حبان والحاكم وصححه]**.

(١) سورة الملك: ١٦.

(٢) سورة طه: ٥.

وللترمذي وحسنه : عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم! لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً؛ لأتيتك بقرابها مغفرة».

هنا يذكر من فضائل التوحيد في حديث أنس أن التوحيد يحط السيئات، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾[1] فأفضل الطاعات وأجل القربات، هو التوحيد، فهو الذي يذهب السيئات .

(**قال الله تعالى : يا ابن آدم**) هذا يدل على إثبات صفة الكلام لله.

(**لو أتيتني**) أتيتني هذا يدل على إثبات البعث والنشور، قال الله: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[2] فإذا أتيتني بعد المهات (**بقراب الأرض**) يعني ملء الأرض أو ما يقارب ملأها.

(**خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً**) يعني جميع السيئات تذهب بالتوحيد، وهذا يدل على فضل التوحيد، فلو قال شخص: إذن أفعل السيئات وأنا موحد؛ لأن التوحيد سيذهب بالسيئات.

---

(١) سورة هود: ١١٤.

(٢) سورة الجاثية: ١٥.

نقول: قد يعاقب الشخص على سيئاته تلك إن لم يغفرها الله سبحانه له.

فإذا قيل ما المراد إذن (**لأتيتك بقرابها مغفرة**) ؟

نقول: تغفر لك تلك السيئات بمشيئة الله ﷻ ، إن شاء تجاوز عن تلك السيئات بسبب توحيدك، وإن شاء عذبك جمعاً بين النصوص كما قال سبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾[1] فإذا قيل ما الدليل على ذلك؟

نقول: لما جاء فيه النصوص من أن الزناة رآهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في النار: وكذلك أكلة الربا في النار وغيرهم من أهل العصيان .

(١) سورة النساء: ١١٦.

باب
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

لما ذكر المصنف فضل التوحيد، عقبه بعد ذلك بأن فضل التوحيد لا يكون إلا بتحقيق التوحيد، ومعني تحقيق التوحيد: الإتيان به بإتقان وتمحيص.

وتحقيق التوحيد ينقسم إلى قسمين :

إما أن يكون **تحقيقاً لأمر واجب،** وهو أن يبتعد الشخص عما ينافي التوحيد الواجب، مثل: الشرك الأصغر، أو **ما يقدح فيه من البدع، أو ما ينقص ثوابه من السيئات،** هذا التحقيق الواجب.

يعني يجب على كل مسلم أن يحقق التوحيد، يعني: أن يعمل جاهداً في فعل هذا الأمر على إتقانه وتمامه، وهو الابتعاد عن الشرك الأصغر، نحن نتكلم على المسلم، فيبتعد عن الشرك الأصغر، ويبتعد عن البدع، ويبتعد عن المعاصي التي تنقص التوحيد، هذا التحقيق الواجب، وتحقيق مندوب وهو: أن يترك المسلم ما لا بأس به مما به بأس، يعني: أن يترك شيء من المباحات أو شيء من المكروهات مثل التداوي بالكي ونحو ذلك، كما سيأتي، يتركوه طالباً على ما عند الله من ثواب، بسبب قوة التوكل في القلب.

فعندنا تحقيق واجب، وتحقيق مندوب، لا يلزم لجميع الخلق، وإنما هؤلاء الخلص من عباد الله .

والمصنف رحمه الله ساق في هذا الباب آيتين وحديثاً، جعل الآيتين في تحقيق التوحيد الواجب في قوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] ، وفي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[2] ، وساق حديثاً في تحقيق التوحيد المندوب، وهو حديث **(حصين بن عبدالرحمن)**، فمن حقق التوحيد الواجب والمستحب دخل الجنة بغير حساب، وعلى المرء أن يسعى جاهدًا لتحقيق التوحيد؛ لينال ذلك الثواب العظيم، يعني: كأن المصنف يقول لك: حقق توحيدك الواجب والمندوب لتدخل الجنة بغير حساب، وهذا يدل على عظمة التوحيد، فليس هناك من حقق شيئاً يكون ثوابه دخول الجنة بغير حساب سوى التوحيد، فلو أن شخصاً مثلاً يشرك بالله من الطواف بالأضرحة، لكن يحقق صلاته بأركانها وواجباتها وسننها تحقيقاً تاماً.

نقول: لا ينال ذلك الثواب؛ لأن الأصل عنده فاسد .

---

(١) سورة النحل: ١٢٠.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٩.

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

هذه الآية في بيان وجوب تحقيق التوحيد الواجب، وذلك بالبراءة من الشرك وأهل الشرك؛ لذلك قال: ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] هذا الشاهد يعني: إبراهيم كان في أمة قانتاً لله حنيفاً: ومن الأشياء التي أثني عليه بها، أنه لم يكن من أهل الشرك، ومتبرئ أيضاً من الشرك وأهله، فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[3] يعني: إماماً إما أن يكون إمام يعني: يقتدى به في الأعمال الصالحة، وأعظمها التوحيد، وهو إمام الحنفاء، أو إماماً لكثرة أعماله الصالحة، فأصبح بكثرة أعماله الصالحة والتقرب إلى الله أمة يقتدى به، وكلا المعنيين صحيح، يعني: إبراهيم يقتدى به، وإبراهيم مكثر من الطاعات، فهو أمة لكثرة أعماله الصالحة ﴿ قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾[4] يعني مصلياً لله ﷻ مخبتاً له، كما وصفه سبحانه في آية أخرى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾[5] يعني رجاع ومنيب إلى الله ﷻ.

---

(١) سورة النحل: ١٢٠.

(٢) سورة النحل: ١٢٠.

(٣) سورة النحل: ١٢٠.

(٤) سورة النحل: ١٢٠.

(٥) سورة هود: ٧٥.

﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[١] هذا الشاهد يعني محققا للتوحيد من البراءة من الشرك، إذن لا يكون الشخص محققاً للتوحيد إلا إذا تبرأ من المشركين وأهله، بأن يعتقد بطلان عبادتهم ويبغض أهلها، كما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾[٢] والوصف الرابع الذي وصف به: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ﴾[٣] والمصنف ما ذكرها لأنه خارجه عن الشاهد، ومما يمدح به الشخص عند الله شكر النعم المسداة إليه من الله عز وجل؛ لذلك الله عز وجل ذكر بأن عباد الله الشاكرين قلة، كما قال سبحانه ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾[٤] وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[٥].

---

(١) سورة النحل: ١٢٠.

(٢) سورة الزخرف: ٢٦ – ٢٧.

(٣) سورة النحل: ١٢١.

(٤) سورة يوسف: ٣٨.

(٥) سورة سبأ: ١٣.

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[(١)].

يعني لا يكون الشخص محققاً للتوحيد إلا إذا كان نابذاً للشرك، فالأولى في البراءة من الشرك وأهله ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[(٢)] لم يقل ولم يك مشركاً، وإنما من المشركين أهلهم وعبادتهم، وهنا ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾[(٣)] يدخل فيها أيضاً الشرك الأصغر من تعليق التميمة، والحلف بغير الله ﷻ كالنبي والأمانة والكعبة وغير ذلك، فالأول تحقيق واجب للشرك الأكبر، والثاني تحقيق واجب للشرك الأصغر، ثم بعد ذلك يأتي المندوب .

---

(١) سورة المؤمنون: ٥٩.

(٢) سورة المؤمنون: ٥٩.

(٣) سورة المؤمنون: ٥٩.

عن حصين بن عبد الرحمن قال: " كنت عند سعيد بن جبير ، فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قلت : أنا . ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت ، قال : فما صنعت ؟ قلت : ارتقيت ، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن حصيب أنه قال : «لا رقية إلا من عين أو حمة» فقال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع . ولكن حدثنا ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «عُرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه. فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» . ثم نهض، فدخل منْزله ، فخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، - وذكروا أشياء-. فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه ، فقال: «هم الذين لا يَسْتَرقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون» . فقام عكاشة بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : «أنت منهم» .ثم قام رجل آخر ، فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : «سبقك بها عكاشة» .

هنا يذكر الحديث في تحقيق التوحيد المندوب، لما ذكر تحقيق التوحيد الواجب وهو التحقيق من الشرك سواء الأكبر أو الأصغر، شرع بعد ذلك في

تحقيق التوحيد المندوب .

(**عن حصين بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بن جبير فقال**) يعني: سعيد يسأل حصين، وكلاهما من التابعين.

فقال سعيد: (**أيكم رأى الكوكب**) يعني: النجم (**الذي انقض**) سقط (**البارحة؟**) الليلة التي مضت، وهذا يدل على تفكر السلف واعتبارهم بما يحدث في الكون، حتى النجم الساقط من السماء يخافون أن تكون عقوبة من الله ﷻ، وما ذاك إلا لحياة قلوبهم.

(**قلت: أنا**) يعني: حصين قال: أنا، كلاهما رأى الكوكب، ثم بعد ذلك حصين بن عبدالرحمن؛ لئلا يمدح بما لم يفعله.

قال: (**أما إني لم أكن في صلاة**) يعني: لم أكن مستيقظاً من أجل أن أصلي، لا . فلا تظن يا سعيد بن جبير أني كنت مصلياً في تلك الساعة، وهذا يدل على أن السلف يخشون من إظهار عمل صالح لهم لم يفعلوه؛ حذراً للوعيد في الآية ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾[1] .

(**ولكني لدغت**) يعني استيقظت بسبب لدغة عقرب لي أيقظتني من النوم،

---

(١) سورة آل عمران: ١٨٨.

فلما استيقظت رأيت كوكباً ساقطاً.

(قال: فما صنعت؟) يعني لما لدغتك العقرب، يعني: انتقل معه إلى موضوع آخر، وهذا يدل على أن السلف يتباحثون في العلم في كل واقعة، فهنا لما ذكر النجم وأتت مسألة اللدغ الرقية، يسأله ما هو الدليل على أنك فعلت الرقية؟ وهذا يدل على مشروعية التباحث في طلب العلم، ولو بالأمر التي يظن أنه واضح **(قلت: ارتقيت)** وفي لفظ لمسلم: **(استرقيت)** يعني: فعلت الرقية أو طلبت الرقية، يعني: الرقية بالقرآن.

(قال: فما حملك على ذلك؟) يعني: ما هو الدليل على أنه لما لدغتك عقرب لجأت إلى الرقية؟، فانظر إلى السلف وهم لدغوا بعقرب فمع ذلك يقول: ما هو الدليل؟ وهكذا الشخص في أمور الدين، يطلب الدليل حتى يزول عنه الإشكال.

(قال حديث حدثناه الشعبي) يعني: هذا حصين يقول: الدليل على أني ارتقيت حديث حدثناه الشعبي .

(قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بريدة بن حصيب أنه قال:) يعني: النبي ﷺ قال: **(لا رقية)** أولى وأفضل من رقية القرآن بسبب العين أو الحمة، كما سيأتي، وليس المقصود أن الرقية فقط محصورة في هذين الأمرين، وهما العين ولدغ العقرب، لا. وإنما القرآن شافٍ لجميع الأمراض؛ لذلك لا رقية أولى وأفضل.

(إلا من عين) يعني لمن أصيب بعين من الحسد، وبإذن الله القرآن يزيل شر

العين التي أصيب بها، الآخر ومن العلاج الآخر للعين: أن يأخذ شيء من أثر العائن ويغتسل به المعين، وصفة أخرى كما جاء في الحديث: «**أن يراق عليه من الماء من أثر العائن من خلفه وهو غافل**» يعني: يأتي شخص بماء ويريقه على ظهر المعين، فتزول بإذن الله عنه العين.

(**أو حمة**) هذا الشاهد في استدلال حصين بن عبدالرحمن، والحمة لدغت العقرب، فقال حصين: لما علمت بهذا الحديث أن الرقية تنفع من لدغة العقرب فعلت الرقية، وإلى الآن لم يأتِ الشاهد، لكن المصنف يذكر الحديث بتمامه، يعني: لم يأت الشاهد من حيث تحقيق التوحيد المندوب، يدخل الرجل الجنة بغير حساب إذا كان محققاً للتوحيد الواجب والمندوب .

(**فقال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع**) يعني: سعيد بن جبير يقول: الذي فعلته صحيح، وفيه أدب العلماء فيما بينهم، فلم يعنفه على فعله؛ لأنه عنده دليل، فقال: قد أحسن إلى ما عمل إلى من انتهى، فأنت أحسنت بفعلك بما بلغك من هذا العلم، الآن سعيد بن حبير يقول لحصين بن عبدالرحمن: الذي فعلت صحيح، لكن سوف أعطيك أمراً آخر أفضل من الذي فعلته، وهو عدم طلب الرقية من الآخرين، وإنما ترقي نفسك أنت، وتتوكل على الله، فمن فعل ذلك دخل الجنة بغير حساب، وهذا يدل على أن علماء السلف ينظرون إلى الدرجات العلى، وإن كان الأمر مشروعاً، لكن يطلبون ما هو أفضل من المشروع .

(**ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «عُرضت عليّ الأمم**) وعند الترمذي (**ليلة أسري بي**) فرأى النبي ﷺ الأمم، آية من الله ﷻ (**فرأيت النبي ومعه الرهط**) والرهط من العشرة فما دون، يعني: رأيت النبي وأتباعه الذين آمنوا به قلة.

(**والنبي ومعه الرجل والرجلان**) يعني: لم يؤمن به سوى رجل أو رجلان.

(**والنبي وليس معه أحد**) يعني يدعوا قومه ويحرص على إيمانهم، لكن لم يؤمن منهم أحد، وهذا يدل أن الداعي لا ينظر إلى كثرة المدعوين، وإنما يفعل الداعية ما أمره الله ﷻ به من تبليغ الدعوة، أما فتح القلوب فهو بيد الله ﷻ، فالشخص مثلاً يدعو ويعلم غيره ويحرص عليهم، إن آمنوا فهذا بفضل الله، ما آمنوا هذا إلى الله كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ﴾[1] وقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾[3] ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[4] وليس هذا فيه نقص للأنبياء، وكذا ليس فيه نقص لمن سار على نهج الأنبياء ولم يتبعهم أحد، والله ﷻ هو القهار، وحكمته هي الحكمة البالغة،

---

(١) سورة . هود: ١٢

(٢) سورة الزمر: ٤١.

(٣) سورة الغاشية: ٢٢.

(٤) سورة المائدة: ٩٩.

كما قال سبحانه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[(١)]

(**إذ رفع لي سواد عظيم**) يعني: لكثرة الأشخاص، السواد العظيم أي: من بعيد إذا رأيت الرؤوس كاشفة، يظن أنها سواد كالليل؛ لذلك قال (**إذ رفع لي سواد عظيم**) فرأيت ذلك السواد أي: كثرة الناس.

(**فظننت أنهم أمتي**) يعني ظننت أنهم أمة الإجابة، لا الدعوة.

(**فقيل لي: هذا موسى وقومه**) وهذا يدل على أن أكثر الأمم تابعاً لرسلهم هم قوم موسى بعد أمة نبينا محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يعني: أكثر الأمم اتباعاً أمة محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، ثم يليه بعد ذلك موسى، فهم أكثر الناس اتباعاً بعد هذه الأمة. ويدل أيضاً هذا على أنه لا يشترط في الداعية البلاغة والفصاحة والبيان في تبليغ الرسالة، فموسى عليه السلام لا يستطيع الكلام؛ لذلك يدعو ربه يقول: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾[(٢)] وفرعون يسخر منه ويقول: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[(٣)] ما يعرف يتكلم، لكن لصدق إخلاصه وصدق دعوته وحرصه تبعه أمة كثر، وإن كان ضعيف في البيان؛ لهذا، الشخص وإن كان ضعيف في تبليغ الدعوة، سواء ضعف مادياً أو بيانياً أو جسدياً فأنت بلغ والله عز وجل

---

(١) سورة فاطر: ٨.

(٢) سورة طه: ٢٧.

(٣) سورة الزخرف: ٥٢.

هو الذي يسدد، لذلك يقول سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1].

(**فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك**) يعني: أكثر من السواد الأول، والمراد بأمتك في هذا الحديث أمة الإجابة، يعني: من استجاب للنبي ﷺ وآمن، لا أمة الدعوة، فأمة الدعوة هم من بعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من يوم بعثته إلي قيام الساعة، كل الناس مؤمنهم وكافرهم يسمون أمة محمدﷺ، يعني أمة الدعوة، فمن آمن منهم يقال له: أمة إجابة، يعني: أمة استجابة للنبي ﷺ ، فمثلاً اليهود والنصارى بعد بعثة النبي ﷺ يطلق عليهم أنهم من أمة محمد ﷺ ، لكن الدعوة يعني دعوا للتوحيد ولاتباع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

(**ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**) هذا الشاهد أن من أمة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وعددهم سبعون ألفاً، وفي رواية عند الإمام أحمد (**مع كل واحد سبعون ألفاً**) وهذا كرم من الله ﷻ وفضل، يعني: سبعون ألف مع كل واحد سبعون ألفاً أيضاً، وهذا من بعثة النبي ﷺ إلى قيام الساعة هذا العدد، وإذا نظرت إليه فهو عدد قليل على كثرة توارد القرون من هذا الأمة، ليس فيهم سوى هذا العدد القليل؛ لذلك قال: (**هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة**) يعني: وفيهم سبعون ألفاً

---

(١) سورة الأنفال:١٧.

يدخلون الجنة بغير حساب.

(ثم نهض فدخل منْزله) يعني: لما قال ذلك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قام ودخل بيته، يعني: لما ذكر هذه المزية العظيمة .

(فخاض الناس في أولئك) يعني: تكلم الناس، وهذا يدل على عمق وإيمان وعلم الصحابة ﭫ ؛ لعلمهم بأنه لا أحد يحصل لهذه المرتبة إلا بالعمل؛ لذلك كل واحد يذكر عملاً فاضلاً مما هو في نظره؛ لذلك قال: **(فقال بعضهم)** يعني: بعض الصحابة بعضهم لبعض يقول: ما هي الأعمال التي عملها أو يعملها السبعون ألفاً حتى يدخلون الجنة بغير حساب .

(فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ) يعني: بعض الصحابة قال: لعل أولئك هم نحن الصحابة؛ لأن الصحبة لها منزلة عالية، وليست هذه المنزلة توجد بعد وفاة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعني: هذه المنزلة منزلة زمنية قصيرة ثم تنتهي، ومن وجد في ذلك مؤمناً وعده الله ﻷ بدخول الجنة، كما سبحانه ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[1] وهذا يدل على علم الصحابة بعلوا منزلة الصحبة؛ لهذا عمر بن عبدالعزيز من التابعين، ومعاوية من الصحابة، قال الإمام أحمد: شعر في أنف معاوية خير من عمر بن عبدالعزيز، ويروى عنه أنه قال: غبار قدم معاوية خير من عمر بن عبدالعزيز؛ لفضل الصحبة.

---

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

لذلك قال شيخ الإسلام عنهم: (**لا كان ولا يكون مثلهم**) يعني: الصحابة ﭫ ، ويكفيك شرفاً أن الله ﻷ بشرهم بالجنة وهم أحياء، قال سبحانه: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ﴾[1] قال سبحانه: ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾[2] يعني: جميع الصحابة وعدهم الله بالجنة، قال ابن حزم: (**أجمع العلماء على أن جميع الصحابة في الجنة**) .

(**وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً**) لأنهم علموا فضيلة الإسلام؛ لأن بعض الصحابة ولد ثم عاش في الشرك، ثم لما أتت بعثة النبي ﷺ آمن، فمن كان مسلماً أعظم أجراً ممن وقع في الشرك، ثم أسلم؛ لذلك الله ﻷ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾[3] .

(**وذكروا أشياء**) يعني: كل واحد منهم يذكر عملاً، يظن أنه هو الذي يدخل أولئك في السبعين ألف .

(**فخرج عليهم رسول الله ﷺ**) لا زال المصنف ﬀ يتحدث عن حديث حصين بن عبدالرحمن، فلما ذكر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للصحابة بأن سبعين ألفاً

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) سورة الحديد: ١٠.

(٣) سورة الحديد: ٢٨.

يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، خاض الصحابة في أولئك، وبدأوا يتحدثون، ما هي صفات أولئك القوم الذين أعطوا هذه الخاصية العظيمة، وهم يخوضون في ذلك ويتحدثون، خرج عليهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وهذا يدل على عظم همة الصحابة ﷺ في البحث عن أسباب ووسائل الرفعة عند الله ﷻ ، ومن ذلك دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(فأخبروه) بأنهم يتحدثون عن أعمال أولئك، ويخوضون فيها ما هي، وأنها خفيت عليهم .

(فقال: هم الذين لا يَسْتَرقون) لما ذكروا للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنهم يخوضون في أولئك، بين لهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما هي صفات وأعمال الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم الذين حققوا التوحيد المندوب؛ لأن تحقيق التوحيد إما أن يكون واجباً كما سبق من الشرك الأكبر والبدع والمعاصي، وتحقيقا لهو بترك ما لا بأس به مما به بأس، ومعنى هذا يعني: تحقيق التوحيد المندوب ترك ما لا بأس به، يعني: تركوا شيئاً ليس محرماً، وإنما تركوا شيئاً مباحاً أو تركوا شيئاً مكروهاً، مما به بأس: مما ينزل درجتهم عن تحقيق التوحيد المندوب، لكن لو فعلوا ما سبق من الأمور المباحة من طلب الرقية وترك الكي، فإنما هم لم يفعلوا شيئاً محرماً، وإنما تركوا هذه الأمور المباحة طلباً فيما عند الله ﷻ ؛ لذلك قال: «**هم الذين لا يَسْتَرقون**» يعني: كأنه يقول: هم الذين يتوكلون على الله ﷻ

توكلاً قوياً، منجذبة قلوبهم إلى الله سبحانه.

ومن ذلك لا يسترقون يعني: لا يطلبون من أحد أن يرقيهم إذا مرضوا، والرقية مباحة، فقد رقى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نفسه، ورقى من قبل جبريل وميكائيل، فالرقية لا بأس بها، لكن لا أن يرقي الإنسان نفسه، وإنما الأقل منزلة أن يطلب الإنسان من غيره أن يرقيه الرقية الجائزة لو بالقرآن، فكون الإنسان يتنزل إلى غيره، ارقني ولم يتوكل على الله في ذلك، ينزل عن مرتبة تحقيق التوحيد المندوب، وليس معنى ذلك أن الرقية بالقرآن محرمة، لا، وإنما ترك طلب الحاجات من الناس يعلوا الإنسان بها مرتبة، ومن ذلك طلب الشفا من الآخرين، وإن كان ذلك مباحاً، لكن تركوا ما لا بأس به وهو مباح، مما به بأس مما ينقصهم من تلك الدرجة.

فقال: «هم الذين لا يَسْتَرقون» فطلب الرقية تنقص الدرجة، ولو رقى الإنسان نفسه لا بأس به، ولو أن الإنسان إذا لم يرقي نفسه أو يذهب للطبيب للعلاج، وتوكلوه ليس قوياً، ينقصه عن التوكل بالله، ويؤدي به إلى التجزع والتسخط وعدم الإيمان بالقضاء والقدر، نقول في حق هذا الرجل: أن يطلب الدواء من غيره أفضل في حقه في أن يتصبر ويتجزع القضاء والقدر؛ لأن القضاء والقدر الإيمان به ركن من أركان الإيمان، فلا يفعل المرء شيئاً يخل بإيمانه بطلب أمر مندوب، لكن من وجد له إيماناً قوياً، وقال: أنا لا أريد أن يرقيني غيري، أو

أطلب الشفاء من غيري، متوكل على الله توكلاً قوياً وأدعوه، نقول في حق من كان هذه صفاته: أفضل، لكن عامة الناس ممن يتجزع نقول: طلب الدواء في حقهم أفضل؛ لئلا يقعوا في أمر محظور، أو عدم الرضا بالقضاء والقدر أو التجزع على قدر الله أو عدم الرضا بما كتبه الله عليه؛ لذلك قال: «هم الذين لا يَسْتَرقون».

ثم ذكر صفة من صفات المتوكلين على الله أيضاً توكلاً قوياً، وذكرهم بقوله: **(ولا يكتوون)** يعني: لا يفعلون الكي في العلاج، وإن كان ذلك مباحاً فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمر أن يفصل عرقاً في أُبي وأن يكوى، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**الشفاء في ثلاثة: شربة العسل وشرطة محجم وكية نار**»(١) **وقال** : «**وأنهى أمتي عن الكي**» **وقال**: «**آخر الشفاء الكي**» فدل على أن الكي مباح، لكن تركه توكلا على الله ﷻ إذا حصل مرض أفضل وأولى، فالكي نوع من أنواع العلاج، والفرق بين الرقية في اللفظة الأولى لا يسترقون ولا يكتوون: أن الرقية شفاء معنوي، والكي شفاء حسي، فمن ترك طلب الشفاء من غيره من الأدوية المعنوية أو الحسية توكلاً على الله؛ طلباً لتحقيق التوحيد المندوب، نقول: هذا أفضل في حقه على التفصيل السابق .

(ولا يتطيرون) سيأتي باب خاص بالطيرة بإذن الله، وإنما كانت الطيرة

(١) صحيح البخاري، باب من انتظر حتى تدفن، والحديث رواه ابن عباس رضي الله عنهما، رقم الحديث: (٥٦٨٠)، ٧/ ١٢٢.

ذكرت في داخل التوكل، التطير فيه ضعف، توكل على الله ﷻ بما يغيره من المشؤمات سواء كان بالتطير بالأشهر مثل صفر، أو كان تطير بالحيوانات كالغراب ونحو ذلك، أو تطيراً بأحوال أو ألوان كالأسود ونحو ذلك، أو كثرة الوفيات في أبنائه، إذا سمي اسماً معيناً يموت ابنه، ثم إذا سمي نفس الاسم يموت ابنه وهكذا، فالتطير ينقص التوكل على الله ﷻ وإن كان شركاً، لكنه ذكر في هذا الحديث؛ لأن ضعف التوكل إما أن يكون في فعل أمر مباح في الرقي والكي، أو أمر محرم التطير لذلك قال:

(وعلى ربهم يتوكلون) هذا من عطف العام على الخاص، فمن أمثلة التوكل ترك الرقية ترك الكي ترك الطيرة، إذن من حقق التوحيد الواجب بترك الشرك بنوعيه، وحقق التوحيد المندوب بقوة التوكل على الله ﷻ ، فإنه موعود بأن يكون مع السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فدل على أن من فضائل التوحيد أن من حققه يدخل بغير حساب ولا عذاب، فلا يعذب بالنار البتة، ولا يحاسب على ما فعله من أعمال، قد تكون منقصة له .

(فقام عكاشة بن محصن) لما سمع بأن قوماً من أهل الجنة تكون لهم تلك المزية وهي الدخول بغير حساب ولا عذاب، وهذا يدل على مسارعة الصحابة ﵃ إلى أن يكونوا من أهل الفضائل.

(فقال : ادع الله أن يجعلني منهم) وهذا يدل على عمق التوحيد في قلوب

الصحابة، فما قال: اجعلني أنت منهم، وإنما قال: ادع الله أن يجعلني منهم، ويدل هذا للفظة أيضاً على أنه يجوز أن يطلب الشخص من غيره الحي الصالح أن يدعو له، كما فعل هنا عكاشة بن محصن، لكن الأفضل ألا يطلب الشخص من غيره أن يدعو له لذلك.

قال شيخ الإسلام ﵀: (**ولم يكن كبار الصحابة كالصديق ﵁ وغيره لم يكونوا يطلبون من النبي ﷺ أن يدعو لهم**) وعكاشة بن محصن ﵁ من صغار الصحابة، فكان صغار الصحابة يطلبون من النبي ﷺ ذلك، وليس ذلك بمحرم، لكن الأفضل ألا تطلب من غيرك أن يدعو لك، وإنما اجعل أنت قلبك معلقاً بالله.

(**قال: أنت منهم**) هذا يدل على أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نبي حق، فشهد له بأمر مغيب بأن يكون من أولئك، وقد قتل ﵁ شهيدًا .

(**ثم قام رجل آخر**) يعني يدل على مسارعة الصحابة أن يكونوا من أهل الفضائل، حتى قام رجل آخر (**فقال: ادع الله أن يجعلني منهم . فقال: سبقك بها عكاشة**) يعني لم يدعو له النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بذلك، وهذا يدل على حسن خلق النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومعاملته لأصحابه، فلم يعنفه ولم يؤنبه، ولم يقل أنت لست منهم، وإنما قال بجواب سديد غير مؤلم، قال: **سبقك بها عكاشة**، ويدل أيضاً هذا الحديث على أن المرء إذا فتح له باب خير عليه أن يسارع له، فقد يغلق

هذا الباب، فهنا أغلق هذا الباب برجل سبقه وهو عكاشه، وهكذا فتح أبواب الخير لا تتكرر؛ لذلك قال ابن القيم رحمه الله في فوائد عزوة تبوك: (**فتح أبواب الخير للصحابة، فتخلف كعب وهلال ومرارة بن ربيع ولم يتكرر لهم هذا الغزو، فلم يغزو النبي** عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **تبوك مرة أخرى**) لم يغزو سوى مرة، فإذا فتح باب الخير بادر وسارع عليه فقد يغلق .

باب
الخوف من الشرك

يعني باب وجوب الخوف من الشرك، وذكره بعد باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، أي: أن تحقيق التوحيد لا يكون أيضاً إلا بالخوف من الشرك، وتحقيق التوحيد أيضاً يكون بأمرين :

بالبحث عما يكمل التوحيد، ويكون أيضاً بالبحث عما ينقص التوحيد من أعمال أو أقوال شركية؛ لذلك قال (**إذا سعيت لتحقيق التوحيد فخشى من الشرك فقد يطرى عليك وأنت لا تعلم**).

والمصنف رحمه الله في هذا الباب ذكر آيتين، وثلاثة أحاديث:

الآية الأولى وهو قوله ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ** ﴾[١].

ساقها لبيان خطر الشرك، وأن الله عز وجل يغضب على فاعله، ولا يغفر لمن وقع في ذلك الذنب، ثم ذكر قول إبراهيم عليه السلام ﴿ **وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ** ﴾[٢]

---

(١) سورة النساء: ٤٨.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٥.

ساقها لبيان أن الأنبياء كانوا يخافون من الشرك كما سيأتي، ثم بعد ذلك ذكر حديث: «**أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء**» لبيان أنه يجب أيضاً على المسلم أن يخاف على نفسه حتى الشرك الأصغر، وليس الأكبر فحسب.

ثم بعد ذلك ذكر حديثين حديث ابن مسعود: (**من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار**) وحديث جابر في مسلم: (**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**) وهو حكم المشرك في الآخرة، وهو أن الجنة محرمة عليه وأنه مخلد في النار، إذن الخوف من الشرك مما سبق كون أن الله لا يغفره وأن الأنبياء يخافونه، ويجب الحذر من جميع أنواع الشرك، وأنه خطير في الآخرة بالتخليد في النار، والشرك ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الشرك الأكبر، وهو الذي ذكره الشيخ رحمه الله في ثلاثة الأصول، قال: (**وهو دعوة غيره معه**) كأن يدعو الشخص الأموات أو الاحياء الغائبين، أو يدعو الحي لكنه غير قادر عليه، كأن يدعو حي يقول له: اغفر لي ذنبي ونحو ذلك، هذا الشرك الأكبر .

وينقسم هذا الشرك الأكبر إلى أعمال، كالطواف والنذر ونحو ذلك، أو أقوال، كأن يقول: يا رسول الله أغثني، أو بالقلب، كأن يعتقد أن غيره ينفع أو يضر، كأن يعتقد الشخص إذا لم يزر قبر الولي الفلاني فإنه سوف تأتيه مصيبة

-والعياذ بالله – فهذا من أنواع الشرك الأكبر .

القسم الثاني : الشرك الأصغر وينقسم إلى قسمين:

قسم ظاهر، وهذا الشرك الظاهر ينقسم إلى قسمين:

إما بالقول، كالحلف بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أو بالفعل مثل: تعليق التميمة، فهو شرك أصغر ظاهر، يعني: نراه بأعيننا ظاهر.

والقسم الثاني: شرك أصغر خفي، يعني: غير ظاهر، وهو الرياء، وإذا قلت أدق يسير الرياء كما سيأتي، ولكن أسهلك، قل: الرياء خفي؛ لأن في القلب لا ندري هل الشخص أخلص لله أم لم يخلص لله، إذن الشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: بالقول وبالفعل وبالقلب، والشرك الأصغر ينقسم إلى قسمين: ظاهر نراه أو نسمعه بالقول أو بالفعل، والقسم الثاني: خفي لا نراه وهو الرياء، وسبق أن تعريف الشرك الأكبر: **دعوة غيره معه** .

وتعريف الشرك الأصغر : كل نص أتى به الشرع بأنه شرك لكن لا يصل إلى الشرك الأكبر، مثل قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**من تعلق تميمة فقد أشرك**» هنا لفظ شرك، لكنه لا يصل إلى الشرك الأكبر بطلب النفع أو الضر، فكان أصغر، ومثل قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» وهنا الحلف بغير الله، إذا كان الشخص حلف بغير الله تعظيماً لذلك الشخص لا أنه ينفع أو يضر، فلم يصل به إلى الشرك الأكبر فهو أشرك أصغر.

إذن كل نص أتى به الشرع بلفظ الشرك ولم يصل به إلى الشرك الأكبر فهو أصغر، والفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

الأمر أول : أن الشرك الأكبر صاحبه مخلد في النار - والعياذ بالله - قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[١] .

الأمر الثاني: الشرك الأكبر - والعياذ بالله - يحبط جميع الأعمال الصالحة، فمن حج أو صلى ثم أشرك تذهب جميع تلك الأعمال الصالحة، قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٢] . وقال سبحانه: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[٣] .

الأمر الثالث : أن الشرك الأكبر ينقل من الملة، فينقل من ملة الإسلام إلى غير الإسلام، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٤].

الأمر الرابع : أن الشرك الأكبر صاحبه لا يدخل الجنة البتة، وإنما مخلد في

(١) سورة المائدة: ٧٢.

(٢) سورة الزمر: ٦٥ .

(٣) سورة الفرقان: ٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ٨٥.

النار هذا الشرك الأكبر .

والشرك الأصغر :

الأمر الأول : من وقع فيه لا ينتقل صاحبه من ملة الإسلام، وإنما يكون مسلماً وإن وقع في الشرك الأصغر فيصلى عليه، ويزوج وتحل ذبيحته وغير ذلك، من الأحكام المترتبة على الإسلام والكفر .

الأمر الثاني : الشرك الأصغر صاحبه لا يخلد في النار وإنما يعذب بذلك الشرك، فالشرك الأصغر لا يكون تحت المشيئة، كالكبائر؛ لعموم قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ** ﴾[1] فإذا أتى صاحب كبيرة كسارق مثلاً، ورجل يحلف بغير الله. نقول: السارق أو الزاني قد يغفر الله له تلك الكبيرة ويدخل الجنة ولا يدخل النار، أما من أشرك بغير الله في الشرك الأصغر لا يكون تحت المشيئة، وإنما يكون تحت الموازنة، ومعنى تحت الموازنة: ينظر إلى حسناته وينظر إلى قدر جرم تلك الشرك الأصغر؛ فإذا ذهب الشرك الأصغر بحسنات كثيرة وبقيت له حسنات لم يدخل النار، وإذا شرك هذا أفنى حسناته يدخل النار، فليس هو تحت المشيئة؛ لذلك يدل على خطر الشرك الأصغر كالحلف بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو الأمانة أو النعمة ونحو ذلك .

الأمر الثالث : الشرك الأصغر لا يحبط جميع الأعمال، وإنما يحبط العمل

(١) سورة النساء: ١١٦.

الصالح الذي قارنه، وقلنا العمل الصالح لأن التميمة مثلاً ليست عملاً صالحاً، وإنما نقول تحبط العمل الصالح الذي قارنها مثل الرياء، ولو أن شخصاً قام يصلي فزين صلاته من أجل الناس تبطل تلك الصلاة فحسب، أما الحج والصوم، لا، ويعاقب على ذلك لأنه وقع في الشرك، لكنه لا يحبط جميع الأعمال، فصاحب الشرك الأصغر يدخل الجنة ولا يخلد في النار كصاحب الشرك الأكبر، ولو أن شخصاً يقع - والعياذ بالله - في القتل والزنا، وشخص آخر يحلف بغير الله، نقول: شرعا الذي يزني ويسرق ويقتل أقل جرماً من الذي يحلف بغير الله.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : **(لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا)** لأن الأول كبيرة، وهو تحت المشيئة، والثاني شرك، والله لا يغفر الشرك، ووجب الخوف من الشرك؛ لأن الشرك هضم للربوبية وتنقص للألوهية وسوء ظن برب العالمين سبحانه وتعالى ، فمن أشرك بالله غيره أضعفت صفات الله في نفسك، فمثلاً: لو حلف شخص بمخلوق، فمعناه أنه لم يرى تعظيم الله عز وجل في قلبه، فرأى أن غير الله أحق بالتعظيم، فهنا تنقصت الله عز وجل في ألوهيته، وهضمت ربوبيته في قلبك، وسوء ظن برب العالمين، فمثلاً: لو أن شخصاً لجأ إلى القبر وطلب منه الشفاء، هنا أسأت الله عز وجل بأنه لا يملك الشفاء، وأن الذي يملك الشفاء من هو مس تحت التراب؛ لذلك كان الشرك الأكبر أمراً خطيراً؛ لأنه فيه طعن لله سبحانه وتعالى ؛ لذلك قال عليه الصلاة والسلام «**لا أحد أصبر من أذى يعني يسمعه الله عز وجل يخلقهم ويرزقهم ويدعون معه غيره**» فيجب على المسلم أن يبتعد عن الشرك سواء كان

الأكبر أو الأصغر، وأن يحذر غيره من الوقوع فيه، فهو أعظم ذنب في الأرض، فلو قاتل شخص ألف نفس، والآخر يأتي إلى القبر ويقول: يا فلان أغثني أو اشفني، نقول: أن الذي قاتل ألف نفس وزنا بألف امرأة وكلهن حملنه منه سفاحاً، هذا أقل جرم من الذي أشرك بالله؛ لذلك لما سئل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أي الذنب أعظم عند الله ؟

قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**» هذا أعظم ذنب، أول أمر في كتاب الله الأمر بالتوحيد: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** ﴾[1] وأول نهي النهي عن الشرك: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿٢٢﴾﴾[2] وقتل من قتل من السل جماً كثيراً؛ لأنهم أمروا بتوحيد الله ﷻ ونهوا عن الشرك، فانظر إلى دماء الأنبياء رخصت من أجل النهي عن الشرك، وإقامة التوحيد، فهم فدوا أنفسهم وأرواحهم؛ لئلا يعصي الله ﷻ بأعظم ذنب، وليحققوا أهم واجب، وهو التوحيد؛ لذلك قال (**باب الخوف من الشرك**) يعني باب وجوب الخوف من الشرك والحذر منه .

---

(١) سورة البقرة: ٢١.

(٢) سورة البقرة: ٢٢.

وقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ** ﴾[(١)] .

يعني لخطره وعظيم جرمه الله ما يغفره، فإذا كان هذا هو الذنب الوحيد من الذنوب الكثيرة التي لا تغفر، دل على عظيم خطره؛ لذلك قال: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾[(٢)] يعني يغفر ما دون ذلك من الذنوب لمن يشاء، إذا شاء غفر له وإن شاء عذبه لعذبه، وهو العزيز الحكيم .

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ **وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ** ﴾[(٣)].

ساق المصنف رحمه الله هذه الآية؛ لبيان أن الأنبياء عليهم السلام يخافون من الشرك، فإذا كان الأنبياء يخافون من الشرك، فغير الأنبياء أولى وأول،ى فإذا كان إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى الكعبة وكسر الأصنام بيده، ومع ذلك يخاف أن يقع من الشرك؛ لذلك قال إبراهيم التيمي رحمه الله **(ومن يأمن الشرك على نفسه بعد إبراهيم)** وكلما قوي توحيد الشخص، كلما زاد خوفه من الشرك، وكلما ضعف توحيد الشخص كلما هان في نفسه الخوف من الشرك، وإبراهيم عليه السلام خاف من الشرك بأمرين :

الأمر الأول : بالدعاء؛ لذلك قال: ﴿ **وَٱجۡنُبۡنِي** ﴾[(٤)] يعني: يا رب اجعل

---

(١) سورة النساء: ١١٦.

(٢) سورة النساء: ١١٦.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٥.

(٤) سورة إبراهيم: ٣٥.

عبادة الأصنام في جانب وأنا في جانب، ما قال: لا أعبدها، لا. حتى لا أراها، وهذا من عظيم التوحيد، وهذا الدعاء ليس مختصراً لنفسه، وإنما لعلمه لضرره قال: ﴿ وَبَنِيَّ ﴾[1] يعني: حتى أبنائي لا يعبدون يا رب جنبهم عبادة الأصنام، ﴿ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[2] فخوف إبراهيم عليه السلام من الشرك بأمرين: الأمر الأول: بالدعاء له ولذريته .

الأمر الثاني : خافها إبراهيم في الآية التي بعدها: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[3] فإذا كان الكثرة من الناس هي الضلال، فخاف إبراهيم على نفسه أن يكون مع أولئك الكثرة، فيا رب أبعدني عنهم ولا تجعلني منهم، فإذا كان هذا دعاء إمام الحنفاء وإمام الموحدين، فغيرهم أحرى وأولى من الخوف من الشرك، وأن يدعو المرء لنفسه بأن يبتعد عن الشرك؛ لذلك من الدعوات التي ينبغي للمسلم أن يدعوها (**ربي اجعلني من عبادك المخلصين**) يعني: اجعلني مخلصاً، وأعمالي اجعلها لك يا رب.

ويدعو الشخص أيضاً ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[4] فهذه دعوة

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٥.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٥.

(٣) سورة إبراهيم: ٣٦.

(٤) سورة إبراهيم: ٣٥.

عظيمة من إمام عظيم، والله يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[1] فيدعو الشخص بما دعوا به أولئك، **وفي الحديث** : «**أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر ، فسئل عنه؟ فقال : الرياء**».

(**وفي الحديث**) يعني الحديث الذي رواه الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: (**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء**) يأتي إنشاء الله باب خاص باب الرياء، وهنا ساقه المصنف رحمه الله في باب الخوف من الشرك، وساق المصنف رحمه الله هذا الحديث في هذا الباب؛ لبيان أنه يجب أيضاً الخوف من الشرك الأصغر، وليس مختصراً على الشرك الأكبر؛ لذلك قال: «**أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر**» فالنبي ﷺ خاف على أصحابه الرياء؛ لذلك قال في تفسير العزيز الحميد (**فدل على أن الرياء أخوف ما يخاف على الصالحين**).

والشيطان يشم ويتتبع قلوب الخلق، ويوقع في قلوبهم ما يفسد أعمالهم الصالحة أو ينقصها، فمثلاً: شخص يذهب إلى التجار ويقذف في قلوبهم حب الغش والكذب، ويذهب مثلاً إلى من يحب كثرة الكلام إلى إلقاء في لسانه كثرة الغيبة والنميمة، وهكذا، ويذهب إلى أولئك الزهاد الصالحين الذين ليس لهم ما في البيع ولا الشراء، وإنما هم منقطعون إلى الله بالأعمال الصالحة ليفسدها لهم بالرياء، لذلك قال: «**أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال:**

---

(١) سورة الأنعام: ٩٠.

الرياء» فدل على أن الشرك قد يخفى على الصالحين علمه؛ لذلك الصحابة ﭫ سألوه النبي ﷺ عن ذلك، ما هو الشرك الأصغر؟ فقال: الرياء، والرياء المراد به أن يروه الناس بأعينهم هذا الرياء، ويدخل في ذلك - كما سيأتي إنشاء الله - في باب الرياء يدخل في الشرك الأصغر الرياء والسمعة، يعني المرآة بالبصر في طول الصلاة ونحو ذلك، أو بالسمع كتحسين قراءة القرآن وكثرة الذكر وهكذا، فالرياء ليس مختصراً على البصر فحسب، كما سيأتي لذلك النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**من يرائي يرائي الله به بالبصر، ومن يسمع يعني يريد أن الناس يسمعه يسمع الله به**» .

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «من مات وهو يدعو من دون الله ندًا ؛ دخل النار» [رواه البخاري].

ساق المصنف رحمه الله هذا الحديث كما سيأتي حديث جابر لبيان حكم الشرك في الآخرة وهو أن صاحبه يكون من أصحاب النار والعياذ بالله ولا يدخل تحت المشيئة لذلك قال (**وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا»** من الأوثان أو الأصنام الأولية أو الصالحين وغير ذلك، «**دخل النار**» فإذا كان الشرك يؤدي إلى النار، فيجب على الشخص أن يخافه؛ لأن النار وصفها الله عز وجل بقوله: ﴿ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾[1] وهي تحرق الجسد، فيجب على المسلم أن ينقذ نفسه من ذلك الوعيد.

---

(١) سورة القارعة: ١١.

ولمسلم : عن جابر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

ساق المصنف ﵀ هذا الحيث أيضاً؛ لبيان حكم الشرك في الآخرة وثواب الموحد، فالشرك يؤدي صاحبه إلى النار، والموحد مآله إلى الجنة؛ لذلك قال: (**ولمسلم عن جابر ﵁ أن رسول ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة»**) وشيئاً نكرة بسياق النفي تفيد العموم، لا يشرك به شيئاً يعني: أي شيء من أنواع الشرك .

«**ومن لقيه يشرك به شيئاً**» أي شيء، أي نوع من أنواع الشرك.

«**دخل النار**» - والعياذ بالله - فدل على وجوب الخوف من الشرك؛ لأن هذا الذنب يؤدي إلى النار ولا يدخل تحت المشيئة ولا يغفره الله ﷻ.

ثم المصنف ﵀ بهذا انتهى من باب الخوف من الشرك، ويليه باب الدعاء إلى شهادة أن لا إلا الله .



باب
الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

أي باب وجوب الدعاء إلى التوحيد، والمصنف رحمه الله وضع في هذا الباب آية وحديثين.

الآية ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾[1] لبيان أن نهج الأنبياء هو الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، وحديث ابن عباس؛ لبيان أول ما يبدأ به هو التوحيد في حال الأمن، ثم ساق حديث سهل بن سعد؛ لبيان أن أول ما يبدأ به في حال الحرب أيضاً هو التوحيد، فدل على أن التوحيد هو أول ما يبدأ في جميع الأحوال لذلك قال:

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾[2].

يعني ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لجميع الناس ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ ﴾ وطريقي ونهجي ما هو هذا الطريق ﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ أي: على برهان ويقين من الله عز وجل ، لا عن جهل ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ ندعوا إلى الله عز وجل .

فإذا قيل ما هو الدليل على أن نهج الأنبياء هو الدعوة إلى التوحيد نقول بقية

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

الآية ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾[1] أي أنزه الله وأدعوا إلى تنزيه الله بدعوة الناس إلى إفراد الله بالوحدانية ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] لأن الداعي لا يصلح أن يكون مشركاً، فمضمون الآية: أنا موحد وصحابتي كذلك، وأدعوا أنا وإياهم إلى توحيد الله ﷻ، فدل على أن نهج الأنبياء وهو الدعوة إلى التوحيد .

فإذا قال لك شخص: لماذا تدعوا إلى التوحيد؟ نقول: لأنه نهج الأنبياء، فإن قال: ما هو الدليل؟ نقول: هذه الآية .

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) سورة يوسف: ١٠٨.

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال له : «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه : شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله - ، فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة. فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » أخرجاه.

(**عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن**) وكان ذلك في السنة العاشرة معلماً وقاضياً لهم، فإذا قيل: كيف يخرج من المكان الفاضل وهو المدينة إلى مكان مفضول وهو اليمن، كما هو في هذا الحديث؟ نقول: إذا كان الشخص في مكان هو أتقي لله عز وجل فيه يكون فيه حتى ولو كان المكان فاضلاً، وإذا كانت المصلحة متعدية، فالأفضل أن يخرج من المكان الفاضل إلى المكان المفضول؛ لذلك بعث النبي عليه الصلاة والسلام معاذاً إلى خارج المدينة، لكن لمصلحة عظيمة وهي الدعوة إلى هذا الدين، وكذا بعث ابن مسعود رضي الله عنه ليعلم الناس وهكذا، فيدل على أن مشروعية بعث الدعاة إلى الأمصار لتعليم الناس الدين، ويدل أيضاً على أن البلدان تتفاوت من حيث العلم، ولكن هذا التفاوت قد ينتقل، فقد تكون بلدة فيها علم وفي قرن آخر يقل فيها العلم وهكذا، وهذا من فضل الله؛ لئلا

يكون العلم في مكان أو نسب واحد، وإنما يتنقل، والله ﷻ هو أعلم بالقلوب فيما يستحق التشريف بالعلم .

(**قال له**) يعني أعطاه النبي ﷺ خبراً؛ لتوطئته على ما سيدعو، وهكذا إذا أراد شخص أن يدعوا غيره، وكان معه رفيق أو نحو ذلك من أهل البلد، يقول له: أن أهل البلد محتاجون للحديث عن الأمر الفلاني، وهكذا؛ لذلك النبي ﷺ أخبر ما هو الأمر الذي يحتاجه أهل اليمن هناك.

(**إنك تأتي قوما**) يعني ستأتيهم، فخذ الأهبة في العلم، وفي استحضار الحجج ونحو ذلك.

(**من أهل الكتاب**) فدل على أن توحيد الله ﷻ قد يخفى على من كان عنده علم، فهنا أهل الكتاب أصحاب علم، خاصة اليهود، ومع ذلك يخفى عليهم، أو يستكبرون عن الانقياد للتوحيد، لذلك قال: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، عندهم كتاب وعلم، ومع ذلك (**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**) لأنه يجهلونها، فدل على أنه أول ما يدعا إليه هو التوحيد في حال الأمن، وكذا كما سيأتي في حال الحرب، ولا يخلو حال الناس من حال حرب أو أمن، أي: في جميع الأحوال أول ما يبدأ به هو التوحيد.

(**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**) يعني: تعليم الشهادة، ودعوتهم بالعمل بمعنها، وتحذرهم مما يناقضها (**وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله**)

يعني: تفسير الشهادة هي الدعوة إلى توحيد الله، فالشهادة هي علامة وسمة التوحيد، فشعار التوحيد هو لا إله إلا الله، ولا يعلم توحيد الشخص الذي في القلب من غيره إلا بإظهار هذه العلامة، وهو كلمة الشهادة لا إله إلا الله .

(فإن هم أطاعوك لذلك) يعني: فإن استجابوا ووحدوا الله ﷻ ، فأمرهم بالصلوات الخمس، وهذا يدل أولاً على التدرج في تعليم الآخرين، ويدل أيضاً على إن لم يوحدوا الله لا تدعوهم إلى بقية الطاعات؛ لأن الطاعات لا تنفع مع الشرك.

فإذا قيل: إن لم يستجيبوا لي للتوحيد، يعني لا آمرهم لا بالصلاة ولا الزكاة؟ نقول لا .

وإنما استمر على دعوتهم للتوحيد؛ لذلك قال: فإن هم أطاعوك لذلك، فإن عصوك لا تنتقل إلى تعليمهم الصلاة.

(فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة) وهذا من فضل الله ﷻ أن شرع تلك الصلوات؛ لتكون صلة العبد بربه قوية، وخصة الله ﷻ الصلوات من بين الشرائع الإسلام بخصائص لا توجد في غيرها، فلا يوجد شعيرة لها آذان سوى الصلاة، ولا تفعل هذه العبادة خلف رجل إلا الصلاة، وشرعه في السماء، وكلمه الله ﷻ فيها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كفاحاً من غير واسطة، ولعظمتها كانت خمسين صلاة ثم خففت، ويؤمر بها الذكر والأنثى،

والعبد والحر، والغني والفقير، ولا يعذر منها إلا المجنون أو الحيض أو النفساء فحسب، ولا توجد عبادة من أركان الدين العملية سوى في الصلاة، ولم يتخلف النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوماً من غير عذر عن أداء صلاة الجماعة، فلم يتخلف إلا في حال مرضه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، حتى في السفر يصليها، فدل على أهمية الصلاة ووجوبها جماعة في بيوت الله ﷻ ، كما قال ﷻ ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[1] ولا توجد هناك شعيرة فيها الأمر بضرب الصغير سوى الصلاة، مما يدل على عظم شأنها وأهميتها عند الله ﷻ .

(**فإن هم أطاعوك لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**) والمراد بذلك يعني الزكاة المفروضة، وهذا يدل على التدرج، شهادة ثم صلاة ثم الزكاة.

(**فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم**) فيما تتوفر فيه أداء الزكاة.

(**فترد على فقرائهم**) أخذ بعض أهل العلم من هذا، أن الأفضل في الزكاة، ألا تنقل من البلد الذي فيه المال.

(**تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**) هذا الأفضل، لكن لو نقلت في مصلحة، لا بأس .

---

(١) سورة النور: ٣٦.

(**فإن هم أطاعوك لذلك ؛ فإياك وكرائم أموالهم**) يعني إذا أدوا الزكاة لك، فلا تأخذ أنفس ما عندهم من الزكاة، مثل من بهيمة الأنعام فلا يأخذ مثلاً الشاة الكبيرة السمينة، وإنما يأخذ الوسط.

(**فإياك وكرائم أموالهم**) يعني الأنفس من أموالهم، سواء من بهيمة الأنعام أو غيرها، كذلك مثلاً في زكاة التمر، لا يأخذ أنفس ما فيه، وإنما المتوسط، وهذا من عدل الإسلام، فإنه لا يريد الإضرار بالغني، وإنما يريد تطهير مال الغني ونفع الفقير.

(**واتق دعوة المظلوم**) لأنه ذهب هناك قاضياً، فقال: (**واتق دعوة المظلوم**) اجعل بينك وبين هذه الدعوة وقاية، وهي العدل وعدم التسرع في الحكم، ودعوة المظلوم ليس خاصاً بمن يحكم عليه مثلاً بمن يتقاضى، أو بمن يأخذ حقه قهراً ونحو ذلك، وإنما هذا عام في كل مظلوم، سواء من قبل الأجير مع مؤجره، أو من قبل الزوج مع زوجته إذا ظلمها، أو الزوجة مع ظلم أبنائها، أو ظلم الأفراد مع بعضهم البعض وهكذا.

وهذا الحديث عظيم «**واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله**» وهذا وعد نبوي بأن دعوة المظلوم مستجابة؛ حتى لو كان المظلوم كافراً فتستجاب دعوته، وقد يعذب الله ﷻ الظالم ولو لم يدعو المظلوم عليه، كما في قصة البستان في سورة القلم ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾[(١)] لما هموا بظلم الفقراء

(١) سورة القلم: ١٩ - ٢٠.

بمنع حقهم أتاهم العذاب.

الشاهد في هذا الحديث: **(فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)** فمن حل في بلد، أول ما يتكلم به الإنسان بتوحيد الله ﷻ وأركان الإيمان والإسلام، وهذا خير ما يتكلم به، فهو من أصول الدين .

ولهما : **عن سهل بن سعد** ﵁ **أن رسول الله** ﷺ **قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ؛ يفتح الله على يديه ». فبات الناس يدوكون ليلتهم ؛ أيهم يعطاها . فلما أصبحوا ؛ غدوا على رسول الله ﷺ ، كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب؟ فقيل : هو يشتكي عينيه . فأرسلوا إليه فأتي به ، فبصق في عينيه ، ودعا له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، وقال : «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله ! لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ».**

قوله: يدوكون أي : يخوضون .

هنا يذكر لما ذكر أنه أول ما يدعوا إليه في حال الأمن التوحيد، عقبه بعد بحديث سهل، بأنه حتى في حال الحرب أول ما ندعوا الكفار إليه قبل قتالهم التوحيد، فدل على أهمية هذا الأمر.

(**ولهما عن سهل بن سعد** ﵁ **أن رسول الله** ﷺ **قال يوم خيبر**) يعني في غزوة خيبر، وخيبر تقع شمال المدينة بقرابة مئة وخمسين متراً عنها، والراية التي يحملها الجيش، وكانت في السابق هي إن سقطت علامة انهزام الجيش، فلا تعطى إلا للشجعاء من أهل القتال، وكانت راية النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في القتال سوداء، ولواؤه يعني: الذي عنده لونه أبيض الراية لعموم الجيش، يحملوها أشجعهم،

واللواء يوضع عند النبي ﷺ يعني: هذا مكان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في القتال، وهذا يدل على شجاعته، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: **(لأعطين الراية)** يعني: أعطيه راية الجيش.

(غداً) يعني اليوم المستقبل.

(رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وهذا يدل على أن الله عَزَّوَجَلَّ يُحب ويُحب **(يحب الله ورسوله)** يعني: هذا المؤمن الذي سوف أعطيه يحب الله ورسوله، والله عَزَّوَجَلَّ أيضاً يحبه ورسوله يحبه، وليس الشأن في ادعاء محبة الله عَزَّوَجَلَّ أو رسوله، وإنما الفخر إذا كان الله عَزَّوَجَلَّ يحبك، فالإنسان يسعى بالطاعات ليحبه الله عَزَّوَجَلَّ ، ومن أحبه الله رضي عنه وأدخله جناته، أما ادعى المحبة بالعصيان فالله يقول: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] .

(يفتح الله على يديه) يعني: حصون خيبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال ذلك وهم خارج حصون خيبر، وكان فيها اليهود، وفي هذا علم من أعلام النبوة، بأن الحصن سيفتح، وفيها أيضاً علم من أعلام النبوة بأن النبي ﷺ أخبر بشيء مغيب، وهو أن هذا الرجل يحب الله ورسوله، وأيضاً أمر بأن الله يحبه وهو في السماء، وهذا يدل على صدق نبوة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

(فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها) يعني: يخضون ليلتهم يدكونها

(١) سورة آل عمران: ٣١.

ويتحركون فيها، ويذهبون ويؤتون (**أيهم يعطاها**) هذه الراية، هنا بشروا ببشارتين:

البشارة الأولى : بأن ذلك الرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله .

البشارة الثانية : ديني، وفيه دنيوي، وهو أن الحصن سيفتح .

فخاض الصحابة في الأمر الأول، فدل على أن الصحابة يتنافسون على الأمر الفاضل إذا كان هناك مفضولٍا، فلم يفرحوا ويتكلمون بفتح الحصن، وإنما تكلموا في تلك المنقبة العظيمة لماذا ؟ لأن تلك المنقبة خاصة لشخص معين، أما فتح الحصن لجميع المؤمنين، فهم ينظرون إلى المنقبة الخاصة التي سيعطاها ذلك الرجل، ويدل على أن الشخص عليه أن يبادر إلى المنافسة في الخيرات، فلما قال ذلك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما تكاسلوا، بل سعى كل واحد منهم أن ينال تلك المنقبة.

(**فلما أصبحوا**) يعني: طول الليل وكل واحد منهم يريد أن ينال ذلك الفضل العظيم.

(**غدوا على رسول الله ﷺ**) يعني: ذهبوا إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

(**كلهم يرجو أن يعطاها**) وهذا يدل على تنافسهم ﷺ للخير، ومسارعتهم له.

(**فقال: أين علي بن أبي طالب**) يعني: سأل عن علي بن أبي طالب.

(**فقيل: هو يشتكي عينيه**) من الرمد ما يستطيع أن يأتي.

(فأرسلوا إليه) وفي لفظ: **(فأرسل إليه)** يعني: يأتون به؛ لأنه لا يستطيع المشي لضعف البصر، أو عدم القدرة على فتح العينين من الرمد.

(فأتي به) إلى النبي ﷺ **(فبصق في عينيه)** يعني تفل في عينيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فبرأ كأن لم يكن به وجع، يعني شفي من ذلك المرض، كأنه لم يصب بذلك المرض قط، وهذا فيه آية من آيات النبوة، أن المريض بأمر الله شفي بذلك الفعل، وهذا خاص بالأنبياء **(ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع)** يعني: كأن لم يكن به وجع من قبل .

(فأعطاه الراية) وهذا يدل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، فقد يأتي الرزق لشخص لم يسع إليه كعلي، رجل فيه رمد وما يستطيع أن يأتي إلى طليعة الجيش، وغيره قوي، وأتي إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأمامه، ومع ذلك أعطي ذلك الرجل الذي لم يأتِ، فرزق الله عَزَّ وَجَلَّ ، إن حل لم يمنعه أحد، ورزق الله عَزَّ وَجَلَّ قد يأتيك بدون فعل السبب، ويدل أيضاً على أن الشخص لا يحصل الرزق بمجرد السعي في الكسب، فهؤلاء سعوا إلى الكسب في الليل لم يناموا وتمنونها، ثم أتوا النبي ﷺ كل واحد منهم يتطلع أن ينالها، ومع ذلك لم ينالوها، والفضل بيد الله كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[1] وقد يكون جنين في بطن أمه، يملك من المال الشيء الكثير بوفاة مورثه، وقد يبلغ الشخص في الحياة عتياً

---

(١) سورة آل عمران: ٧٣.

ويكدح في كسب الرزق ويموت وعليه دين، فرزق الله لا يجره حرص حريص، لكن الشخص يسعى لكسب الرزق، ويدعو الله ﷻ بأن يهبه الرزق الحلال الواسع .

فأعطاه الراية؛ لأن علي بن أبي طالب ﵁ شجعاء الصحابة، فأعطاه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الراية ليحملها، وسوف يقدم على قتال اليهود، علي ﵁ صغير السن، يعني: وقت الهجرة كان عمره ثمانية عشرة عاماً، يعني في حال تلك الغزوة عمره قرابة ثلاث وعشرون عاماً، ومع ذلك وهو في شبابه فاق غيره في ذلك الأمر، والفضل بيد الله سبحانه.

(وقال: انفذ) يعني: سير واذهب إلى حصون القوم، ولكن **(على رسلك)** يعني: على تأني وتمهل وعدم رفع صوت أو صخب؛ لأن الإسلام ليس فيه فزع ولا تخويف للآخرين، وإنما الإسلام يذهب إلى حصون الآخرين وغيرهم؛ ليعرض عليهم الدين، ولا يتشوف إلى قطع الرقاب، فإذا دخلوا في الدين يكف المسلمون عن قتالهم كما سيأتي .

(حتى تنزل) يعني: حتى تنزل قريب من حصونهم.

(بساحتهم) الساحة: مكان خارج الحصن أو خارج الجدر، يعني: سر فإذا قربت من حصونهم، توقف هناك، فإذا توقفت **(ثم ادعهم إلى الإسلام)** يعني: توقف، ثم ادعهم إلى الإسلام، فيدل على أن الإسلام لا يتشوف لقتل النفوس،

وإنما مقصده دعوة الناس، الآن جيش قوي ويحاصر قوماً في قومهم، فالعلامات الظاهرة انهزام أولئك القوم المحاصرين، ومع ذلك الإسلام لا يريد قطع أعناقهم، ندعوهم للإسلام أولاً، وهذا من عظمة الإسلام، ولو بث الإسلام إلا العالم على حقيقته لدخل الناس في دين الله أفواجاً، ولو بين مثل هذا الحديث لغير المسلمين؛ لعجبوا منه وأحبوا الدين.

(**ثم ادعهم إلى الإسلام**) يعني: وهم محاصرون ادعوهم إلى الإسلام، فدل على أن أول ما يدعا إليه في حال الحرب الإسلام، لا يدعا إلى الصلاة ولا إلى الزكاة، فإذا تشهدوا ودخلوا في الدين، فكف عن قتالهم، وإذا كانت الدعوة لم تبلغ أولئك القوم من قبل فيجب وجوباً عرض الإسلام عليهم، وإذا كان قد بلغهم مثل خيبر، فيندب أن يعرض عليهم مرة أخرى لعلهم أن يسلموا .

(**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**) يعني ادعهم إلى الإسلام، فإذا دخلوا في الإسلام وتشهدوا، أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه في الإسلام، يعني: أخبرهم بواجبات الدين من الصلاة والزكاة والصوم وبقية الشرائع، لكن الإسلام، ثم ادعهم إلى الإسلام يعني التوحيد، وأخبرهم بعد ذلك ببقية الشرائع .

(**فوالله**) وهذا يدل على جواز الحلف على الأمر الديني، كما حلف النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هنا، أما الأمر الدنيوي فالله يقول: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾[1]

---

(١) سورة المائدة: ٨٩.

وكما سيأتي في آخر كتاب التوحيد بأن كثرة الحلف بالله ﷻ ، وإن كان الشخص صادقاً هذا يقدح في التوحيد؛ لأن المعظم لا يحلف إلا في أمر عظيم، أما يُحلف به في كل حين، فليس هذا من التعظيم .

(**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً**) ممن يدخل في الدين، أو ممن هو على الدين لكن استقام (**خير لك**) وأفضل (**من حمر النعم**) يعني: خير لك من الجمال الحمراء التي كانت تتفاخر العرب بتملكها لنفاستها، وهذا يدل على تشبيه أمور الآخرة بالدنيا، فهناك أجر عظيم في الآخرة، فشبه ذلك الأجر ببهيمة الأنعام الجميلة البهية العظيمة؛ لتقريب تلك المسائل إلى النفوس، يعني: أيها أبلغ فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً فالله يعطيك أجراً عظيماً، أو عند العرب يتفاخرون بالإبل والأنعام إذا هدى الله ﷻ على يديك رجلاً واحداً، خير من نعم عظيمة بهية يتمناها الأثرياء منهم، لاشك أن الأمر الثاني أبلغ، وهذا من أساليب الدعوة إلى هذا الدين، تقريب الأمور والثواب ونحو ذلك إلى العقل؛ ليبادر الشخص للعمل.

فتبين من هذا الباب أن أهم ما يدعا إليه هو التوحيد، وأول ما يبدأ به هو التوحيد، وهو الميثاق الأول الذي أخذ على بني آدم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1] توحيد .

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

وهو أول أوامر التي أخذت بالمواثيق على بني اسرائيل، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ _ ثم _ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1] وهو الذي يفطر عليه جميع الخلق، كما قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2].

(قوله يدوكون أي: يخوضون) يعني: في قوله يدوكون ليلتهم، أي: يخوضون بالقول، ويخوضون أيضاً بالفعل وبالحركات، يذهبون ويأتون .

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

باب
تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

يعني: هذا باب فيه بيان تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله، هذا من باب عطف الدال على المدلول، مالذي يدل على التوحيد؟ وهو الشهادة، فلا نعرف شخص موحدًا إلا إذا نطق بالشهادة، فهي التي تدل على التوحيد؛ لذلك قال: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، من عطف الدال على المدلول، وهو الأصل، وهو توحيد الله ﷻ، وإن كان المصنف ؒ بين تفسير التوحيد في أول الكتاب عند قوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(١)] ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[(٢)] ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[(٣)] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[(٤)].

لكن هنا لمزيد بيان التوحيد لأهميته؛ لأن كثيرًا من الناس لا يعلم ما معنى

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام: ١٥١.

(٤) سورة الإسراء: ٢٣.

التوحيد، أو ما يدل عليه، ولا يدلك على ذلك أنك ترى كثيرًا ممن يدعوا غير الله من أصحاب القبور وغيرهم يطوف ويدعوه ويدعوا غيره، ويقول: لا إله إلا الله لأنه لا يعلم ما معنى هذه الكلمة، لو كان يعلم ماهي هذه الكلمة وهي التبري من بطلان الآلهة غير الله؛ لما فعل ذلك؛ لذلك قال: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله .

والمصنف رحمه الله بديع في التصنيف، يعطيك آيات يشير إليها أو أحاديث يشير في معناها، وهذا من ذكاء المصنف رحمه الله ؛ لذلك يشبهه العلماء في استنباطاته بالبخاري، فهنا فسر التوحيد بآيات يفهم في معناها، تفسير التوحيد صراحة أو في مفهومها فذكر: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[1] يعني: كأن يقول لك تفسير التوحيد تعريفه بضده وهو الشرك .

ثم ساق الآية الثانية: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴾[2] لبيان أن تفسير التوحيد هو إفراد الله ﷻ بألوهيته، والتبري من ألوهية غيره، يعني: لابد إفراد بالألوهية .

ثم بعد ذلك بين الطاعة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3] أن تفسير التوحيد هو طاعة الله ﷻ وحده، لا الخاصة، ومن

---

(١) سورة الإسراء: ٥٧.

(٢) سورة الزخرف: ٢٦.

(٣) سورة التوبة: ٣١.

أحب غير الله لم يعرف التوحيد ولم يحققه .

ثم بعد ذلك ذكر الحديث: (**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه**) لبيان أن تفسير التوحيد أيضاً لا يكون إلا بالكفر بالطاغوت، فبين ﷺ خمسة أمور توضح التوحيد.

وقول الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾[١] الآية.

أول الآية ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾[٢] .

﴿ قُلِ ﴾ يعني: يأيها المشركون ﴿ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ يعني: من الأموات والأشجار والأحجار، لكن هنا من المخلوقين ﴿ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ ﴾ يعني: لا يزولنه، أي: المرض عنكم ﴿ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴾ يعني: لا ينقلونه منكم إلى غيركم، لماذا؟ لضعفهم، يعني: لضعف المدعوين حتى ولو كانوا أحياء فلا يستطيعون ذلك؛ لأن ذلك من خصائص الربوبية .

ثم بعد ذلك الله ﷻ قال: إذا أنتم تدعون هؤلاء الصالحين أو الأنبياء الأموات؛ لكونهم قربوا من الله ﷻ فقال الله لهم: أنتم كونوا مثلهم في الطاعات لتقربوا من الله ﷻ ولا تقربوا من أولئك الأموات، لذلك قال ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ﴾ أي: الذين تدعونهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ يعني: أولئك

---

(١) سورة الإسراء: ٥٧.

(٢) سورة الإسراء: ٥٦-٥٧.

المدعون في حياتهم يبادرون إلى طلب الأعمال للقربة من الله ﷻ ﴿أَقْرَبُ﴾ كلهم يتنافس إلى الأعمال الصالحات، أي: فكونوا أنتم مثل أولئك لتصلوا إلى مرتبتهم، وذلك بإفراد الله بالعبادة ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ يعني: أولئك الأموات لما كانوا في حياتهم يخافون من عذاب الله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ فدل على أن دعوة الأموات شرك، فتفسير التوحيد هو عدم دعوة الأموات، وإنما لا يدعوا إلا الله، لذلك المصنف في تفسير الشهادة هنا أخذها بضد الشهادة، فإذا قال لك ما هو الشرك فضده هو التوحيد.

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ (١) الآية.

يعني أن تفسير التوحيد هو إفراد الله بألوهيته فحسب، أما أن نجعل الألوهية لغيره في جلب النفع ودفع الضر، فليس بتوحيد، وإنما هو شرك ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ ﴾ تبرأ ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ جميع الآلهة التي تعبدونها أنا بريء منها، فهم يدعون الله وغير الله، فهو قال: أنا بريء من كل شيء، ثم قال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى ﴾ يعني: إلا الله ﴿ فَطَرَنِى ﴾ أي: خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ فدل على أن من دعا غير الله فقد أشرك فالتوحيد، هو دعوة غير الله وحده، إفراد الله بألوهيته لأنه هنا قال: ﴿ بَرَآءٌ ﴾ متبرئ ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ ﴾ يعني: وجعل كلمة التوحيد ﴿بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ يعني: في ذريته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ يعني: قال هذه هي كلمة التوحيد، أي: فرجعوا إليها ووحدوا الله ﷻ.

(١) سورة الزخرف: ٢٦.

وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١] **الآية .**

يعني تفسير التوحيد، ألا تطيع سوى الله ﷻ ، فإن أطعت معه غيره فهذا هو الشرك، يعني: الله ﷻ يأمرك بخمس صلوات، فلو أتى عالم من أهل الضلالة وقال صلِّ فقط أربع صلوات وأطعته، هنا وقعت في الشرك.

فإذا قال لك: إني لم أطوف على القبر ولم أدعو من غير الله. نقول: نعم تفسير التوحيد ألا يطاع إلا الله، وهكذا لو قال شخص مثلاً: من الضلالة يجوز لك أن تجمع الصلوات في يوم واحد أو في اسبوع واحد، هنا أشركت مع الله غيره في الطاعة، فالمشرع هو الله سبحانه؛ لذلك قال سبحانه في آية أخرى: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾[٢] فوصفه الله ﷻ بأنه شرك، وأنهم يزعمون أنهم شركاء مع الله في التشريع.

---

(١) سورة التوبة: ٣١.

(٢) سورة الشورى: ٢١.

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1] الآية .

والمراد هنا بالمحبة المختصة وهي محبة العبادة، وسيأتي بإذن الله مستقل في المحبة عند قوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ فالمحبة الشركية هي المحبة التي تنازع فيها الرب فيما أمر به، فمثلاً لو قال لك شخص مما تحبه: لا تصلي إذا كنت تحبني، فقال: سأترك الصلاة من أجلك؛ لأنك أمرتني من حب لك لن أصلي، فقل: هذه هي المحبة الشركية، أما محبة الجبلية كمحبة الولد لولده، والزوج لزوجته فلا يأثم الشخص عليه كما سيأتي، فالمراد بالمحبة هنا المحبة الشركية؛ لذلك قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ فسماهم الله ﷻ من يُحب معه ند، فدل على أن تفسير التوحيد أن تجعل المحبة لله وحده سبحانه، والمراد المحبة المختصة كما سيأتي إن شاء الله.

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

في الصحيح: عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله» وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

نهج الشيخ رحمه الله إذا قال (**في الصحيح**) في كتابه أحياناً يقصد به صحيح بخاري، وأحياناً يقصد به صحيح مسلم، وأحياناً يقصد به لا صحيح بخاري ولا مسلم، وإنما في الحديث الصحيح سواء في السنن أو غيرهم .

(**عن النبي ﷺ أنه قال: من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله**) فدل على أن تفسير التوحيد الكفر بما يعبد من الله وهو معنى (**لا إله**) يعني: هو معنى النفي، فهنا خصه في الحديث لتأكيد عليه (**إلا الله**) لابد (**وكفر بما يُعبد من دون الله**) يعني: يعتقد بقلبه بطلان عبادة غير الله وحده، فمثلاً لو قال شخص: من يعبد المسيح على حق، ونحن نعبد الله على حق، والبوذيون يعبدون بوذة فهم صح، وكل شخص له دينه. نقول: لا. من اعتقد بطلان عبادة غير الله لم يكن موحدًا.

لذلك الشيخ رحمه الله قال في الناقض الثالث من نواقض الإسلام (**الثالث : من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم**) فيجب أن تعتقد بطلان تلك المعبودات وبطلان تلك الأديان، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1] والله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ

---

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

عِنـدَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[(١)] ، فكل دين سوى دين الله ﷻ فهو باطل، ويجب أن تعتقد ذلك، فمن اعتقد صحة الأديان الأخرى فهو ليس بموحد - والعياذ بالله - لذلك في الحديث **(وكفر بما يُعبد من دون الله)** لابد أن تعتقد بطلان وكفر من يعبد غير الله ﷻ .

(حرم ماله ودمه) يعني: لا يجوز أن يقتل في الحرب، مثلاً: من أسلم ودخل في الدين، وكذا المسلم لا يجوز أن يقتل لأنه معصوم المال، وكذا ماله معصوم لا يجوز أن يسلب ولا يُغنم، ولا يأخذ بالفيء؛ لذلك قال: **(حرم ماله ودمه)** وهذا يدل على عظم كلمة التوحيد، فبهذه الكلمة تكون الحرمة والعظمة والهيمنة لمن نطق بها، بل يتعدى ذلك إلى ماله، فانظر لعظيم الركن الأول من أركان الإسلام وهو الشهادتان.

(وحسابه على الله ﷻ) يعني: في الدنيا يحرم ماله ودمه، ونعامله معاملة المسلمين، فلا يجوز أن نقتله، ولا يجوز أن نسلب ماله .

(وحسابه على الله ﷻ) يعني في الآخرة الله ﷻ يحاسبه هل نطقها بحق وموقن بها بقلبه أو نطقها نفاقاً، فالذي يتولاه هو الله ﷻ .

(وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب) يعني: وشرح هذه الترجمة، وفي نسخة الشيخ رحمه الله وشرح هذا الباب ما بعده من الأبواب يعني: شرح تفسير

---

(١) سورة آل عمران: ١٩.

التوحيد ما بعده سوى بذكر ضده من أعمال الشرك، أو بمنع وسائل الشرك إلى الشرك، فهنا الأبواب المتقدمة من هذا الباب، وما سبقه جعلها المصنف رحمه الله كالأساس والأصل لك، فلما بين لك ما هو التوحيد في البداية، وبين لك فضل التوحيد، ومن حقق التوحيد والخوف من الشرك، والدعاء إلى التوحيد، وتفسير التوحيد بدأ بعد ذلك يفصل لك في مسائل التوحيد، وهذا كما قلنا لكم من عظيم حسن تصنيف المصنف رحمه الله لهذا الكتاب، بل إنه قال في حاشية التوحيد: **(ومن استغنى عنه في بيان توحيد الألوهية لكفاه)** ولا يوجد كتاب أجمع لتوحيد الألوهية مثل هذا الكتيب الصغير العظيم النفع؛ لذلك قال: **(وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب)** وستأتي بإذن الله.

باب
من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

(**باب من الشرك**) يعني: باب من أنواع الشرك (**لبس الحلقة**) المراد بالحلقة شيء مستدير سواء علقت على الرقبة أو على الساعد، وكذا لو علقت على الأصبع وسواء كان هذا التعليق على الإنسان أو الدابة أو الجماد كتعليقها على باب الدار، أو تعليقها على السيارة؛ لئلا يصيبها مثلاً كارثة ونحو ذلك .

(**والخيط**) هو المعروف الذي يكون من قماش، وكذا ما في حكمه من الجلد، والمراد بالخيط يعني: الذي يعلق ليس على هيئة الشيء المستدير، وإنما يعلق مثلاً على طرف من السيارة، أو يعلق على باب البيت كربط، وليس على شيء مستدير.

(**ونحوهما**) يعني: كلبس الحلقة والخيط مما يلبس من أنواع الخواتيم من الفصوص الزرقاء التي يعتقد فيها أنها تدفع شر العين مثلاً، وكذا لبس السوار الذي يعتقد أنه يصحح نبضات القلب أو يثبتها أو نحو ذلك، ولبس هذه الأمور كما بين حكمها الشيخ رحمه الله : أنها من الشرك ولا يخلو لبسها :

إما تكون شركاً أكبر إذا اعتقد أن هذا الخيط بذاته ينفع أو يضر، **وإما أن تكون شركاً أصغر** إذا اعتقد أنها سبب في رفع البلاء أو دفعه .

فإذا لبسها أي الخيوط والحلق والخواتم التي يعتقد أنها تنفع أو تضر هي شرك على كل حال، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها أكبر أو سبب فهي صغرى.

(**لرفع البلاء**) يعني: إذا نزل ومن البلاء المرض والفقر والهم ونحو ذلك.

(**أو دفعه**) يعني: قبل نزوله كأن يضع الشخص مثلاً في أصبعه خاتماً أزرقاً يعتقد أنه يدفع عن العين، أو يعلق على السيارة كف أزرق مثلاً يعتقد أنه يدفع عن العين وهكذا، فمن اعتقد فيهما ذلك الأمرين، فأحد الأمرين هو شرك .

والمصنف ؒ ذكر في هذا الباب خمسة نصوص آية وثلاثة أحاديث وأثرًا.

الآية الأولى ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾[1] ساقها لبيان أن لبس الحلقة والخيط لا تدفع ضراً ولا تجلب نفعاً.

ثم ساق حديثاً ليبين أن تجلب الضرر للباس، فلا تزيده إلا وهناً، كما في حديث عمران «**انزعها ؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا**» ثم بعد ذلك حديث عقبة دعا النبي عليه الصلاة والسلام بأن من لبسها ألا يتم الله له أمره، ثم بعد ذلك ذكر حديث أن النبي ﷺ بين أنها شرك، ثم بعد ذلك ذكر حديث حذيفة بأن في تفسير آية بأن لبس الحلقة والخيط شرك فقطعها، وتلا قوله ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[2] وأنه يجب الإنكار في ذلك، لذلك دائما ترتيب المصنف ؒ

---

(١) سورة الزمر: ٣٨.

(٢) سورة يوسف: ١٠٦.

يرتبه على فهم عقد يأخذ من الآيات أو الأحاديث، ويجعل لها كالعناوين ليستنبط القارئ أو المستمع والمسلم عموما الحكم بنفسه، لأنه لم يذكر شيئاً من كلامه ﵀.

وقول الله تعالى : ﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ **الآية .**

ساق هذه الآية وما سبق؛ لبيان أنها لا تجلب نفعاً، أي الخيوط والحلق، ولا تدفع ضر نزل، واستدل بهذه الآية وإن كانت في الشرك الأكبر، لكن يستدل بها على الشرك الأصغر بأمرين :

الأمر الأول : لأنه إذا اعتقد بأنها تنفع أو تضر بذاتها فهي شرك أكبر، وإن اعتقد أنها لا تنفع ولا تضر بذاتها وإنما سبب فهي شرك أصغر، إذن هي شرك، فعلى كلا الحالين هي شرك، فساق المصنف رحمه الله هذه الآية التي في الشرك سواء كانت في الأكبر أو الأصغر .

الأمر الثاني: لأن السلف رحمهم الله يستدلون بآية الشرك الأكبر على الأصغر، كما سيأتي في حديث حذيفة، وكما سيأتي في الباب الذي يليه أثر سعيد بن جبير رحمه الله .

﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: قل يا محمد لأولئك المشركين: أعميتوا فلم تروا الذين تدعونهم من دون الله ﴿إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ يعني: لو قدر أني فعلت ما تفعلون من دعوتهم لغير الله، إن أرادني الله بضر من

وقوع مرض علي أو فقر ونحو ذلك ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ يعني: هل تلك الأنداد التي تدعونهم من دون الله تستطيع أن تزيل عني هذا المرض ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ يعني: لو أرادني الله ﷻ برزق من مال وغناء وعافية وأولاد ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ لا . فإذا كانت لا تفعل ولا تضر؛ لذلك قال: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ لأن الله ﷻ هو الذي يكفيني في جلب الرزق، وهو الذي يكفيني في رفع الضر، فوضع هذه الآية كالأساس، بأن غير الله لا ينفع ولا يضر، سواء حلق أو الخيوط أو الأنداد أو الآلهة على سبيل العموم .

عن عمران بن حصين ﵁ : " أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر ، فقال : «ما هذه؟! قال من الواهنة ، قال : انزعها ؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا ، فإنك لو مت وهي عليك ؛ ما أفلحت أبدا» رواه أحمد بسند لا بأس به .

(**عن عمران بن حصين ﵁: "أن النبي ﷺ رأى رجلا**) وعند الحاكم أن هذا الرجل هو عمران بن حصين، قال: (**دخلت على النبي ﷺ وعليّ حلقة**) شيء المستدير.

(**من صفر**) يعني: من نحاس، وكانت ولا تزال تستخدم عند من يلبس التمائم يلبس نحاساً سواء كان من صفر أو بلون الفضة، مما يعتقد أنها تنظم النبضات الدم في الجسد، فهي نوع من التميمة.

(**فقال: ما هذه**) يعني النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال له: ما هذه؟ استنكاراً لذلك الأمر، يعني: لما راه قال له ما هذه ؟ يعني لماذا تلبسه، وهي لا تجلب نفع ولا تدفع ضر.

(**قال من الواهنة**) مرض يصيب الكتف مع اليد، فيضعف الإنسان لذلك.

(**من الواهنة**) يعني: من الشيء الذي حل بي من الوهن بسبب ذلك المرض.

(**فقال: انزعها**) يعني اخلعها من يدك، ثم أخبر خبراً عظيماً (**فإنها لا تزيدك**

إلا وهنا) يعني إلا ضعفاً، وهكذا من علق خيطاً ليرفع عنه المرض، أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث المحكم بأن مرضه يزيد، ومن علقها وفيه عين لتزول العين أخبر النبي ﷺ بأن العين تزيد، ومن علقها لأن فيه مسّاً وعلقها لئلا يصرع من الجان بسبب ذلك المس، أخبر النبي ﷺ بأن صرعه سوف يزيد، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا ينطق على الهوى، فإذا كانت التمائم من الخيوط ونحو ذلك سبب زيادة ما حل بك، فالعاقل لا يتخذها .

(**فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**) الفلاح الفوز والظفر والسعادة، يعني: لن تسعد لا في حياتك ولا في أخراك، فإذا كانت التميمة تضر تزيدك إلا وهنا، وأيضاً تجلب لك الشقاء في الدنيا والآخرة، فما الفائدة من لبسها ؟.

وله : عن عقبة بن عامر ﷺ مرفوعا: " من تعلق تميمة ؛ فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة ؛ فلا ودع الله له" وفي لفظ : " من تعلق تميمة فقد أشرك ".

(وله) يعني: عند الإمام أحمد **(عن عقبة بن عامر مرفوعا: "من تعلق تميمة)** يعني من اتخذها وعلقها **(تميمة فلا أتم الله له)** هذا دعاء عليه، يعني: من علق تميمة لئلا تصيبه العين، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: من علقها فيا رب أصبه بالعين، ومن علقها عن الحسد فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دعا عليه يا رب أن يصبه الحسد، ومن علقها لئلا يمرض دعا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يصيبه المرض، وهكذا، فلا يجوز تعليق التميمة بحال، لذلك قال **(من تعلق تميمة فلا أتم الله له)** يعني: لا أتم الله له ما أراده، يعني: يا رب لا تتم له ما قصده منها، وأين المهرب من دعوة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ؟

(ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) الودع: شيء أبيض يأخذ من ساحل البحر، يعلقه بعض الناس على صدره، أو يضعه عند وساده، وفي السيارة، يزعم أنها تبعد عنه الشرور، وتجلب له السكينة والطمأنينة، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: من اتخذها يزعم أنها تجلب له السكينة والطمأنينة، فيا رب لا تجعله في ودعه سكون، بل اجعل في اضطراب وخوف، ونحو ذلك، لذلك قال: **(ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)** يعني: يا رب لا تجعل في ودعه ولا سكون، واجعله

مضطرب العقل والتصرف، ما ذاك إلا لأنها شرك بالله ﷻ، ومن كان مشركاً كان مستحقاً لدعوة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عليه .

(**وفي رواية: من تعلق تميمة فقد أشرك.**) ساقها هنا لما أسس لك ما سبق، لا تنفع، أنها تضر، ودعا عليه النبي ﷺ قال: حكمها شرك، فكل ما سبق من وعيد عليها من الدعاء والإخبار أنها لا تنفع ولا تضر، قال: إنها شرك، يعني: لا تعجب من دعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على من فعل ذلك؛ لأنها شرك، لذلك قال: (**من تعلق تميمة فقد أشرك**) .

وعن حذيفة ﷺ "أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى ، فقطعه ، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾[(١)] **رواه ابن أبي حاتم .**

(**وعن حذيفة أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى**) الحمى: هي ارتفاع حرارة الجسد، فرأى رجلاً علق على يده ذلك الخيط لتزول عنه الحمى.

(**فقطعه، وتلا قوله تعالى**) يعني: ذلك الخيط، وهذا يدل على من كان قادراً على إنكار ذلك الشرك من غير مفسدة ممن له ولاية عليه، مثل لو لبستها زوجتك أو لبسها أخوك أو أختك أو ابنك، فإنك تزيلها، إذ لا ضرر في ذلك، وكذا من كان قادراً على إنكاره من أهل الحسبة ونحو ذلك فيزيلها على من وجده لبسها .

(**وتلا قوله تعالى** ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾) يعني: ساق المصنف رحمه الله هذا الأثر ليبين أن الصحابة فهموا من النص السابق، من تعلق تميمة فقد أشرك، بأن تعليق التميمة شرك، واستدل حذيفة رضي الله عنه بآية في الشرك الأكبر لا الأصغر؛ لأنها هي شرك، إما أكبر أو أصغر؛ لذلك قال: ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ ﴾ يعني: في ربوبيته ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ في ألوهيته يعني: هم في توحيد الربوبية مقرون لكن في توحيد الألوهية ينكرون، فإيمانهم بالربوبية فحسب دون الألوهية لا ينفعهم، فجميع أنواع التوحيد مكملة بعضها لبعض إن اختلى واحد منها اختلى توحيد المرء.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٦.

باب
ما جاء في الرقى والتمائم

يعني (**باب ما جاء في**) حكم (**الرقى**) .

والرقى هي التي تسمى الرقية، تعوذات سواء كانت هذه الرقية مشروعة من القرآن أو السنة أو الأدعية أو الأدوية المباحة، وسواء كانت هذه الرقية من التعوذات الشركية، كالطلاسم مثلاً، أو تمتمات الكاهن ونحو ذلك، هذه هي الرقية.

(**والتمائم**) والتميمة ما يعلق على المرء، وهذا التعليق لا يخلو : إما أن يكون بخيوط وحلق ونحو ذلك، كما في الباب السابق، وإما أن يكون تعليقاً للقرآن كما سيأتي حكم ذلك .

والفرق بين الرقية والتميمة (**باب ما جاء في الرقى والتمائم**):

أن الرقى أمر معنوي بالقراءة بالدعاء وهكذا، والتمائم شيء حسي، تراه خيط أو آية من القرآن ونحو ذلك، والمصنف ﵀ لم يقل هنا (**باب ما جاء من الشرك الرقى والتمائم**) لأن الرقى والتمائم فيها تفصيل، فليست كلها شركاً، وإنما منها ما هو مشروع، ومنها ما هو غير مشروع، والتمائم كذلك ليست جميعها من الشرك، وإنما

منها ما هو شرك، ومنها ما هو مختلف فيه، والراجح تحريمه كما سيأتي.

والفرق بين هذا الباب والباب السابق :

أن الباب السابق هو في تعليق الخيوط والحلق فقط، فهي شرك في كل حال. وهذا الباب أعم تعليقه من الخيوط ومن المصحف مثلاً، وهو التميمة أعم .

والرقى تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : قسم مشروع بالقرآن، كما قال سبحانه: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)] وكذا يدخل في هذا القسم الرقية بالأحاديث النبوية «**اللهم رب الناس اذهب البأس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً**» أو من الأدوية المباحة (**كزمزم والحبة السوداء وتمر العجوة**) وغير ذلك من الأدوية المباحة، سواء أتى بها الشرع أو لم يأت بها الشرع، كالتداوي بالملح مثلاً.

والقسم الثاني: رقية شركية، سواء كانت باللفظ كتمتمة السحرة والكهان ممن يزعم العلاج، أو تميمة فعلية كالطلاسم التي تكتب في الورقة، وهذه شرك كما سيأتي.

والتمائم على قسمين: تمائم بغير القرآن، شرك، وتمائم بالقرآن محرم على الراجح، كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) سورة الإسراء: ٨٢.

والمصنف رحمه الله ساق في هذا الباب حديث أبي بشير؛ لبيان أن التمائم منهي عنها، ثم بعد ذلك ساق أن التمائم منهي عنها: إن الرقى والتمائم والتولة شرك، ثم بعد ذلك بيَّن أن من فعل ذلك فإنه يخذل، من علق تميمة فلا أتم الله له، ثم بعد ذلك ساق حديث رويفع، أن من فعل ذلك فإن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بريء منه، ثم بعد ذلك بين أثر سعيد بن جبير، بأن هذا نوع من الشرك، وهي التمائم، وأن من قطعها كان كعتق رقبة، ثم أخيراً ساق أثر إبراهيم التيمي؛ ليبين أن جميع أنواع التمائم سواء بالقرآن أو غير القرآن محرمة، فكأن المصنف رحمه الله يقول لك: إن الرقى إن كانت شركاً فهي شرك وغير ذلك، والتمائم جميعا محرمة، منها ما هو شرك، ومنها ما هو ليس بشرك لكنه محرم .

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ﷺ **: أنه كان مع رسول الله** ﷺ **في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً : «ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة؛ إلا قطعت».**

هنا قال: (**في الصحيح**) وهو في الصحيحين، وهذه مصطلحات المصنف كما سبق لكم، أحياناً يقول في الصحيح، والمراد به: الحديث الصحيح سواء في البخاري أو مسلم أو غيرهم، وأحياناً يقول: في صحيح البخاري، وأحياناً يقول في صحيح مسلم (**عن أبي بشير الأنصاري** ﷺ **أنه كان مع رسول الله** ﷺ **في بعض أسفاره ؛ فأرسل رسولا**) ليعلم الناس بحكم عظيم، وهو تحريم تعليق التمائم، فدل على أن إرسال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للناس ليعلمهم هذا الأمر، يدل على خطورته.

(**ألا يبقين في رقبة بعير**) يعني: كانوا يعلقون على جمالهم خيوطاً، ومن تلك الخيوط الأوتار.

(**قلادة من وتر**) الوتر هو الخيط الذي يجعل في طرف القوس الذي يرمى به، فهذا الخيط الذي يرمى به كالمطاط عند الجاهلية، إذا تلف يتبركون به بسبب الرمي، فيأخذونه ويعلقونه على دوابهم، وبعضهم يعلقه على صبيانه، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسل للناس من وجد عنده هذا المنكر فأزيلوا (**أو قلادة**) سواء من وتر أم من غير وتر، فكل قلائد أو تمائم على الجمال فأزيلها، وكذا غير الجمال (**إلا قطعت**) فهنا النهي عنها . الآن يبين لك أنها شرك .

وعن ابن مسعود ﵁ **قال : سمعت رسول الله** ﷺ **يقول : «إن الرقى ، والتمائم والتولة ؛ شرك» [رواه أحمد وأبو داود] .**

(**وعن ابن مسعود** ﵁ **قال : سمعت رسول** ﷺ **يقول إن الرقى والتمائم والتولة شرك**) يعني: لو قال لك شخص: لماذا تمنعني من تعلق تميمة على الرقبة أو في السيارة، وتقول أنها شرك، فإذا قال ما الدليل أنه شرك؟ تأخذ بهذا الحديث (**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**) أو بالحديث في الباب السابق (**من تعلق تميمة فقد أشرك**) وهنا (**إن الرقى**) أي الرقى الشركية التي من النوع الآخر من رقى الكفار ونحو ذلك، لذلك قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**اعرضوا على رقياكم فما كان فيها ليس بشرك فلا بأس به**) .

(**إن الرقى والتمائم والتولة**) التولة: شيء يوضع في العنق تزعم المرأة أنها إذا وضعتها على عنق زوجها أن زوجها يحبها، وكذا العكس يعلق على المرأة يزعم الزوج إن فعل ذلك أن زوجته تحبه، وهذا نوع من السحر، فمن فعل ذلك وقع في الشرك، يعني: يذهب الشخص إلى الساحر ويقول له اجعل زوجتي تحبني، ثم يضع له ورقة ونحو ذلك، فيعلقها على صدر زوجته أو العكس، فهذا شرك، ذلك قال (**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**).

عن عبد الله بن عكيم ﷺ مرفوعا: «من تعلق شيئاً؛ وُكل إليه» [رواه أحمد والترمذي].

يعني: (**من تعلق شيئاً**) لطلب نفع بسببه خذله الله فمن علقه ليدفع عنه المرض يخذل ويصبه المرض ومن علق شيئاً من أجل العين يخذل وتصيبه العين وهكذا (**وُكل إليه**) يوكل إلى ذلك الأمر ومن وكل إلى غير الله هلك وخذل . الآن يبين المصنف رحمه ويشرح لك ما هي التمائم وما هي الرقى وما هي التولة الواردة في الحديث السابق .

التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان من القرآن؛ فرخص فيه بعضهم، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

(**التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين**) يعني: لئلا تصيبهم العين (**لكن إذا كان من القرآن فرخص فيه بعضهم**) يعني: قال المصنف الذي يعلق من القرآن على الأولاد، انتبه ليس من الشرك، لكنه محرم، هذا الصحيح؛ لذلك هنا قال: (**لكن إذا كان من القرآن فرخص فيه بعضهم**) لم يثبت من أحد من السلف أنه رخص فيه، وإنما يروى ذلك بأسانيد لا تصح، لكن ساق لك المصنف هذا القول؛ لكي إذا أورده أحد عليك تعلم أنه قد ذكر لك القول، لكن ختم المصنف رحمه الله هذا الباب في آخره، بأنه محرم من القرآن أو من غير القرآن.

(**وبعضهم**) يعني: بعض السلف (**لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه**) يعني: بعضهم لم يرخص في لبس شيء من القرآن؛ لجلب نفع أو دفع ضر، لماذا ؟

الأمر الأول : لأن القرآن لم ينزل ليعلق، وإنما أنزل ليتدبر ويعمل به، ويتحاكم إليه، ويكثر من تلاوته .

الأمر الثاني : لأن في تعليق القرآن على الرقبة فيه امتهان له، والقرآن ما أنزل إلا بأمر ثقيل، كما قال سبحانه ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1] فيأخذ ويعلق في الرقبة

---

(١) سورة المزمل: ٥.

امتهان له لا شك، وكان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا نزل عليه الوحي يتصبب من العرق لشدة ما يلاقيه، فتعلقه على الصدر أو عند الوسادة هذا امتهان له .

الأمر الثالث : أن المرء قد يدخل به إلى الأماكن النجسة، كمكان قضاء الحاجات، ومثل هذه الأماكن لا يجوز إدخال المصحف فيها.

الأمر الرابع : أن في ذلك ضعف توكل على الله، فيبقى قلبه معلقاً بالذي علقه، ولم يتعلق بالله، فمقصود خلق الخلق تعلقهم بالله سبحانه، فلا يجوز تعليق التمائم من القرآن وغير القرآن .

(**ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود** رضي الله عنه) يعني: بعضهم يرى أنه محرم لذلك قال: (**إن آل ابن مسعود لأغنياء عن الشرك**).

والرقى : هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك ؛ فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة .

يعني تعريف (**الرقى : هي التي**) يسميها الناس (**العزائم**) نوع من الرقية، والعزائم سواء كانت بالنفث بالقرآن أو تكتب، فلو كتب الشخص آيات في ورقة، آية الكرسي مثلاً بالزعفران، ثم وضعها في ثم شربها فلا بأس، كما في سنن أبي داود (**أن بعض التابعين أجازه**) .

(**وخص منها الدليل ما خلا من الشرك**) يعني: الرقى الأصل محرمة، لكن خص منها الدليل بالجواز إذا خلت من الشرك؛ لذلك النبي ﷺ قال: «**اعرضوا على رقاكم فما كان منها ما ليس بشرك فلا بأس به**» يعني الأصل نقول: أن الرقية محرمة، وخص الدليل منها الجواز إذا لم تكن شركاً، فإن كانت بالقرآن أو بالأدعية المشروعة أو بالأدوية المباحة (**فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة**) كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**لا رقية إلا من عين وحمة**» يعني: لا رقية أولى وأفضل من الرقية بالقرآن من العين أو الحمة، كالذي لدغته عقرب كما سبق .

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

(**التولة شيء يصنعونه**) عند الساحر، ثم يوضع على الصدر، أو على الساعد أو عند الوسادة، ونحو ذلك.

(**يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته**) وهذا نوع من السحر؛ لذلك النبي ﷺ ذكر بأنه شرك (**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**).

وروى أحمد : عن رويفع ﷺ قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك؛ فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم؛ فإن محمداً بريء منه».

(**وروى أحمد عن رويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ : يا رويفع ، لعل الحياة ستطول بك**) يعني عمرك سيكون طويلاً، وقد حدث ذلك فطال عمره، وهذا علم من أعلام النبوة.

(**فأخبر الناس أن من عقد لحيته**) كانت عادة العرب في الجاهلية عند الحرب يضعون للحاهم الطويلة جدائل؛ ليخيفوا العدو، أو كذا في حال السلم يجعلونها مجعدة، أيضاً في زعمهم لتبقى الهيبة عليهم في اللحية غير مرتبة، وإنها مجعدة، فأتى الإسلام ونهى عن ذلك، وقال: «**أكرموا اللحاء**»، وقال: «**وفروا اللحاء**»، وقال: «**اعفوا اللحاء**» فلا تجعد فيها، ولا تحلقها، ولا تقصر منها، ولأن اليهود أيضاً إلى الآن يجعلون في آخر اللحية جدائل للحاهم، الإسلام نهى عن ذلك، وقال: إن محمداً بريء منه.

(**أو تقلد وتراً**) يعني: أو علق خيط على نفسه، أو على دابته، أو على بيته، أو غير ذلك.

(**أو استنجى برجيع دابة أو عظم**) الرجيع: هو الروث الذي يخرج منها،

فمن قضى حاجته من بني آدم لا يجوز أن يتطهر بذلك الروث، لا من بول، ولا من غائط، وكذا العظم، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر بأنه زاد إخوانكم من الجن، كما في الصحيح، يعني: من قضى بوله ووجد عظماً لا يجوز له أن يتطهر به، لا من بول ولا من غائط؛ لأنه لحم للجن، يعني: بأمر الله ينقلب إلى لحم للجن.

(**فإن محمداً بريء منه**) يعني: محمداً بريء ممن فعل شيئاً من ذلك، ونصوص الوعيد تبقى على ظاهرها أبلغ في الزجر، فإذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أخبر بأن من علق شيئاً من التمائم بأنه بريء منه، دل على تحريمها، وسبق التفصيل في حكمها الشركي والمحرم .

وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان؛ كان كعدل رقبة. [رواه وكيع].

(**وعن سعيد بن جبير قال: من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة**) يعني: مساوياً لإعتاقه رقبة من النار، يعني: كأنك أعتقته من ذلك الأمر المحرم، يعني: كأنه يقول لك: (**من قطع تميمة من إنسان**) وترك ذلك (**كان كعدل رقبة**) فأنت أنقذته من النار وأدخلته في الإسلام، فهذا دليل على أن التمائم من الخيوط ونحوها شرك (**رواه وكيع**) في مصنفه ولكن مصنف وكيع مفقود .

وله: عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن .

(**وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن**) يعني يكرهون جميع التمائم، هذا يدل على أنه بين لك أن التمائم نوعين: إما أن تكون من القرآن، أو من غير القرآن، قال: حتى من القرآن محرم؛ حتى لا يبقى عند المسلم لبس فيما وضعه المصنف في ترتيب الباب، فلما بين لك أنواع التمائم، قال لك: جميع أنواع التمائم محرمة، حتى التي من القرآن (**كانوا يكرهون**) الكراهة عند السلف يطلقونها على المحرم، كما في كتاب الله لما ذكر الشرك قال: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾[1] يعني أمرا محرما وشنيعا .

ويكون المصنف رحمه الله قد ختم هذا الباب .

---

(١) سورة الإسراء: ٣٨.

باب
من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

التبرك هو: طلب الخير، أو طلب زيادة الخير، أو طلب زوال ضر، أو طلب دفع ضر. والتبرك ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول : التبرك بأسماء الله ﷻ وصفاته، وهذا مطلوب، مثل: لو أراد شخص أن يكتب بسم الله، يعني: أستعين بالله وأطلب البركة من اسمه، في هذا الفعل، وكذا لو دخل شخص المنزل يقول: بسم الله، يعني: أستعين بالله في دخول المنزل، وأطلب البركة في دخول المنزل، وهذا مطلوب، وأحياناً إذا اختل طلب البركة في هذا الأمر يحرم مثل الذبح بغير ذكر اسم الله عليه، قال سبحانه ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾[1] وإذا لم يذكر اسم الله، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾[2] فإذا لم تطلب البركة من الله عند الذبح على الذبيحة لا تأكل، وذكر اسم الله ﷻ يدفع الشرور، كما لو قال شخص: (**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**) ومثل ما في

(١) سورة الأنعام: ١١٨.

(٢) سورة الأنعام: ١٢١.

صحيح البخاري ومسلم: «**لو أن أحدكم أراد أن يأتي أهله فقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا إلا لم يضره الشيطان**» بسبب ذكر اسم الله ﷻ طلباً البركة من اسمه تعالى، هذا التبرك بأسماء الله، وهو مطلوب أو التبرك بصفات الله ﷻ وهذا مطلوب .

ومن صفات الله ﷻ الكلام، فالقرآن من كلام الله، فهو مبارك، قال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾[1] وما قرب منه أحد إلا نالته البركة، فهو سبحانه المبارك، ولفظة تبارك أي: تعاظمت بركته، وهذا اللفظ لا يطلق إلا الله ﷻ ، فلا يقال: تباركت علينا يا فلان بزيارتك؛ لأن كلمة تبارك من باب التفاعل، تعاظمت البركة، فلا يجوز هذه اللفظة إلا لله ﷻ ؛ لذلك لم تأت في كتابه سبحانه إلا لله، قال ﷻ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾[2] وقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾[3] وقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ ﴾[4] إلى آخره والله سبحانه هو المبارك، فلا يقال: لأهل المخلوقين كلك بركة؛ لأن في المخلوقين شر، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**أعوذ بك من شر نفسي**) هذا القسم الأول طلب البركة بأسماء الله وصفاته .

---

(١) سورة ص: ٢٩.

(٢) سورة الملك: ١.

(٣) سورة الفرقان: ١.

(٤) سورة الفرقان: ١٠.

القسم الثاني : التبرك بالمخلوقين، وهو ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول: التبرك بالأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ، والتبرك بهم مشروع فيما لامس أجسادهم مثل الشعر والعرق والنخامة وغير ذلك، وفي حديث أم سليم في صحيح مسلم «**كان النبي ﷺ يعرق كثيراً فإذا قام النبي ﷺ أخذت عرقه قالت ووضعناه في قارورة للطيب قالت نستشفي به**» فما يخرج منه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجوز التبرك به للشفاء ونحو ذلك، وكذا التبرك بشعره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد حلق شعره في حجة الوداع وكان الصحابة يتسابقون على أخذ شعره، وكذا النخامة كان النبي ﷺ يتنخم يأخذ الصحابة نخامته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذا لعابه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يجوز التبرك به، وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا ولد لهم مولود أتوا به للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليحنكه بتمر، فيأخذ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تمرة ليختلط به ريقه ثم يعطيه هذا الصبي، فالتبرك بما يخرج من أجساد الأنبياء يجوز إذا كان في حياتهم مما يخرج منهم، أما بعد وفاتهم فلم يبق شيء الآن من أثر أجساد أحد الأنبياء، لا من شعره ولا من ملبسه ولا غير ذلك، وما يوجد هو زعم بأن هذه شعرة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مثلاً أو عمامته، وهذه لم تثبت، هذا ما يخرج من أجساد الأنبياء يجوز التبرك به، لكن الآن لا يوجد شيء، ويجوز أيضاً التبرك بما لامس أجسادهم، مثل الثياب، فقد كانوا يأخذون ثياب النبي ﷺ ويغسلونها ويتطلبون منها الشفاء، هذا يصح يعني: يجوز التبرك بما لامس أو خرج من أجساد الأنبياء، أما التمسح بذوات الأنبياء بأجسادهم، فهذا لا يجوز؛ لذلك لم

يفعله أحد من الصحابة، هذا القسم الأول.

التبرك بالأنبياء ينقسم إلى قسمين: التبرك بما لامس أو خرج من أجسادهم يجوز التبرك به إن وجد، لكن الآن لا يوجد شيء . النوع الثاني: التمسح بأبدانهم، وهذا لا يجوز .

القسم الثاني: التبرك بغير الأنبياء من الآدميين، وهذا لا يجوز، فلا يتبرك بشيء من لعاب أحد الصالحين أو الصحابة ولا بشيء من ثيابهم، ولم يكن الصحابة ﭫ يفعلون ذلك مع أبي بكر أو عمر أو مع غيرهم المبشرين بالجنة، فدل أنه خاص بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والتمسح بهم من باب أولى لا يجوز، فالتمسح بالأنبياء ولا بغير الأنبياء لا يجوز .

القسم الثالث : التبرك بغير البشر كالأشجار والأحجار والحيطان والغار، وتراب البركة من تربة مكان معين مثلاً، فهذه هي التي بوب لها المصنف، وهي كما سيأتي نوع من أنواع الشرك الأكبر، فلو ذهب شخص إلى شجرة ومكث عندها، لماذا مكثت عندها ؟ قال: أطلب زيادة أولادي من تلك الحجر، أو من تلك الشجرة، وهذا شرك أكبر كما سيأتي .

القسم الرابع : بركة جاء الشرع بذكرها، فهنالك أزمنة مباركة كشهر رمضان، وهنالك أمكنة مباركة كمكة، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ

لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾[١] وهناك أطعمة وأشربة مباركة جاء الشرع بذكر البركة بها، مثل ماء زمزم، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**إنها مباركة**» كما في صحيح مسلم، والحبة السوداء فيها البركة، وغير ذلك مما جات به النصوص .

والمصنف رحمه الله هنا عقد الباب في طلب التبرك بالأشجار والأحجار ونحوهم؛ لذلك قال: (**باب من تبرك بشجر وحجر ونحوهما**) جواب الشرط (**فقد وقع في الشرك الأكبر**) .

ومن أسباب الشرك في ذلك: العكوف والتعظيم وطلب البركة، فإذا ذهب شخص إلى شجرة أو غار أو مكان يطلب فيه البركة من الشفاء، أو لكثرة طلب المال ونحو ذلك، وكان هذا المكان تتطلب منه البركة، وهو يطلب ذلك، فقد وقع - والعياذ بالله - في الشرك الأكبر، والمصنف رحمه الله وضع لهذا الباب آية وحديثاً. الآية لبيان أن التبرك بالأصنام شرك، فكأنما يقول لك: قس على الأصنام الأشجار والأحجار ونحو ذلك، وساق حديث أبي واقد الليثي؛ لبيان أن طلب البركة من الشجر، شرك الأولين السابقين، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهى عن ذلك أمته وبين أنه شرك، وحذر أمته أن يقعوا فيما وقع فيه الأسلاف من الأمم كما سيأتي (**اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال الله أكبر إنها السنن**) .

---

(١) سورة آل عمران: ٩٦.

وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ الآيات.

قال ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾[1] يعني إن فعلت ذلك، فقد وقعتم في الشرك؛ لأن ذلك ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] .

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ يعني: هل نسيتم أنكم تشركون بالله بتبرككم بأصنامكم، وذكر الله ﷻ ثلاثة من الأصنام، هي أكبر أصنام العرب في ذلك الحين ﴿ٱللَّٰتَ ﴾ كانت موجودة في الطائف، أزالها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، هذا يدل على وجوب إنكار الشرك وإزالته؛ لذلك لما استمهلوا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في إزالتها لم يجيبهم إلى طلبهم بل أزالها .

﴿وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ صنم بين مكة والطائف ﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾ يعني: الصنم الثالث هو مناة، ومناة: هو صنم بين مكة والمدينة عند قديد، وأزيلت ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ أزيلت في عهد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ؛ لذلك قال سبحانه بعد هذه الآيات: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن

---

(١) سورة النجم: ١٩ – ٢١.

(٢) سورة النجم: ٢٢.

سُلۡطَٰنٍۚ ﴾[1] يعني: هذه أصنام تطلبون منها تلك البركة، فأخبر النبي ﷺ عن المشركين ذاماً لأفعالهم بأنهم يطلبون البركة من الأصنام، فدل على أن طلب البركة سواء من صنم أو شجر أو حجر أو بقعة أو غار أو جبل، كل ذلك من أنواع الشرك .

(١) سورة النجم: ٢٢ – ٢٣.

عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال : " خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط. فمررنا بسدرة ، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر! إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده ، كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1] لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه.

(**عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين**) يعني: بعد الفتح في السنة العاشرة، لما ذهب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في رمضان إلى مكة، وفتحت في غزوة الفتح، أسلم ناس كثير معه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ؛ لذلك قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾[2] كثر، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وبعد الفتح ذهب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليقاتل أهل الطائف من ثقيف وهوازن، وهم ذاهبون إلى حنين وهي بين مكة والطائف .

(**ونحن حدثاء عهد بكفر**) يعني: عهدنا بالكفر قبل قليل الآن إسلامنا، وأبو واقد هنا يعتذر عن حال وقوع مسألة من سأل سدرة، يطلبون منها البركة، فهو الآن

---

(١) سورة الأعراف: ١٣٨.

(٢) سورة النصر: ١ – ٢.

يعطيك اعتذار بأن ما وقع بسبب أن قلوبهم كانت متعلقة بالشرك، يجهلون أحكام الإسلام؛ لذلك قال: (**ونحن حدثاء عهد بكفر**) يعني: عهدنا بالكفر حديث، والآن دخلنا في الإسلام، ويدل أيضاً على أن الإسلام طموح في الأعمال، فهم الآن أسلموا، ومع ذلك أخذهم النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ معه لقتال الكفار، ما قال امكثوا واعلمهم ولا نقاتل الكفار، لا، وهم ذاهبون معنا لقتال الكفار نعلمهم الدين .

(**وللمشركين سدرة يعكفون عندها**) يعني: يطيلون المكث عندها لطلب البركة منها، مثلاً شخص يقول: أنا أريد أن أذهب للشجرة الفلانية حتى أعيش هذا العام في سعادة وخير، تطلب من أين البركة؟ قال: اطلبها من الشجر - والعياذ بالله - هذا شرك أكبر، فإذا قال شخص: إذن من أين أطلب البركة؟ نقول من الله، كيف أطلب من الله؟ يقول: اللهم بارك لي في وقتي وعلمي ومالي؛ لذلك عيسى عليه السلام قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[1] يعني الله.

(**وللمشركين سدرة**) يعني: شجر السدر ذات الشوك الكثير.

(**وينوطون**) يعني: ويعلقون (**بها أسلحتهم**) وينوطون، الأصل ما بقي من سلاح يعلقونه عليه، فهذا السلاح يجعلونه على الشجرة يطلبون حلول البركة به إذا قاتلوا العدو، فينوط على هذه الشجرة، ويعلق الشخص سلاحه على الشجرة طلبا للبركة - والعياذ بالله - من الشجرة؛ لذلك قال: (**يعكفون عندها وينوطون**

(١) سورة مريم: ٣١.

بها أسلحتهم) يعني: يعلقون أسلحتهم على تلك الشجرة، ومنهم من يعلق الثياب، فإذا قيل: هل ذلك موجود ؟ نقول: نعم موجود، يوجد في بعض الأمكنة من يضع خرقة مثلاً على بعض مقابر المسلمين المعظمة، وهكذا، ويطلب البركة منه، وهذا نوع من أنواع الشرك – والعياذ بالله –.

(يقال لها ذات أنواط) يعني: يقال لتلك السدرة ذات الأنواط؛ لكثرة ما يعلق عليه .

(فمررنا بسدرة ؛ فقلنا: يا رسول الله) يعني الذين أسلموا في الفتح، وهم سائرون ووراءهم المشركين يتبركون بالشجرة، استحسنوا في أنفسهم ذلك، وهم يعلمون أن ذلك شرك، لكن طلبوا من النبي ﷺ شجرة لعله يأذن لهم للتبرك بها.

(اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) يعني: اجعل لنا شجرة نعلق بها أسلحتنا، ونحن ذاهبون للقتال نتبرك بها، كما أولئك يتبركون بها، هم طلبوا، لكن ما فعلوا، يعني: طلبوا من النبي ﷺ استحسان لذلك.

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كشف الشبهات: **(بأن هذه اللفظ من الطلب شرك أصغر ولو فعلوا قال لوقعوا في الشرك الأكبر)** لذلك لو الدليل على أنها هذه اللفظة شركية. النبي ﷺ استنكر ذلك بثلاثة أمور، كما سيأتي:

(فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر) يعني: الله هو الكبير العظيم، ما تطلبون البركة منه، تتركون البركة منه، وتذهبون إلى الشجرة، فهنا استنكر عليهم ذلك؛

لأنهم وقعوا في طلب أمر شركي. (**إنها السنن**) استنكار ثاني. الاستنكار الثالث: (**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى**) .

(**فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن**) ويدل هذا الحديث أيضاً على أن الشخص إذا رأى أمراً منكراً من الشرك، فما دونه من ألفاظ الاستنكار التكبير؛ لذلك النبي ﷺ قال: الله أكبر، وورد أيضاً التسبيح.

(**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى**) بنو إسرائيل هو ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم، يعني: اسرائيل هو حفيد إبراهيم عليه السلام وبنوه أغلبهم من اليهود، والرسل فيهم كثر؛ لذلك قال ابن كثير رحمه الله: (**قتل من بني اسرائيل أربعة آلاف نبي**) وسلالة الرسل إما من إسحاق أو من إسماعيل، وإسماعيل ليس له سوى نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإسحاق، جميع الرسل منه؛ لذلك قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا - أي: إسحاق وإسماعيل- ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ﴾[1] فلم يأتِ نبي إلا من إسحاق أو من إسماعيل، وهذان يلتقيان في إبراهيم؛ لذلك لقب إبراهيم بأنه أبو الأنبياء، فلم يأت بعد إبراهيم إلا من سلالته إلا من ابنه إسحاق أو من ابنه إسماعيل (**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى**) والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكذا القرآن كثيرًا ما يذكر عن قصص وأخبار بنو إسرائيل؛ لحداثة عهدهم بهذه الأمة، ولكثرة ما وقع فيهم من مكر ومنكرات مع أنبيائهم.

---

(١) سورة الحديد: ٢٦.

﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ يعني: لما خرجوا من البحر بعد ما نجاهم الله منه، ما قالوا الحمد لله، وإنما قال بنو إسرائيل ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وهذا يدل على بغي وبطر وجحود بني إسرائيل، ذلك موسى عليه السلام أؤذي كثيراً من قبلهم؛ لذلك قال ﷺ: «**لقد أؤذي موسى بأكثر من ذلك فصبر**».

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ يعني: قوم تجهلون، عظمة الله تتركون طلب البركة من الله وتذهبون إلى الأشجار.

(**لتركبن سنن من كان قبلكم**) يعني إن هذه الأمة سوف تتبع طرق الأمم السالفة، وكل ما تراه من أفعال بني إسرائيل سيحدث في هذه الأمة؛ لذلك يجب على الشخص أن يدعو ربه بالنجاة من الفتن والبعد عنها؛ لأن ما وقع لهم سيقع لنا ولا ينجوا من ذلك إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى؛ لذلك قال: (**لتركبن سنن من كان قبلكم**).

فذكر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الحديث أن طلب البركة من الأشجار شرك وقع فيه بنو إسرائيل فنهى أمته عن ذلك فدل على أن التبرك بغير الله عز وجل من الأشجار والأحجار ونحو ذلك من الشرك الأكبر والعياذ بالله .

باب
ما جاء في الذبح لغير الله

يعني (**باب ما جاء في الذبح لغير الله**) من الوعيد لذلك، وأنه نوع من أنواع الشرك، والمراد بالذبح هنا، الذبح لغير الله من الأصنام والأوثان والأنداد ونحو ذلك؛ طلباً للبركة، وتعظيماً لها ونحو ذلك، وأما الذبح لإكرام الضيف، فهو مشروع، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**» وإبراهيم عليه السلام ذبح عجلاً سميناً.

والمصنف رحمه الله ساق في هذا الباب ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾[1] وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[2] وحديث علي (**لعن الله من ذبح لغير الله**)، وحديث طارق بن شهاب .

ساق الآية الأولى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ لبيان أن الذبح لغير الله شرك؛ لذلك قال: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾[3] وساق الآية الثانية: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أي:

(١) سورة الأنعام: ١٦٢ .

(٢) سورة الكوثر: ٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٣ .

أن الذبح عبادة، فلا يصرف إلا لله، وساق حديث علي، لما بين أن الذبح لله عبادة، ساق قول النبي ﷺ **(لعن الله من ذبح لغير الله)** وساق حديث طارق بن شهاب لبيان حكم من ذبح لغير الله في الآخرة، وهو أنه يكون من أهل النار والعياذ بالله .

وعبادة الذبح لغير الله لا تنقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر، وإنما هي شرك أكبر فقط، ما في شيء اسمه ذبح لغير الله شرك أصغر، وإنما هو كله - والعياذ بالله- شرك أكبر، فمثلاً لو أن شخصاً أخذ شاة وذبحها عند قبر لذلك القبر، هذا -والعياذ بالله- شرك أكبر، فهو عبادة مالية وبدنية؛ لذلك أتت الفطرة بأن الذبح لا يكون إلا لله، وشرع لأهل الإسلام الأضاحي، فتذبح تعظيماً لله وأنفسها أغلاها ثمناً ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحج: ٣٧.

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[1] الآية.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ يعني: أنا أصلي صلاة المعروفة لله لا أشرك به شيئاً ﴿وَنُسُكِي﴾ يعني: ذبحي لله لا أشرك به شيئاً، ثم قال: ﴿وَمَحْيَايَ﴾ هذا من عطف العام على الخاص، يعني جميع حياتي لله، هكذا هي حياة النبي عليه الصلاة والسلام كلها لله في ليله ونهاره في تعليم الناس، والشفقة عليهم، والنصح لهم، وغير ذلك ﴿وَمَمَاتِي﴾ يعني: وما أموت عليه لله موحدًا له سبحانه: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ يعني: لا أشرك مع الله عز وجل شيئاً مما تقدم من العبادات أو غيرها .

والشاهد هو: ﴿وَنُسُكِي﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ فدل على أن الذبح لو كان لغير الله فهو شرك، والله عز وجل أمر رسوله أن يقول بأني أنا أذبح لله لا أذبح لغيره، لئلا أشرك به شيئاً، فإذا قيل: وهل أحد يقول أني أذبح، لكن لا أريد أن أقع في الشرك عند القبور، يعني: لو شخص قال أنا أذبح لصاحب هذا القبر، لكن من قال لكم بأن الذبح شرك، وهذا مما يجادل فيه أهل الباطل.

نقول هذه الآية دلت على أن الذبح لغير الله شرك، ولذلك ساقها المصنف؛ لكثرة من يخالفوا سابقاً وحالا بأن الذبح ليس بشرك .

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٢.

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَـرْ ﴾[(١)].

﴿ فَصَلِّ ﴾ يعني: يا محمد! صلي ﴿لِرَبِّكَ ﴾ وحده ﴿وَٱنْحَـرْ ﴾ لله وحده؛ معظماً له سبحانه، فدل على أن ذبح النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يكون إلا لله، فهو عبادة؛ لذلك المصنف رحمه الله في المسائل يكرر تحقيقاً بأن الذبح لغير الله عبادة، فإذا كان عبادة صرفه لغير الله شرك .

(١) سورة الكوثر: ٢.

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : «لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثا ، لعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم.

(**عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله**) بدأها بالشرك (**لعن الله من ذبح لغير الله**) فدل على أن الذابح لغير الله متوعد بلعنة الله .

(**لعن الله من لعن والديه**) -والعياذ بالله- إما أن يكون اللعن بالمباشرة، بأن يلعن الشخص والديه مباشرة، أو بأن يلعن الرجل أبا أو أم الرجل، فيقوم ذلك الرجل يرد عليه باللعن .

(**لعن الله من آوى محدثا**) يعني: لو شخص أحدث في بلد حدثاً، كأن يسرق أو يقتل، ويأتي شخص يؤويه، فهذا معرض باللعن أو (**لعن الله من آوى محدثا**) يعني: لعن الله من آوى صاحب بدعة.

(**لعن الله من غير منار الأرض**) يعني بتصغير الأرض أو تكبيرها، يبدل علامتها، بأن يقول: أرض فلان إلى هنا أو يزيد، ويقول: إلى هنا، أو يغير العلامات التي يحتاجها المسافر، أو غير المسافر، فمثلاً المسافر متجه إلى مكة فيأتي شخص ويضع مكتوباً ويقول: مكة هنا؛ ليتيه المسافر، هذا -والعياذ بالله -

معرض للوعيد.

وهذا الحديث يدل على جواز لعن غير المعين، مثل لعن الله السارق، ومثل قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه**». أما على سبيل الخصوص، فلا، فساق المصنف ﵀ لبيان أن الذابح لغير متوعد باللعن لأنه شرك .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال : مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . فقالوا لأحدهما : قرب ، قال ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا، فخلوا سبيله؛ فدخل النار. وقالوا للآخر : قرب ، قال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله ﷻ، فضربوا عنقه ؛ فدخل الجنة» [رواه أحمد].

(**وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**) يعني يذكر الرسول ﷺ قصة رجلين، قال أهل العلم: الأظهر أنهما من بني إسرائيل؛ لكثرة ما يقص النبي ﷺ على صحابته مما يحدث لبني إسرائيل؛ لأنهم أصحاب علم؛ لذلك قال سبحانه عنهم: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾[1] .

(**دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب**) يعني: دخل رجل الجنة بسبب ذباب، ودخل رجل النار بسبب ذباب.

(**قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟**) يعني استغرب الصحابة ﷺ كيف يكون ذباب مخلوق صغير يسبب في دخول الشخص النار -والعياذ بالله- أو دخول الجنة.

---

(١) سورة يونس: ٩٣.

(**قال: مر رجلان على قوم لهم صنم**) يعني: هما يسيران.

(**لا يجوزه أحد**) يعني لا يسير من عنده.

(**حتى يقرب له شيئاً**) يعني: حتى يذبح شيئاً يقربه لذلك الضريح أو الصنم.

(**فقالوا لأحدهما : قرب**) طلبوا من أحدهما أن يقرب، فدل على أن الشخص قد يخرج مع صاحبه، ثم يحدث لهم أمر يفتنهما، أحدهما يدخل الجنة والآخر النار، وهما خرجا سوياً، ثم حدث لهم هذه الفتنة، فدل على أن الشخص قد يفتن في لحظة، وقد يهلك في لحظة.

(**قال ليس عندي شيء أقرب**) يعني: اعتذر عن التقريب، ولما لم ينكر عليهم طمعوا فيه.

(**قالوا له: قرب ولو ذباباً**) يعني لو أنكر عليهم كما أنكر الآخر لما تعرض لهذه الفتنة، فدل على عدم إنكار المنكر مع القدرة عليه، يؤدي إلى منكر أعظم منه، لذلك قال شيخ الإسلام ﵀: (**وما ترك أحد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أذله الله عند خلقه**).

وهكذا لو كان الشخص عند قوم يستمعون المعازف، ما ينكروا عليهم، يأتون بمنكر آخر ويحتقرونهم ويذمونه، لكن لو ينكر من أول الأمر، يعظمونه ولا تحدث مفسدة أخرى، إذا كان الشخص يقدر على إنكار المنكر (**قالوا له: قرب ولو ذبابا**) يعني: ولو شيئاً يسيراً، فدل على أن أهل الكفر يسعون إلى وقوع غيرهم في

دينهم، ليس طمعاً في المال وإنما لانتقالهم إلى ملتهم، فالذباب عندهم لا يقدم شيئاً كبيراً، لكنهم يريدون منه أن يكفر، فكيف إذا جمعوا مع كفر طلب المال، لذلك قال سبحانه: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] فهنا ما أرادوا مالاً وإنما يريدون أن يكفر، لذلك قال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[2] .

(فقرب ذبابا، فخلوا سبيله) فتركوه. **(فدخل النار)** يعني: فمات فدخل النار -والعياذ بالله- بسبب الذبح لغير الله، وهذا هو الشاهد، دل على أن من ذبح شيئاً لغير الله فحكمه في الآخرة النار -والعياذ بالله- .

(وقالوا للآخر: قرب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله ﷻ) أنكر عليهم، فلم يطمعوا فيه، وتمسك بدينه.

(فضربوا عنقه ؛ فدخل الجنة) يعني هنا صبر، لكن لو فعل مكرهاً لا يأثم، لكن هذا الصابر المؤمن يريد الشهادة، ولا يريد أن يخنع للشرك، ولو فعل الشرك مكرهاً لم يكفر.



(١) سورة التوبة: ٣٤.

(٢) سورة البقرة: ٢١٧.

باب
لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

لما ذكر المصنف رحمه الله أن من أنواع الشرك الذبح لغير الله، أعقبه بعد ذلك في بيان خطورة الذبح لغير الله، بذكر أن المكان الذي يذبح فيه لغير الله لا يجوز أن يفعل فيه أي ذبح لله سبحانه وتعالى ، يعني: حتى ولو كان قصد الذابح حسناً وهو إظهار شعيرة الهدي مثلاً، أو في ذبح تميمة لولده، أو لإكرام ضيف، وإن كانت هذه عبادات، لكن لا يجوز أن تفعل في مكان قد ذبح فيه لغير الله عز وجل ؛ لأن ذلك وسيلة إلى الشرك.

والمصنف رحمه الله هنا خصص عبادة الذبح لله لا تفعل في مكان ذبح فيه لغير الله، خصص عبادة الذبح لخطورتها، وسيأتي إن شاء الله باب أعم من هذا، وهو أن كل عبادة لله لا يجوز أن تفعل عند قبور أو عند أضرحة أو غير ذلك من أماكن الشرك، وذلك عند باب (**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر جل صالح ؛ فكيف إذا عبده؟!**) وذكر المصنف رحمه الله هذا الباب؛ لبيان تحريم الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله .

ذكر المصنف رحمه الله في الباب آية وحديثاً. الآية الأولى جعلها في جميع العبادات وهو أن الطاعة لا تقام في مكان يحاد فيه الله ورسوله أي طاعة ذبح أو غير ذبح ويقاس عليه الذبح ثم أعقبه بعد ذلك بحديث ينص على أن عبادة الذبح

خاصة لا تجوز أن تذبح في مكان يذبح فيه لغير الله لذلك.

وقول الله تعالى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾[1] الآية .

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ يعني: مسجد الضرار، فهم بنو كما قال سبحانه عن نيتهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا ﴾[2] هذه مقاصدهم ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ﴾ فهذه نيات قبيحة، وأسسوا مسجداً لكن لفساد نياتهم أصبح هذا المحسوس المسجد لا تجوز أن تقام فيه العبادة .

فدل على أن النية تؤثر حتى في البقاع، وإلا فهو مسجد، لكن النية فيه خبيثة، أصبحت العبادة فيه محرمة؛ لذلك قال الله للرسول ﷺ : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾[3] أين تصلي ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ ﴾ لصفاء النية ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ والمسجد الذي أسس على التقوى جاءت أحاديث بأنه هو المسجد النبوي، وأحاديث أخرى بأنه هو مسجد قباء، ولا منافاة بين القولين فكلا المسجدين أسسا على التقوى، فهنا آية عامة الصلاة، لا تجوز أن تقام في مكان قصد فيه بغير وجه الله، ويقاس عليه الذبح لا يجوز أن يكون لله في مكان يذبح فيه لغير الله، ثم بعد ذلك ذكر الحديث في تخصيص الذبح .

---

(١) سورة التوبة: ١٠٨ .

(٢) سورة التوبة: ١٠٧ .

(٣) سورة التوبة: ١٠٨ .

عن ثابت بن الضحاك ﵁ **قال: «نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة، فسأل النبي** ﷺ**؟ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. فقال رسول الله** ﷺ **: أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»** [رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما] .

(**عن ثابت بن الضحاك** ﵁ **قال: " نذر رجل أن ينحر إبلا**) يعني: يذبح إبل (**ببوانة**) مكان قريب من ينبع غرب المدينة على الساحل، والصحابة ﵃ إذا كان في نفوسهم شيئاً من الأمور يأتون ويسألون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، فهذا الرجل أتى يسأل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، فسأله النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما سيأتي سؤالين اثنين حتى يجوز يفعل ذلك الذبح، (**فسأل النبي** ﷺ **فقال: هل كان فيها وثن**) الوثن أعم من الصنم، يعني سواء كان الصنم ما هو منحوت على صورة أم الوثن، فهو أعم يشمل القبور ويشمل الأحجار ويشمل الأشجار .

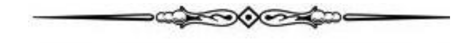
وهكذا فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سأله «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية**» حتى ولو كان سابقاً ليس حالاً، فالسائل يعلم أنه لو كان فيها شيء من أوثان الجاهلية الآن، لكان لم ينذر بأن يذبح هناك، وإنما اختار مكاناً فضاء، فنذر أن يذبح إبلاه هناك، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما سأله مقصده هنا، وإنما سأله عن البقعة هل فيها آثار الشرك أم لا؟ وما سأله هل قصدك حسنا أم غير حسن؟ فدل على أن حسن النية لا ينظر إليها في مواطن الشرك.

(**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية**) يعني: وثن قائم، ويأتيه الناس باستمرار، والسؤال الثاني أخص.

(**قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم**) يعني: يأتونه في زمن معين ليس دائماً، يعكفون عند ذلك المكان، وإنما يأتون إليه يعودون ذلك المكان في زمن معين.

(**قالوا: لا . فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك**) لما خلت تلك البقعة من الوثن أو من زمن يأتون إليه في تلك البقعة، أمره النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالوفاء بنذره.

(**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**) يعني: لو كان فيها وثن من أوثان الجاهلية فلا يجوز الوفاء به، (**ولا فيما لا يملك ابن آدم**) مثل لو شخص قال: علي نذر أن أبيع سيارة جاري، هذا ما يملكه ابن آدم فلا وفاء لهذا النذر؛ لأنه لا يملكه؛ لذلك قال: (**ولا فيما لا يملك ابن آدم**) وإنما النذر فيما يملكه، فلو قال شخص: علي نذر أن أخرج من مالي مئة ريال. نقول: يلزمه إذا كان في الطاعة كما سيأتي، فساق المصنف رحمه الله هذا الباب يريد منه أيضاً مزيد تأكيد على أن النذر لغير الله لا يجوز، فإذا كانت الطاعة لا يجوز أن تفعل في مكان ذبح فيه بشرك، فمن باب أولى أصلاً النذر لا يجوز.



باب
من الشرك النذر لغير الله

النذر ينقسم إلى عدة أقسام :

القسم الأول : أن يكون نذراً لغير الله لأصحاب الأنداد أو الأوثان أو الأضرحة أو الأولياء أو الصالحين، مثل لو قال شخص: علي نذر أن أهدي لقبر الرجل الصالح فلان مثلاً مئة ريال، فهذا نذر شركي لا يجوز الوفاء به، بل لا ينعقد، بل لا كفارة فيه، وهذا القسم من أجله ساقه المصنف ؒ هذا الباب، فقال: (**باب من الشرك النذر لغير الله**) .

القسم الثاني: النذر في محرم، مثل لو قال شخص: علي نذر أن أشرب الخمر. نقول: هذا محرم، وكفارته كفارة اليمين؛ لعموم الأدلة .

القسم الثالث : أن يكون نذراً في أمر لا طاعة فيه، مثل لو قال شخص: علي نذر أن أمشي مدة أسبوع وأنا كاشف عن رأسي، يعني: ما يغطي رأسه لمدة أسبوع، فهذا نذر غير مشروع؛ لأنه ليس بنذر قربة، ولو لم يفعله الشخص عليه كفارة يمين، يعني: ليس هذا نذر طاعة فلا يشرع .

القسم الرابع : أن يكون نذر نذراً طاعة لله، لكنه مقيد بفعل، مثل لو قال

شخص: علي نذر إن نجحت في الامتحان أن أذبح شاة، فهنا علق النذر بالنجاح، فهذا نذر يكره، والدليل قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**إنما يستخرج به من مال البخيل**» ولئلا يظن الناذر بأنه قد ألزم ربه بأن ينجح، لما نذر، والله ﷻ فوق تلك الظنون، ومثلها لو قال شخص: إن شفى الله مريضي أخرج عشرة آلاف ريال، فلما شفي نقول: يلزمه أن يفعل، لكن هذا أصلاً نذر مكروه، لئلا يظن أيضاً بأن الله شفا مريضك من أجل أنك ألزمت ربك في نظرك، لذلك قال «**إنما يستخرج به من مال البخيل**» .

القسم الخامس: أن يكون نذراً لله ﷻ في طاعة غير مقيد، مثل لو قال شخص: علي نذر أن أتصدق بألف ريال، هنا ما قيد إن شفا الله مريضي، أو إن نجحت، لا . أطلق، وهذا نذر مشروع؛ لأنه نذر طاعة، والله ﷻ أثنى على من أوفى بنذره في هذا القسم الأخير في قوله ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾[(١)] يعني من أعمال أهل الجنة وفائهم بنذورهم، وصفة ذلك في القسم الخامس كما سبق .

والمصنف ؒ بين النذر الشركي، وهو الذي ينذر للأولياء أو الصالحين، مثل قال شخص: عليّ نذر أن أضع عطراً أو شمعاً أو مالاً عند القبر الفلاني -والعياذ بالله- وهذا شرك، والنذر ليس له قسيم من نوعي الشرك، وإنما كل نذر لغير الله فهو شرك أكبر، فما في نذر شرك أصغر ونذر شرك أكبر، وإنما كل نذر لغير

---

(١) سورة الإنسان: ٧.

الله فهو شرك أكبر، والمصنف يريد أن يقرر بأن النذر عبادة، فإذا تقرر بأنه عبادة يلزم الخصم بأنه إن صرف لغير الله فهو شرك .

والمصنف رحمه الله أورد في هذا الباب آيتين وحديثاً . الآية الأولى لبيان أن النذر عبادة، فلا يصرف إلا لله، وصرفه لغيره شرك، وساق آية أخرى؛ لبيان أن النذر كالنفقة، فكما أن النفقة عبادة، كذلك النذر عبادة ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾[1] ثم بعد ذلك ساق حديثاً لبيان إن كان النذر لغير الله، فلا يجوز الوفاء به؛ لأنه شرك، كأنه يقول من نذر نذراً فلا يفي به، وإنما يتوب إلى الله عز وجل ؛ لأنه شرك أكبر، والمصنف هنا لتقرير هذه العبادة وهي النذر، وأن صرفها لغير الله شرك، قال: **(باب من الشرك النذر لغير الله لقوله)** وهذا هو الموضع الوحيد الذي ذكر المصنف فيه لقوله يعني: قال الناذر الشريك لغير الله، والدليل قوله كذا ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ لأن من كان في زمن الشيخ رحمه الله يجادلونه يقولون أن النذر ليس بعبادة، فنجوز أن نصرفه لغير الله، لا . المصنف يقول أنه عبادة **لقوله** : ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾.

يعني من أعمال أهل الجنة: وفاؤهم بالنذور، والمراد بالنذر، النذر لله في طاعة، وهو غير مقيد، مثل لو قال شخص: عليّ نذر أن أقبل رأس أمي كل يوم، هنا مطلق، ما قال: علي نذر أن أقبل رأس أمي إذا نجحت، فهذا نذر ما فيه بأس.

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٠.

لو قال شخص مثلاً: عليّ نذر أن أقبل رأس والدتي اليوم بالليل فقبلها، والوفاء بالنذر المطلق من أعمال أهل الجنة، ومن صفات أهل الجنة، لذلك الله أثنى عليهم ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾[1] فلما أثنى الله عليهم أن من فعل ذلك الفعل، دل على أنه عبادة لأنه لا يثنى إلا على أهل الطاعة والعبادة .

---

(١) سورة الإنسان: ٧.

وقوله : ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ ﴾[1] .

هنا جاء بآية فيها عبادة أخرى مع النذر؛ ليبين النذر أيضاً عبادة ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ ﴾ يعني: من صدقة ﴿ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٍ ﴾ يعني: من أداء تلك العبادة ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥ ﴾ ويثيب عليه إن كان طاعة لله .

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٠.

وفي الصحيح : عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال : «من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه».

وفي الصحيح : عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال : من نذر أن يطيع الله فليطعه) يعني: من عقد النذر لله، وهو نذر طاعة يجب عليه الوفاء به، وإذا كان الشخص يرى أن غيره خيراً منه فليكفر، كما في قصة أبي بكرة ﵁ **(ومن نذر أن يعصي الله)** سواء بالشرك، فلا يجوز له الوفاء بذلك، فالمصنف كأن يقول: من نذر نذراً شركياً ليحذر الوفاء به، فلا تفيء به، وإنما تب إلى الله، لذلك قال: **(ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)** فالنذر الشركي لا كفارة فيه؛ لأنه لا ينعقد أصلاً، وإن كان في معصية كشرب خمر أو السرقة، أو ينذر شخصاً ليهجر أحد أرحامه، فالأحوط كفارة اليمين، وإن كان حديث عائشة ضعيف لكن لعموم الأدلة .

باب
من الشرك الاستعاذة بغير الله

الاستعاذة: الألف والسين والتاء للطلب، يعني: طلب أن يعوذني فلان مثلاً طلب العوذ، والمراد بالاستعاذة يعني: عدم طلب عدم وصول الشر إليك، وبعبارة أخرى تحصين النفس من شر يتوقعه، هذه الاستعاذة، مثال ذلك: لو أن شخصاً نزل مكاناً وخشي من لدغة عقرب، فقال: أنا أحصن نفسي؛ لئلا تلدغني العقرب، هذا التحصين يسمى استعاذة، والاستعاذة تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول : الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: أن يطلب شخص الاستعاذة من الجن بأن يعيذوه من شر إخوانهم الجن مثلاً، فهذه استعاذة شركية -والعياذ بالله-.

القسم الثاني : الاستعاذة بحي قادر، لكنه غائب، مثل: لو أن شخصاً نزل مكاناً يقول: يا فلان المسافر البعيد احفظني من شر قومك: هذا غائب: هذه أيضاً استعاذة شركية.

القسم الثالث : الاستعاذة بحي قادر حاضر: فهذه استعاذة جائزة: والدليل كما في صحيح مسلم: أن امرأة سرقت فاستعاذت بأن أم سلمة يعني: أعيذني،

فقال النبي ﷺ : «**لو أن فاطمة سرقت لقطعت يدها**» فقولها استعاذت، فهي حية قادرة تسمع الاستعاذة، ويظن أنها تستطيع ذلك بكلام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بمنع قطع يدها، ومثال آخر مثل: لو أن شخصاً طفل يضرب آخر، فأتاك أحد الطفلين وقال لك: أعذني من ضرب فلان، هذا الطفل أنت تسمع وحاضر وتستطيع أن تعيذه من عدم ضرب هذا لهذا بحضورك، هذا جائز .

والاستعاذة نوع من أنواع الدعاء، والله ﷻ يقول: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ﴾[2] وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾[3] وقال: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ﴾[4] فالاستعاذة عبادة، وهي نوع من أنواع الدعاء، فصرفها لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، ومثال الاستعاذة الشركية: لو أن شخصاً يأتي إلى صاحب القبر ويقول له: أعذني شر جاري -والعياذ بالله- هذا شرك أكبر؛ لأنه ميت ولا يقدر .

والمصنف ؒ ساق في هذا الباب آية وحديثاً . الآية في بيان أن الاستعاذة

---

(١) سورة فصلت: ٣٦.

(٢) سورة الفلق: ١.

(٣) سورة الناس: ١.

(٤) سورة يوسف: ٢٣.

بغير الله فيما لا يقد عليه إلا الله شرك . وساق الحديث بعده حديث خولة «**من نزل منْزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات**» لبيان أن الاستعاذة عبادة لا تصرف إلا الله وحده، وأن الذي يعيذه هو الله وحده جل وعلا، فكأن المصنف قال لك: أن الاستعاذة بغير الله شرك، وخير لك في الدنيا والآخرة استعذ بالله، فهو القادر على دفع الضر الذي قد تظن أن يحل بك، لذلك قال:

وقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾[1] الآية.

في هذه الآية ذم الله ﷻ من يستعيذ بالجن على سبيل التقبيح لهم، وأن الجن لن ينفعوا، لذلك قال عن صالح الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ فالإنس إذا نزلوا وادياً يقولون: أعيذونا أيها الجن، يتكلمون حتى وإن لم يروا الجن، أعيذونا يا سادة الجن من سفهاء قومكم في هذا الوادي، يعني: لا يؤذوننا، فهذه استعاذة شركية -والعياذ بالله- لأن لا يقدر على ذلك إلا الله. ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾[2] أي: أن الجن خوفوا المسلمين أكثر؛ ليتعلقوا بهم أشد، ويتركوا رب العالمين، فدل على أن الاستعاذة بغير الله شرك؛ لذلك سيق هذا في بيان الذم له.

---

(١) سورة الجن: ٦.

(٢) سورة الجن: ٦.

وعن خولة بنت حكيم ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من نزل منْزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ؛ لم يضره شيء حتى يرحل من منْزله ذلك» [رواه مسلم].

(**وعن خولة بنت حكيم ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : من نزل منْزلاً**) يعني: أي منزل سواء في بيته أو في المدرسة أو في مكان عمله أو السيارة أو الطائرة، فكل مكان تحل فيه وتقول هذا الدعاء العظيم المختصر الجامع، يقيك الله ﷻ الشر، حتى ترتحل منه.

(**فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق**) يعني: كأنه يقول لك: دع عنك الاستعاذة الشركية التي لا تنفعك، والجأ إلى الله فهو الذي يحفظك .

(**فقال: أعوذ**) يعني: ألتجئ واعتصم.

(**بكلمات الله**) القدرية منها والشرعية، بجميع كلمات الله، وهذا توسل بصفة من صفات الله ﷻ ، وهي صفة الكلام (**بكلمات الله**) الشرعية، مثل القرآن، فأنا أستعيذ بما تكلمت به، يا رب من القرآن، ومعناها أيضاً يا رب أنا استعيذ بصفة الكلام الذي تدبر به الكون أن تحفظني.

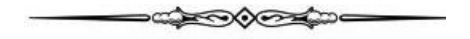
(**التامات**) هذا وصف لكلمات الله، بأنها تامة لا يعتريها أي نقص، والله سبحانه هو القدوس المبرأ عن كل عيب أو النقص.

(من شر ما خلق) يعني: من الذي فيه شر أعذني منه واحفظني منه، والخلق على ثلاثة أقسام من الشر والخير:

قسم خير محض، لا يأتي منهم شر، وهم الملائكة والرسل، **وقسم** شر محض وهم الشياطين، **وقسم** فيهم وفيهم وهم بقية الخلق؛ لذلك أرشد المسلم إلى أن يستعيذ من شر نفسه بدعاء الصباح والمساء «**أعوذ بك من شر نفسي**» وفي دعاء آخر: «**أعوذ بك من شر نفسي وشر كل دابة آخذ بناصيتها**».

(لم يضره شيء حتى يرحل من منْزله ذلك) يعني: من قال هذا الدعاء يحفظ بأمر الله ولم يضره شيء، حتى يدع ذلك المنزل بالارتحال عنه.

والقرطبي رحمه الله يقول: **(جربت هذا الدعاء فنسيته يوماً فلدغتني عقرب فتذكرت لم لدغتني عقرب فعلمت أني نسيت هذا الدعاء)** ومثل الاستعاذة الشركية أن يذهب شخص إلى الساحر ويقول له: اعمل لي شيئاً تكف به شر فلان عني، هذا -والعياذ بالله- استعاذة شركية؛ لأنه لا يقدر على كف الشر إلا الله، من خصائص ربوبية الله عز وجل وهكذا.



باب
من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

(**باب من الشرك أن يستغيث بغير الله**) الاستغاثة: طلب الغوث، وهو أي طلب تفريج الكربة، مثل: لو أن شخصاً غرق في ماء، فقال لك: أنقذني أو أغثني، هنا استغاثة طلب أن ترفع عنه الكربة.

(**أو يدعو غيره**) الدعاء في هذا الباب عطف العام على الخاص، يعني: عندنا عبادة هذه عامة من أنواع العبادة، الصلاة الزكاة الحج، ومن أنواع العبادة: الدعاء، ومن أنواع الدعاء: شخص يدعو أن الله ينقذه من كربة، هذا يسمى دعاء استغاثة، وشخص آخر يدعو ربه أن يحفظه من الأمراض، نقول هذا الدعاء استعاذة، وشخص يدعو ربه أن يرزقه زوجة صالحة مثلاً، نقول هذا الدعاء طلب حاجة، وهكذا، فالمصنف هنا عطف العام على الخاص، يعني: كأنه يقول لك: من الشرك دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سواء باستغاثة أو غيرها؛ لذلك قال: (**باب من الشرك أن يستغيث بغير الله**) في حال الشدة (**أو يدعو غيره**) في حال الرخاء، فكل دعاء لا يقدر عليه إلا الله، فهو شرك .

والمصنف رحمه الله وضع في هذا الباب أربعة آيات وحديثاً واحداً، ولكون

الدعاء أعم، قدم آيات الدعاء فوضع لها ثلاثة آيات، ولكون أن الاستغاثة فرع من الدعاء، جعل لها آية وحديثاً، فساق ثلاثة آيات في أن الدعاء لا يكون إلا لله فقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾(١) ساق الآية الأولى لبيان أن النبي ﷺ ممنوع أن يدعو غير الله، فغيره من الناس أولى .

وساق الآية الثانية ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾(٢) أن طلب الرزق من أنواع الدعاء، فلا تصرفه إلا لله.

ثم في الآية الثالثة، بين أن أضل الناس هو الذي ينزل حوائجه لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾(٣) .

ثم بعد ذلك ساق آية وحديثاً في الاستغاثة فقال: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾(٤) يعني أن الله ﷻ هو الذي يغيث المستغيث، ولا يغيث أحد سواه، ثم ساق حديثاً لبيان أن من استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد وقع في الشرك .

واختيار المصنف هذه الآيات على هذا الترتيب من بديع تصنفيه رحمه الله .

---

(١) سورة يونس: ١٠٦.

(٢) سورة العنكبوت: ١٧.

(٣) سورة الأحقاف: ٥.

(٤) سورة النمل: ٦٢.

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ ﴾[1] الآية .

﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ساق هذه الآية لبيان النبي ﷺ منهي أن يدعو غير الله، وحاشاه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من ذلك، لكن الخطاب له خطاب لأمته ﴿ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ لو دعوته ﴿ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إن تركت عبادته، يعني: لو شخص ترك عبادة الصنم ما يتضرر؛ لأن الصنم لا يملك لا نفعاً ولا ضراً ﴿ فَإِن فَعَلۡتَ ﴾ ذلك يا محمد ودعوت غير الله ﴿ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: من المشركين، فدل على أن دعاء غير الله شرك فيما لا يقدر إلا عليه سبحانه ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ يعني: دع عنك الدعاء الشركي، والجأ إلى الدعاء المشروع ﴿ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾ سبحانه فهو ﷻ المعطي، وسبحانه هو المانع (الآية).

---

(١) سورة يونس: ١٠٦.

وقوله : ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾[1] الآية.

يعني إذا أردت أن تدعو أحداً لطلب زيادة الرزق من مال أو ولد أو عافية أو زوجة ونحو ذلك ﴿فَٱبۡتَغُواْ﴾ ذلك من ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وأول الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إذا أردت وفرة المال وكثرته، فعليك بالالتجاء إلى الله سبحانه، وهو القائل ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[2] وهو سبحانه الغني، لا يقول لعباده: اسألوني إلا ليعطيهم سبحانه، لذلك ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾ بكثرة الدعاء، فدل على أن الدعاء من أنواع العبادة، وأن طلب الرزق من أنواع الدعاء .

---

(١) سورة العنكبوت: ١٧.

(٢) سورة النساء: ٣٢.

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾(١) الآيتين.

يعني: بين المصنف أن أضل الناس الذي يدعو غير الله، فلا أحد أضل منه على وجه الأرض، وهو الذي وقع في الشرك الأكبر، لذلك قال ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ لا أحد أضل منه، لماذا؟ ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ لو يمكث شخص عند قبر مئة سنة تطلب منه ولداً واحداً، ما يعطيك ما يستجيب ميت ولو يسمع ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ يعني: غافل عن دعائك ولا يسمعه، هذا في الدنيا وفي الآخرة ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً ﴾ يعادي الداعي المدعو، إذا كان المدعو قد رضي بالدعاء ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ يعني: يقولون لهم: ما فعلتموه بعبادتنا، هذا كفر، لماذا تدعوننا؟ فدل على أن ذلك أعظم الذنوب .

---

(١) سورة الأحقاف: ٥.

وقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[1] **الآية.**

هنا في الاستغاثة ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ الله ﷻ يقررهم بتوحيد الربوبية؛ لإلزامهم بتوحيد الألوهية، فهم يعلمون بأن الذي يكشف السوء والملمات هو الله، فالله يقول لهم ما دام أنكم تقرون بذلك، فأفردوه في الرخاء، كما قال عنهم سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ - يسلموا في الشدائد- فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[2] فالله يقول لهم فهو ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[3] فهو في حال اضطراركم تدعونه ولرحمته يستجيب دعاءكم، فلا تصرفون الدعاء في حال الرخاء إلا له أيضاً .

---

(١) سورة النمل: ٦٢.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٣) سورة النمل: ٦٢.

وروى الطبراني : «أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ؛ فقال النبي ﷺ : إنه لا يستغاث بي ، وإنما يستغاث بالله».

(**وروى الطبراني أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين**) وهو عبدالله ابن أُبي ابن سلول.

(**فقال بعضهم**) يعني: بعض الصحابة ﵃ .

(**قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من**) شر (**هذا المنافق**) ليدفع عنا شره.

(**فقال النبي ﷺ : إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**) يعني: طلبوا استغاثة غير مشروعة، كف شر ذاك من النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، والنبي مخلوق لا يملك شيئاً ولا سلطان عليه على أُبي، فكان زعيم المنافقين وقوياً، فمثل هذه الاستغاثة لا تكون إلا لله، ذلك (**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**) ﷻ فساق المصنف هذا الحديث؛ لبيان أن من استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وقع في أمر عظيم.

ويكون المصنف قد ختم هذا الباب.



باب قول الله تعالى :

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾(١) **الآية**

ساق المصنف رحمه الله هذا الباب؛ لبيان بطلان عبادة غير الله، ورد ما يتعلق به المشركون من عبادة غيره سبحانه وتعالى .

وساق المصنف في هذا الباب الآية التي بوب عليها والآية الثانية ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾(٢) لبيان سبع صفات فيمن عبد من دون الله؛ لبيان أنه لا يستحق العبادة، ففي الآية التي بوب عليها، ذكر ثلاثة صفات في الآية الثانية ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ ذكر أربع صفات لعدم استحقاق الآلهة من دون الله العبادة، ثم بعد ذلك ساق المصنف ثلاثة أحاديث؛ لبيان أن أشرف المخلوقات وأفضلها عند الله عز وجل وخيرها وهو النبي عليه الصلاة والسلام لا يستحق أن يصرف له شيء من أنواع العبادة، فذكر أنه ينزل عن مرتبة الألوهية ومقامه عليه الصلاة والسلام العبودية والرسالة .

(١) سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢.

(٢) سورة فاطر: ١٣.

فساق حديث أنس: أن النبي ﷺ شج يوم أحد، فبيّن أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يمنع عن نفسه الشجة التي شج في وجه .

ثم ذكر حديث ابن عمر؛ لبيان أن النبي ﷺ دعا على أقوام من المشركين، والله ﷻ لم يستجب دعاه، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما يملك شيئاً من أمور الكون، وأن الأمر لله .

ثم بعد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيَّن للجميع بأنه لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، وخص منهم قومه وعشيرته، وهم أقرب الناس إليه، ثم خص من هو أقرب الناس في عشيرته، وهم عمه وعمته، ثم خصص من أولئك من هو بضعة منه وهي فاطمة رضي الله عنها، فقال للأقربين هؤلاء: «**لا أملك لكم من الله شيئاً**» فإذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيَّن للناس أنه لا يملك لأحد شيئاً، فدل على أن العبادة لا تصرف إلا لله ﷻ ، فإذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذه المثابة، فغيره من باب أولى .

إذن المصنف رحمه الله قسم هذا الباب إلى قسمين:

القسم الأول: في الآيتين وهو بطلان عبادة جميع الآلهة، ثم ساق ثلاثة أحاديث خاصة في أن النبي ﷺ لا يستحق أن يصرف له شيء من أنواع العبادة، وإنما العبادة تصرف لله وحده سبحانه لذلك قال:

باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾[1] الآية .

﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري، يعني هل يشركون بالله شيئاً ما لا ليس له صفات الألوهية، ثم ذكر ثلاثة صفات فيهم ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ يعني: أن الخلق أنهم لا يملكون الخلق: يعني: لا يملكون خلق شيء في هذا الكون، لا يخلقون شيء، والذي لا يخلق لا يستحق العبادة، وإنما الذي يستحق العبادة هو الخالق: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2].

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ يعني: تلك الآلهة من الأصنام أو الأموات من الأولياء والأنبياء والصالحين لا يستطيعون لكم نصراً، هذه الصفة الثانية، فإذا كان لا يستطيع أن ينصر من دعاه، فلماذا ندعوه؟ فكل صفة من تلك الصفات السبع، الواحدة منها كافية في بطلان تلك الآلهة، لكن كثرة توارد الأدلة تزهق الباطل .

---

(١) سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢.

(٢) سورة لقمان: ٢٥.

﴿ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾ يعني: الأموات والأصنام لا تسطيع حتى نصر أنفسهم، فالأصنام لما كسرها إبراهيم عليه السلام ما دافعت عن نفسها، بل تكسرت والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما كسر الأصنام في غزوة الفتح تكسرت، فما تملك شيئاً، والصفة الثالثة هي أقوى الصفات الثلاثة؛ لأنها إذا كانت تلك الآلهة عن نفسها ما تستطيع النصر، فمن باب أولى لغيرها، فهذه ثلاثة صفات في الآية الأولى، ثم ساق المصنف آية فيها أربع صفات في تلك المعبودات من دون الله، والمصنف رحمه الله لم يأت بشيء من عنده، يعطيك الآية وأنت تتدبرها وتعلم ما فيها .

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾[(١)] **الآية.**

يعني يذكر الله صفات الذين يدعون من دون الله ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ القطمير: هو الغشاء الذي على نواة التمرة.

فالصفة الأولى : في هذه الآية: أن تلك الآلهة ما تملك شيئاً، فإذا كانت لا تملك شيئاً لا تستحق العبادة، فكيف يعبد من هو فقير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[(٢)] .

الصفة الثانية : ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ ﴾[(٣)] يعني: لو مكث شخص عند قبر سنين متطاولة، الميت لا يسمع دعاءك .

الصفة الثالثة : ﴿ وَلَوۡ ﴾ قدر أنهم ﴿ سَمِعُواْ ﴾ دعاءك ﴿ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ ﴾ .

الصفة الرابعة : ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡ ﴾ يعني: إذا كان الشخص يعبد ضريح هذا الولي: ويقول له: اغفر لي وأدخلني الجنة، فإذا أتى يوم القيامة، فإذا هو من يدعوه يتبرأ منه ويبعده منه، فهنا يبغض الداعي المدعو؛

---

(١) سورة فاطر: ١٣.

(٢) سورة فاطر: ١٥.

(٣) سورة فاطر: ١٤.

لذلك قال الله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ بما سيحدث في المستقبل من تبرؤ الآلهة بالداعية، وهذه من أعظم شيء في النفوس، شخص أتقرب إليه وأتودد إليه، ثم تكون الثمرة أنه يتبرأ ويبتعد عني، بل ويكفرني، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾[1] فهذه صفات سبع في بطلان آلهة من يعبد من دون الله، والقرآن يخاطب العقل، ومن أعمل عقله سلمة فطرته وتوجه إلى الله .

(١) سورة العنكبوت: ٢٥.

في الصحيح : عن أنس ﷺ قال : «شُج النبي ﷺ يوم أحد ، فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ ! فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾»[1].

هنا ينتقل إلى ما يخص أشرف الخلق عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه لا يملك لنفسه شيئاً، ولا يدفع عنها ضراً، وبين ذلك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صراحة لأقرب الناس إليه .

(**في الصحيح عن أنس قال : شُج النبي ﷺ**) الشجة يعني: الضربة في الوجه، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شج (**يوم أحد وكسرت رباعيته**) الرباعية: هي التي بعد الأنياب، وللإنسان أربع رباعيات، وكسر رباعيته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليست قلعها بالكلية، وإنما زوال شيء منها، فكسرت رباعيته بسبب قتال الكفار له في غزوة أحد في السنة الثالثة.

(**فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**) يعني: قال النبي ﷺ لن تفلحوا لأنكم شججتم نبيكم (**فنزلت**) فأنزل الله عليه ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ في نفي الفلاح عنهم، وإنما هذا الأمر لنا، هذا يفلح، وهذا يشقى، فعاتبه الله ﷻ على تلك الكلمة؛ لأنه عبد رسول، فلا يزيد على مقامه، فنفي الفلاح عن غيره هذا من خصائص الربوبية؛ لذلك لما قال: (**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**) قال: ﴿ لَيْسَ

---

(١) سورة آل عمران: ١٢٨.

لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ ما تقول هذا؛ لأن السعادة والشقاء بيد الله وحده.

فالشاهد: أن النبي ﷺ شج فما منع عن نفسه الشجة، ثم قال: لن تفلحوا والله قال: ليس لك ذلك، فدل على أنه لا يجوز أن نصرف له شيء من أنواع العبادة؛ لأنه شج ومرض وسحر وأكل من السم، فهذه مقامات هي مقامات البشر، والبشر لا يستحق صرف شيء من العبودية، وإنما كرمه الله ﷻ بالرسالة والعبودية .

وفيه : " عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع رسول الله ﷺ - إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر - يقول : اللهم العن فلانا ، وفلانا ، وفلانا ؛ بعد ما يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ؛ فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾.

(وفيه: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول) يعني: هذا في القنوت في النوازل، وإذا حلت بالمسلمين نازلة يشرع القنوت في الصلوات، في صحيح البخاري أن النبي ﷺ كان يقنت في النوازل في صلاة الفجر في الركعة الأخيرة بعد الرفع من الركوع، وثبت أن النبي ﷺ قنت في جميع الصلوات، وقنت في صحيح البخاري على هرعيا وذكوان شهراً كاملاً، فإذا حلت بالمسلمين نازلة تشرع تلك العبادة، وهي عبادة الدعاء في النوازل، فإذا كان النبي ﷺ في الصلاة يدعو، وخلفه الصحابة رضي الله عنهم يأمنون على دعائه، ومع ذلك لم يستجب الله دعوته؛ لأنه بشر، لا يملك أن يضر أحداً، فهو دعا على صفوان وسهيل وحارث، مع ذلك لم يستجب الله دعاءه، بل كلهم أسلموا، وهو يدعو والصحابة خلفه يؤمنون، ومع ذلك لم يستجب لهم؛ لأن مدبر الكون هو الله، فإذا كان الله هو الذي يدبر الكون، هو الذي يستحق العبادة، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف: ٥٤.

(اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً) تسمية هؤلاء تأتي في الرواية صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام **(بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله** : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ يعني: ليس لك أن تحرم أولئك من الدخول في الدين، وإنما هذا الأمر إلينا .

وفي رواية : «يدعو على صفوان بن أمية ، وسهل بن عمرو ، والحارث بن هشام ؛ فنَزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾».

(وفي رواية : يدعو على صفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، والحارث بن هشام) وكلهم أسلموا، فدل على أن الهداية بيد الله وحده، كما قال سبحانه: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1] فإذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يملك أن تستجاب دعوته لكافر، فدل على أنه لا يستحق العبادة، فنَزلت : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ يعني: ليس لك من الأمر شيء في حرمان أولئك من السعادة، وهي الدخول في الدين .

ثم بعد ذلك بين أن الرسول ﷺ ذكر لخاصة أهله بأنه لا يملك لهم شيئاً، فمن باب أولى لغيره، فدل على أن صرف العبادة للنبي ﷺ في غير محلها، وإذا كان النبي ﷺ وهو أشرف الخلق وخيرهم لا يستحق أن يصرف له شيء من أنواع العبادة، فغيره من باب أولى من أصنام وأوثان والأشجار والأحجار.

---

(١) سورة فاطر: ٨.

وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال : " قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]؛ قال: «يا معشر قريش! – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم ؛ لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبدالمطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً . يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئاً . و يا فاطمة بنت محمد! سليني من مالي ما شئت ؛ لا أغني عنك من الله شيئاً ».

(**وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه:** ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد على الصفا في مكة وقال: «**وآه صباحاه**» فاجتمعوا إلى النبي ﷺ يسمعون منه، ماذا يريد، فقال لهم: «**أرأيتم لو قلت إن جيشاً صبحكم أو مساكم أو مصدقي**» قالوا: نعم؛ لأنهم لم يعهدوا عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كذباً، ومما قاله (**يا معشر**) المعشر: هم الجماعة، وكان ممن في مكة هم (**قريش**) فناداهم جميعا ببطونهم، ثم دعاهم إلى التوحيد، فقال لهم: «**قولوا لا إله الله**» .

وقال لهم أيضاً (**يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم**) يعني: أنقذوا أنفسكم من النار بالتوحيد، فأنتم في مهلكة إن متم على الشرك.

(**لا أغني عنكم من الله شيئاً**) هذا الشاهد، النبي ﷺ هو الذي يبين لو قال شخص: أنا ادعو النبي ﷺ ، نقول الرسول ﷺ قال: (**لا أغني عنكم من الله شيئاً**)

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤.

يعني: لو أصابكم عذاب أو حلت بكم مصيبة ما أغني عنكم شيء .

ثم بعد ذلك خص عمه؛ لأن النبي ﷺ لم يكن له أب حين بعثته، والنبي ﷺ في صحيح البخاري ومسلم قال: «**العم صنه أبيه**» يعني: مثل أبيه، فنادى عمه (**يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً**) يعني: لا أملك لك شيئاً إن أراد الله بك ضراً.

(**يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً**) يعني: ذكر العم والعمة هم أقرب الناس إليه، العمة لأن النبي ﷺ ليس له أم، فقال (**يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً**) اسلمي وادخلي في الدين فما أملك لك أن أنقذك من النار.

(**و يا فاطمة بنت محمد**) ذكر ابنته وذكر لابنته (**سليني ما شئت من مالي**) لأنها في حياتها تجد النفقة لها (**سليني ما شئت من مالي**) خذي (**لا أغني عنك من الله شيئاً**) فإذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد قال لأقرب الناس إليه، وهي فاطمة: ما أملك لك من الله شيئاً فغيرها من الأبعدين لا يملك عنه من الله شيئاً، فدل على أن المستحق للعبادة وهو الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

والعاقل يضع لكل أحد مقامه، فللنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مقام من التبجيل والتعظيم والذب عنه ومحبته ووجوب اتباعه، لكن لا نرفعه فوق منزلته نضعه منزلة الربوبية، فلا نغلوا فيه، والله عَزَّ وَجَلَّ له الحق في العبودية بأنواعها من الخوف منه

ووجوب التوكل عليه ورجائه ومحبته، ولا ننقصه من قدره جلا وعلا، فنجعل معه شريكاً في العبادة، فلا نساويه بالمخلوق، فنتبع النبي ﷺ فيما يقوله، ونعبد الله وحده، ومن فعل ذلك حقق شهادة أن لا إله إلا الله، وحقق شهادة أن محمداً رسول الله في اتباعه، ومن فعل ذلك دخل الجنة، فلا نفرط ولا نفرط وسط مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا نرفعه فوق مكانته، ولا ننزله عن مكانته، فنرد دعوته .



باب قول الله تعالى :

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[(١)]

لما ذكر المصنف رحمه الله حال الآلهة التي تعبد من دون الله من الأصنام والأوثان والصالحين، ثم ذكر حال النبي ﷺ بأنه لم يستطع أن يمنع عن نفسه الشجة في وجهه، ذكر بعد ذلك حال مخلوق عظيم، وهو الملائكة كيف حاله مع الله، والملائكة خلق عظيم: قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**أذن لي أن أتحدث عن ملك من حملة العرش ما بين عاتقيه إلى شحمة أذنه مسيرة خمسمئة عام**» والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**رأيت جبريل في صورته قد سد جناحه الأفق**» له ستمئة جناح الجناح، الواحد سد الأفق، ملأ السماء من كبره، وفي صحيح البخاري أتى ملك الجبال للنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال «**إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين**» يعني جبلين عظيمين الملك يطبقهما بمن فيهما، فدل على قوتهما وعظم خلقهما .

وساق المصنف في هذا الباب آية وحديثين؛ لبيان حال ذلك الخلق العظيم مع الله . الآية الأولى بأنهم يفزعون من الله عز وجل، وحديث أبي هريرة ساق فيه صفة فزع الملائكة بأجسادهم يخضعون لله خضوع. وحديث النواس بن سمعان بين مالذي يحدث في قلوبهم مع الخضوع، بأنه إذا تكلم الله بالكلام فقط تكلم بالكلام

(١) سورة سبأ: ٢٣.

يغشى عليهم جميعاً بما فيهم جبريل عليه السلام ، فإذا كانت الملائكة بكلام الله يغشى عليهم، فدل على أنهم ما يستحقون الملائكة كيف نعبد من يغشى عليهم، فمن الذي يستحق العبادة؟ الذي يستحق العبادة الذي يتكلم، السموات ترعد من كلامه، كما سيأتي، والملائكة تغشى منه، وهو الله الذي قال عن نفسه: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ لذلك قال المصنف:

باب قول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ يعني: الملائكة يرتفع عنهم الغشي.

﴿ قَالُواْ ﴾ يعني: يقول بعضهم لبعض كما سيأتي في تفسير هذه الآية في حديث أبي هريرة والنواس «**ماذا قال ربنا يا جبريل**» لأن أول من يرفع رأسه هو جبريل، فيقول: ﴿ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فما يستطيعون الشفاعة لأحد عند الله إلا إذا أذن الله؛ لأنهم يخافون من الله سبحانه، وإذا تكلم صعقوا، فدل على أنهم لا يستطيعون أن يشفعوا لأحد عند الله إلا بإذنه؛ لأن الآية في الشفاعة، ودل على أنهم لا يستحقون العبادة؛ لأنهم في حال كلام الله يحصل لهم هذا الضعف .

في الصحيح : عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال : «إذا قضى الله الأمر في السماء؛ ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾(١)، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا ، بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه ، فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن . فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» .

(في الصحيح عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء) حديث النواس بن سمعان فسر ذلك بالكلام، إذا أراد الله أن يتكلم بالوحي.

(إذا قضى الله) أمره الكوني القدري بالكلام، فدل على أن الله ﷻ بصوت وحرف مسمعين، متى شاء إذا شاء بما شاء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) وقال ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾(٣) ﷻ

---

(١) سورة سبأ: ٢٣.

(٢) سورة يس: ٨٢.

(٣) سورة الرحمن: ٢٩.

وقال ﴿مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾[(١)] ويدل هذا أيضاً على أن الله ﷻ في السماء، فإذا قيل لك أين الله؟ قل: في السماء، وإذا شئت فصلت، مستو على عرشه ﷻ في السماء.

(ضربت الملائكة بأجنحتها) تضرب الملائكة بأجنحتها **(خضعانا لقوله)** خضوعاً له سبحانه من الخشوع له والخضوع تضرب بأجنحتها، هنا وصف للجسد خضوع، أما القلب يسري ذلك الكلام في قلوبهم ويغمى عليهم، كما في حديث النواس كما سيأتي .

فإذا كانت بكلام الله تخضع بأجنحتها لله ﷻ ، فدل على أنه لا يجوز أن يصرف لها شيء من أنواع العبادة؛ لأن العاقل لا يعبد إلا القوي، ولا أقوى من الله، ولا يعبد إلا الكبير، ولا أكبر من الله، فالعاقل يعبد من هو الأكبر الأقوى الأغنى وهو الله ﷻ (خضعانا) يصح خَضعانا أو خُضعانا **(كأنه)** يعني: كأن كلام الله ﷻ في صوته **(سلسلة)** حلقات من حديد **(على صفوان)** الحجر الأملس، فالحديد إذا تحرك على الحجر الأملس يخرج صوتاً عظيماً، فكلام الله ﷻ وصفه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنه **(كأنه سلسلة على صفوان)** يعني: كأن كلام الله الذي ينفذ على قلوبهم سلسلة على صفوان ﷻ .

فإذا قيل: أليس هذا من باب التشبيه ككلام الله؟

---

(١) سورة آل عمران: ٢٦.

نقول: الذي شبه لنا ذلك هو نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فنؤمن به، ولا أعلم صفة من صفات الله فيها تشبيه شبه لنا النبي ﷺ شبه لنا الصفة إلا صفة الكلام هذه **(كأنه سلسلة على صفوان)** وأهل السنة والجماعة يؤمنون بما جاء عن الله ﷻ في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، وبما وصف به رسوله أن كلام الله **(كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك)** يعني: كلام الله ﷻ بهذه الصفة ينفذ إلى قلوب الملائكة، وهذا القول الذي هو كلام الله، والذي قاله الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وهو الذي في حاشية كتاب التوحيد (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[1] يعني: لما فسر النبي ﷺ ما يحدث للملائكة استدل بالآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ زال عنهم الفزع من كلام الله ﴿قَالُوا۟﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ﴾ يقولون ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ سبحانه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ .

(فيسمعها مسترق السمع) يعني: إذا تكلم الله ﷻ بالوحي، ثم قال بعض الملائكة بعضهم لبعض ماذا قال ربنا، وهم في السماء، يقولون قال: كذا وكذا يسترقها **(مسترق السمع)** من الجن.

(ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض) وصفه سفيان فحرفها وبدد بين أصابعه حرف ما في هذه اليد تحرفها تميلها، وبدد بين أصابعه لبيان أن الملائكة بعضهم فوق بعض من مماسة، وإنما بعضهم فوق بعض من غير أن يمس بعضهم

(١) سورة سبأ: ٢٣.

بعضا، كالأصابع يعني: هذا وصف الجن بعضهم فوق بعض، ليس من غير مماسة فالأعلى يلقي ما سمعه للأدنى وهكذا، والله ﷻ أعطاهم سرعة خارقة حتى يوصلوها إلى الساحر أو الكاهن كما سيأتي (**فيسمعها مسترق السمع**) من الجن على الصفة السابقة .

(**وصفه سفيان**) بن عيينة وهو من أجل التابعين وأعلمهم.

(**بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته**) يعني: فيسمع المسترق الأول الكلمة فيلقيها إلى من تحته (**ثم يلقيها الآخر إلى من تحته**) كذلك الأعلى يلقيها إلى الأدنى.

(**حتى يلقيها**) يعني حتى الأخير يقر في الأذن.

(**على لسان الساحر أو الكاهن**) بأنه سيحدث في الكون كذا وكذا من وفاة شخص أو حياته أو غير ذلك من أمور المستقبل.

(**فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها**) يعني: رب نزل عليه شهاب من السماء، فأهلك أولئك فلا يصل إلى الساحر ولا الكاهن شيء.

(**وربما ألقاها قبل أن يدركه**) يعني: ربما ألقاها مسترقي السمع على لسان الساحر أو الكاهن قبل أن يدركه الشهاب، وهذه لحكمة عظيمة ليفتن المكلفون من الجن ولإنس.

فإذا قيل: لماذا الجن يفعلون ذلك مع خطورة ما سيحدث لهم من وفاة بسبب ذلك الشهاب؟

نقول: يفعلون ذلك ليضلوا البشر؛ حتى يفتتن الناس بالساحر أو الكاهن بأنه يعلم الغيب، فيقع في الكفر؛ لأن من يعلم الغيب أحد سوى الله من السحرة والكهان.

(فيكذب معها مائة كذبة) يعني: الساحر أو الكاهن، فمثلاً يقولون له: فلان سيولد، فيقول فلان سيولد في المكان الفلاني، ويحدث كذا، ويكذب زيادة ليصدق، فدل على قبول بعض النفوس المريضة للباطل، فهذا الساحر أو الكاهن يصدق في كلمة أخذت من السماء، فيكذب في تسع وتسعون كذبة، ومع ذلك يصدق في التسع والتسعون مع تمام المئة، ولو كان لك صاحب يكذب في اليوم خمس كذبات لتركته، فكيف بمن يكذب في أمر واحد تسع وتسعون كذبة، فدل على قلة العقول، وقصور من يذهب إلى السحرة والكهان يسألهم عما في المستقبل، في صحيح البخاري عن عائشة (لما سئل عنهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: عن الكهان ليسوا بشيء) ما يعلمون الغيب، كما قال سبحانه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١] وقال ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[٢].

(١) سورة النمل: ٦٥.

(٢) سورة الرعد: ٩.

(**فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا**) هنا يفتتنون، يجعلون الكاهن سواء مع الله في علم الغيب فتنتهم، فيقولون لماذا تكذبون الساحر والكهان يعلم الغيب (**فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا**) في اليوم الفلاني بأنه سيموت فلان وفعلاً مات، هذه هنا الفتنة (**فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**) لأن الكاهن لم يأت بشيء من عند نفسه، وإنما بسبب ذلك الاستراق، فالشاهد في هذا الحديث: أن الله إذا تكلم بالوحي تخضع الملائكة بأجنحتها لله ﷻ .

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر؛ تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة – أو قال: رعدة شديدة – خوفا من الله ﷻ، فإذا سمع ذلك أهل السموات ؛ صعقوا، وخروا لله سجدا ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ ».

(**وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر**) يعني: إذا أراد الله شيئاً في تدبير الكون.

(**تكلم بالوحي**) وهذا يدل على إثبات صفة الكلام لله سبحانه .

(**أخذت السموات منه رجفة – أو قال : رعدة شديدة**) هنا ذكر غير حال الملائكة حال السموات، يتكلم الله بالوحي تخاف السماء وترتعد، يعني: تضطرب وتتحرك من كلام الله ﷻ .

فإذا كان هذا حال المخلوق العظيم، وهي السموات بكلام الله، دل على وجوب عبادة العظيم، ودل على أن السموات أو الجمادات تخشع وتخضع لكلام الله في هيئة وحالة لا نعلمها، والله قال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ

﴿خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[(١)] وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[(٢)] يعني من الحجارة.

فإذا قيل: ليس في ذلك رد على من يعبد السموات؟ نقول لك: لا يوجد أحد يعبد السموات، يطلب منها نفع وضر، أو جلب نفع؛ لذلك المصنف ساقها في خصوص الملائكة، وبين النبي ﷺ أن الملائكة ترتعد، كأنه يقول لك: وانظر أيضاً إلى حال الملائكة (**خوفا من الله** ﷻ) وأي جماد تخاف من الله سبحانه وتعالى .

(**فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا**) الآن انتقل إلى الملائكة (**فإذا سمع ذلك أهل السموات**) وهم الملائكة.

(**صعقوا، وخروا لله سجدا**) هنا يبين الحالة التي تصيب الملائكة في غير أجسادهم، يخرون ويصعقون يغشى عليهم من كلام الله سبحانه وتعالى (**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل**) بعد هذا الغشي الذي أصابهم، يرفع رأسه جبريل (**فيكلمه الله من وحيه بما أراد**) لأن جبريل هو السفير بين الله وبين رسوله، وهو أشرف الملائكة (**ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل**) يسألونه عن كلام الله ﷻ (**فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير**) يعني قال الله: القول الحق وهو العلي الكبير سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الحشر: ٢١.

(٢) سورة البقرة: ٧٤.

(**فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل**) يعني: كلهم يقولون: قال الحق وهو العلي الكبير، فانظر إلى خضعان الملائكة لكلام الله ﷻ ماذا يحدث لهم، فإذا كان هذا هو حال الملائكة، كيف أعبد حجر صنم أو شجر أو شخص في رفاته في التراب .

(**فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ**) ﷻ يعني: إلى الأرض فتبين بهذا أن الملائكة يخشون الله ويخضعون له، فلا يجوز صرف شيء لهم من أنواع العبادة وغيرهم من باب أولى .

ويكون المصنف رحمه الله قد انتهى من هذا الباب .



باب الشفاعة

أي: بيان حكم الشفاعة وأقسامها وشروط، الشفاعة المثبتة مما تعلق به المشركون في دعوة غير الله ﷻ، أنهم يقولون: ما دعونا الأضرحة أو القبور أو الأصنام إلا من أجل أن يشفعوا لنا، نحن ما ندعوهم، وإنما نقول لهم: يا فلان مثل الميت اشفع لنا عند ربك بأن يغيثنا مثلاً، أو اشفع لنا عند ربك أن يشفي مريضنا، وهكذا وأخبر الله ﷻ عن حال بذلك في قوله: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ - يعني هل اتخذوا من دون الله شفعاء - قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾[1].

فالشبهة الأولى التي يتعلقون بها: شبهة الشفاعة؛ لأن أبا جهل وأضرابه لا يأتي إلى هبل ولا إلى العزى ويقول له: انصرني أو اشفني، فهو أعقل من ذلك، وإنما يقول: يا هبل اشفع لي عند ربك يفعل كذا وكذا -والعياذ بالله- وشرك كثير من المشركين اليوم لا يطلبون الشفاعة من غير الله فيما يردونه من الله، وإنما -والعياذ بالله- شركهم أعظم من الأولين، فيأتون إلى قبر الولي أو النبي ويقولون له: يا فلان اشفني، يا فلان ارزقني ولداً وهكذا، فوقعوا في الإلحاد، فشرك من فعل ذلك أعظم من شرك كفار قريش؛ لأن كفار قريش يثبتون الربوبية هنا،

---

(١) سورة الزمر: ٤٣.

جحدوا الربوبية، فدعوا الأموات من طلب الشفاعة؛ لذلك مثلاً: يأتي شخص إلى قبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول له: يا رسول الله اشفني، هنا ما جعل شفاعة ما قال: يا سول الله اطلب من الله أن يشفني، هذا هو الشرك، أبي جهل طلب الشفاعة، وإنما -والعياذ بالله- جحدوا الربوبية بالكلية، وقال: أنت يا رسول الله اشفني؛ لذا طلب الشفاعة من المشركين اليوم قليل، وأكثر منه هو دعوة غير الله مباشرة من دون طلب الشفاعة، ولكن هذه الشبهة متغلغلة في نفوس المشركين قديماً وحديثاً، أيضاً عند بعضهم .

عقد المصنف رحمه الله هذا الباب لوجود اللبس الكثير عندهم، حيث قاسوا ما يطلبونه من الله على ما يطلبونه من البشر، فقالوا: إن طلبنا شيئاً من رجل وجيه قد لا يقبل أمرنا؛ لضعف حالنا بفقر أو وضاعة جاه أو منصب، فيذهبون إلى من هو وجيه، ويقولون له: اشفع لنا عند الوالي مثلاً في أمر ما، في أي عمل، أو في أي فعل، فقالوا: كما أننا لا نصل إلى الوالي من دون واسطة، فقاسوا الرب على ذلك فقالوا: لا نستطيع أن نصل إلى الرب إلا بواسطة، وهذا هو الشرك الأكبر، والله يقول: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ -بدون واسطة - ﴾[1] وقال ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾[2] ومن فضل الله عَزَّ وَجَلَّ على

(١) سورة غافر: ٦٠.

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

عباده أنه لم يجعل بينه وبين خلقه أي واسطة، فالخلق يطلبون منه ما شاءوا، بل هو الذي أمرهم بذلك ﷻ فقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[1] فكل ما تريدون اسألوني، وأنا الغني الحميد الكريم القدير .

ولو كان هناك واسطة في الدعاء؛ لتقطعت الأسباب، ولحصلت المشقة العظيمة عند الخلق، فمثلاً: لو أن تائهاً تاه في مفازة، وقلنا له: لن يستجاب دعاؤك إلا عند صنم، لابد من شافع، كيف سيدعو في تلك المهلكة، وكذا لو أن شخصاً مريضاً ونقول له: لن يستجاب دعاؤك إلا بواسطة، اذهب إلى القبر الفلاني، فيه مشقة، وكذا لو أن امرأة ستلد مثلاً، نقول: لن يستجاب دعاؤك وعليك أن تذهبي إلى القبر الفلاني، فيها مشقة عظيمة، ولقوة الله وعظمته لم يجعل بينه وبين خلقه واسطة، بل من فضله أن من سأله يحبه الله؛ لأنه تعلق بالله ﷻ ، والله خلق الخلق ليتعلقوا به وحده ﷻ .

إذن الشفاعة وإن كان فيها هضم للربوبية، وتنقصاً للألوهية، وسوء ظن برب العالمين، فيها أيضاً مشقة على الخلق، فالله ﷻ تقدست أسماؤه جل في علاه يسمع ويبصر حاجات البشر، فلم يحتاج إلى واسطة بينه وبين البشر .

والمصنف رحمه الله عقد هذا الباب، وبيَّن فيها أقسام الشفاعة، وأدلة كل نوع، فالشفاعة تنقسم إلى قسمين :

---

(١) سورة النساء: ٣٢.

القسم الأول : الشفاعة المثبتة، يعني: شفاعة صحيحة وأثبتها الشرع، وهي التي تطلب من الله ﷻ ، مثل: لو أن شخصاً قال: يا رب شفع فيَّ الصالح من أقاربي في رفع درجاتي في الجنة. نقول: يصح؛ لأنك طلبتها من الله ﷻ ، وكذا لو قلت: يا رب شفع فيَّ نبيك؛ لأكون من أهل شفاعته يصح، لماذا؟ لأنك طلبتها من الله، وكذا لو قال شخص: يا رب شفع فيَّ شهيداً من أقاربي؛ لترتفع درجاتي أو لا تمسني النار. نقول: يصح؛ لأنها طلبتها من الله وحده، وهذه الشفاعة حتى تتحقق للمشفوع له يشترط لها شرطان:

الشرط الأول : إذن الله ﷻ للشافع أن يشفع، فلا أحد يستطيع أن يأتي إلى ربه ويشفع إلا إذا أذن الله له، كما سيأتي يعني: لا يأتي الشافع مباشرة يشفع عند الله، يا رب أنا اشفع لفلان ألا تمسه النار، حتى يأذن الله له بأن يتكلم بما سيشفع به.

الشرط الثاني : رضى الله ﷻ عن المشفوع له بأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد، فلو أن شخصاً شفع من الموحدين ألا يدخل فلان المشرك النار لا تقبل شفاعته؛ لأن المشفوع له صاحب المعصية من أهل الكفر، والله يقول: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[1] فتتحقق الشفاعة المثبتة إذا أذن الله ﷻ للشافع أن يشفع بأن يتكلم بالشفاعة، وأن يكون الله ﷻ راضياً عن المشفوع له بأن يكون من أهل التوحيد، فهذه هي الشفاعة المثبتة إذا طلبت من الله .

---

(١) سورة المدثر: ٤٨.

القسم الثاني : الشفاعة المنفية، هي التي نفاها القرآن ونهى عنها وعدها من الشرك، وهي التي من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، تطلب من غير الله، مثل: الأموات أو غيرهم فيما لا يقدر عليه إلا الله، يعني: إذا كان الأمر يقدر عليه البشر في مقدورهم هذا يصح، كما سيأتي، فالشفاعة المنفية: أن تطلب من غير الله، مثل: لو شخص يأتي إلى قبر النبي ﷺ ويقول: يا رسول الله اشفع لي، هنا طلبت من غير الله؛ لأنك قلت: يا رسول الله، هذه شرك أكبر بالإجماع، ولو قال شخص: يا رب، هنا طلبها من الله، اجعل نبيك يكون شافعاً لي يوم القيامة، يصح؛ لأنها طلبت من الله، لكن إذا طلبت من البشر، هنا الشرك، وكذا لو أن شخصاً أتى إلى قبر ولي وقال له: يا فلان اشفع لي عند الله أن يرزقني ولداً، نقول: هذه شفاعة شركية منفية في القرآن، وهي شفاعة من أنواع الشرك؛ لأنها دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله .

أما إذا كانت الشفاعة فيما يقدر عليه البشر من الأمور الدنيوية مثلاً، مثل: يا فلان اشفع لي عند مدير الجامعة أن أدخل الجامعة، وليس في ذلك ظلم أو بخس لأحد، نقول: يجوز، هذه شفاعة دنيوية يقدر عليها البشر، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول : «**اشفعوا فلتؤجروا**» أما شخص مثلاً يأتي إلى قبر ويقول له: اشفع لي إني أدخل في الجامعة. نقول: هنا دعا غير الله، فهنا الشرك .

والمصنف رحمه الله ذكر في هذا الباب خمس آيات. الآية الأولى ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ

يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[(١)] فذكر في هذه الآية أن عباد الله المخلصين لم يطلبوا الشفاعة من غير الله، ولو أنهم طلبوها من غير الله لم يكن من أهل الإيمان والتقوى؛ لذلك آخر آية ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

وساق الآية الثانية؛ لبيان أن الشفاعة لا تطلب إلا من الله، ومن طلبها من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله وقع في الشرك، فقال قوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[(٢)] ثم لفضل الله أن الله جعل شفاعة مثبتة، لكن بشرطين: الشرط الأول ساق فيه المصنف الآية، وهو إذن الله للشافع أن يشفع، فقال: وقوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[(٣)] يعني: إذا أذن الرب للشافع أن يشفع .

ثم بعد ذلك ساق الآية الرابعة؛ لبيان الشرط الثاني مع الشرط الأول في الشفاعة، وهو رضى الله عن المشفوع له، فقال ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ ﴾[(٤)] هذا الشرط الأول الإذن ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ هذا الشرط الثاني .

ثم بعد ذلك ذكر الآية الخامسة؛ لبيان أن من يتعلق بغير الله في طلب

---

(١) سورة الأنعام: ٥١.

(٢) سورة الزمر: ٤٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٤) سورة النجم: ٢٦.

الشفاعة، فقد وقع في الشرك ولن تتحقق له، لذلك قال: وقوله ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[1] فلم يبق إلا الشفاعة، كما سيأتي فليس لهم أن يطلبون الشفاعة من غير الله؛ لأنه لا يملك الشفاعة إلا الله، فمن طلبها من غير الله فقد وقع في الشرك، ثم بعد ذلك ساق المصنف تفسير شيخ الإسلام رحمه الله للآية الخامسة .

(١) سورة سبأ: ٢٢.

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾[1].

﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ﴾ يعني: وأنذر بالقرآن ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ يعني: وأنذر به المؤمنين، ما هو حال هؤلاء المؤمنين الذين ينتفعون بالقرآن ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ ﴾ يعني: لم يتخذوا أولياء يدعونهم من دون الله ﴿ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ لم يتخذوا من دون الله شفعاء ﴿ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ فدل على أن عباد الله الموحدين لا يطلبون الشفاعة المنفية، ومن طلبها فقد كفر.

---

(١) سورة الأنعام: ٥١.

وقوله : ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[(١)].

أول الآية ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾[(٢)] قال شيخ الإسلام: والصحيح أن الهمزة هنا للاستفهام، يعني: هل اتخذوا من دون الله شفعاء، والاستفهام للإنكار، يعني: لماذا يتخذون هذه الأصنام والأموات شفعاء من دون الله؟ والله يقول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ هل هذه الأصنام تملك من دون الله شيئاً أو تعقل؟

ثم قال ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ اطلبوها من الله ﷻ ، فمن طلبها من غير الله وقع في الشرك فيما لا يقدر عليه إلا الله .

وقوله : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[(٣)] .

هنا يذكر الشرط الأول من شرطي الشفاعة المثبتة، يعني: الجائزة.

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، وهذا يوم القيامة. فإذا قيل: ما هي منزلة الشافع عند الله؟ نقول: الشافع مكرم بالشفاعة، بأن الله ﷻ العظيم الكبير قبل شفاعة هذا العبد الصالح لفلان العاصي مثلاً، فمن يشفع عند الله وتقبل شفاعته فهو رجل مكرم .

---

(١) سورة الزمر: ٤٤.

(٢) سورة الزمر: ٤٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

وقوله : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾.

هذا يذكر الشرط الثاني، وإن كانت هذه الآية تتضمن الشرطين، لكن المصنف ساق الآية التي قبل هذا؛ لبيان تحقيق الشروط؛ لتكون واضحة عند المسلم؛ لذلك قال: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾[1] يعني: ممن يشفع يوم القيامة الملائكة، وممن يشفع الأنبياء، وممن يشفع الصالحون والشهداء والأفراط، لكن جميع هؤلاء لا يتكلمون بالشفاعة ابتداء حتى يأذن الله، وهذا من جبروت الله سبحانه وقوته؛ لأن الملك لله وحده، فلا أحد يتصرف في ملكه ﷻ إلا إذا أذن، فهنا الشفاعة لا أحد يستطيع أن يتكلم بها حتى يأذن، حتى الملائكة قال: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ لا ينتفع بها حتى شفاعة الملائكة ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ للملائكة أو الأنبياء أو الصالحين وغيرهم ﴿ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ عن المشفوع، له فلو كان كافراً لا تقبل شفاعة الشافع، كما قال سبحانه ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[2] وحديث -كما سيأتي- أبي هريرة «**من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال : من قال لا إله الله خالصاً من قلبه**».

---

(١) سورة النجم: ٢٦.

(٢) سورة المدثر: ٤٨.

وقوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[1] **الآية .**

يعني هذه الآية كما قال ابن القيم: **(تقطع عروق الشرك من أصله)** فالذي يدعا لابد من تحقق أحد ثلاثة أمور فيه؛ حتى يستحق العبادة:

الأمر الأول : أن يكون مالكاً للكون، فالأموات لا يملكون الكون، والأضرحة لا يملكون الكون، إذن لا تصح عبادتهم هذا الأمر الأول .

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ ما يملكون شيئاً ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

الأمر الثاني : من يستحق أن يدعا إذا كان شريكاً مع الله ﷻ في الكون، وهؤلاء ليسوا شركاء مع الله في الكون، بل هو الواحد الأحد سبحانه؛ لذلك قال: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾.

الأمر الثالث : حتى تصح دعوة من يدعا أن يكون معيناً لله في تدبير الكون، وهذا أمر محال؛ لأن الله هو القوي ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

---

(١) سورة سبأ: ٢٢.

﴿فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[1] لذلك قال: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ يعني: ليس لله أعوان في تصييف هذا الكون، فبطلت هذه الأمور الثلاثة، لا ملك، لا شراكة في الملك، لا إعانة في الملك، فلم يبق إلا أن يشفعوا عند الله، يا رب لا تدخل فلان النار، ونحن نشفع عندك أنه ما يدخل فلان، فنفى الله هذه الأمور، لم تبق إلا الشفاعة، وبين ﷻ أن الشفاعة لا تنفع إلا بالشرطين السابقين: الإذن، ورضاه عن المشفوع له .

إذن من أتى إلى قبر النبي ﷺ مثلاً وقال: يا رسول الله اشفع لي. نقول: هذه شفاعة شركية، فإذا قال: ما هو الدليل؟ نقول الله قال ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ اطلب الشفاعة من الله، قل مثلاً: يا رب شفع فيَّ عبادك الصالحين في الآخرة مثلاً، نقول: يصح؛ لأنك طلبتها من الله، وهكذا، ثم بعد ذلك ساق المصنف تفسير شيخ الإسلام للآية الأخيرة وهي الآية الخامسة .

---

(١) سورة يس: ٨٢.

قال أبو العباس :"نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون – فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عونا لله – ولم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ؛ كما قال : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[(١)]. فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة ؛ كما نفاها القرآن . وأخبر النبي ﷺ : أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولا ، ثم يقال له : ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تُعط ، واشفع تُشفَّع . وقال له أبو هريرة : " من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه .

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص – بإذن الله – ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ؛ ليكرمه وينال المقام المحمود .

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص " انتهى كلامه .

(**قال أبو العباس**) يعني شيخ الإسلام، وكلام شيخ الإسلام هذا في الفتاوى (**نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون – فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه**) يعني: شراكة (**أو يكون عونا لله**) فما في لا ملك، ولا شراكة، ولا معين مع الله ﷻ ، فبطلت عبادة من يدعا من دون الله (**ولم يبق إلا الشفاعة**) يعني:

(١) سورة الأنبياء: ٢٨.

طلب الشفاعة حتى لا يدخل مثلاً شخص النار قد استحق دخول النار **(فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ؛ كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾**.

(فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة) يعني الشفاعة التي يظنها المشركون ويدعونها ويطلبونها في الدنيا لا تتحقق يوم القيامة لهم؛ لكونهم وقعوا في الشرك، ولأن الله ما أذن لهم أموات **(كما نفاها القرآن)** ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾[1] لأن الشفاعة نوع من أنواع الدعاء، يعني: تدعو الميت في طلب شفاعة، تدعو الميت بطلب رزق، تدعو الميت بكشف ضر، تدعو الميت بالاستغاثة، تدعو الميت بالاستعاذة، فطلب الشفاعة نوع من أنواع الدعاء، فصرف الدعاء لغير من الأموات، شرك أكبر، والعياذ بالله .

(وأخبر النبي ﷺ : أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده) يعني، ذكر شيخ الإسلام هنا حديثاً يبين أن الشافع لا يشفع إلا إذا أذن الله له، وساق حديث في شفاعة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، فإذا كان النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يشفع إلا إذا أذن الله ﷻ له، فغيره من باب أولى **(لا يبدأ بالشفاعة أولا)** يعني: ما يقوم ويشفع إلا إذا الله أذن له **(ثم يقال له: ارفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تُعط ، واشفع تُشفَّع)** يعني لما قيل له: اشفع، يعني: قم فشفع، أما هو من تلقاء نفسه يشفع، لا.

(وقال له أبو هريرة) هذا كله من كلام شيخ الإسلام يعني: يفسر الآية **(من**

(١) سورة الزمر: ٤٣.

أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة) ما يطلبون الصحابة من النبي ﷺ أن يشفع لهم بعد موته مثلاً، وإنما يطلبون الشفاعة يوم القيامة، ولكن لو طلبت من النبي ﷺ وهو حي لا بأس به، مثل: ما في صحيح البخاري ومسلم **(لما دخل أعرابي إلى النبي** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **وهو يخطب الجمعة فقال: يا رسول الله استسقي لنا، فطلب من النبي** ﷺ **أن يدعو ربه)** هذا نوع من الشفاعة، يا رسول الله وأنت الحي أدعو الله، هذا ما فيه بأس، لكن إذا مات النبي ﷺ ما نأتيه ونقول له: يا رسول الله أغثنا، أو يا رسول الله اشفي مرضانا، لا . -والعياذ بالله- لأن هذا نوع من أنواع الشرك **(قال : من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)** يعني: لا تنفع الشفاعة يوم القيامة إلا للعصاة الموحدين أو من غير العصاة لرفع درجاتهم في الجنة .

(فتلك) هي **(الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله)** إذا أذن الله **(ولا تكون لمن أشرك بالله)** فإذا قيل: النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيشفع في عمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه؟ نقول: هذا خاص فقط في أبي طالب، وليس بإخراجه من النار، وإنما لتخفيف العذاب عنه؛ لذلك في الصحيح **(أنه يجعل تحت قدميه جمرة من نار يغلي منه دماغه وإنه ليرى أنه أهون أهل النار عذابا)** -والعياذ بالله- فخفف عنه العذاب، ولم يخرج من النار؛ لكونه مشركاً، فهذا خاص بالنبي فقط في أبي طالب، وأما غيره فعموم الآية لا يشفع للمشركين، كما قال ﷻ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ

ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[١] .

(وحقيقته) يعني: وحقيقة أمر الشفاعة وبيانها وتوضيحها **(أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص)** من العصاة مثلاً، يعني: من الموحدين أو ممن طلب رفع درجاتهم في الجنة **(فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع)** ليكرم الشافع لقبول الله شفاعة الشافع، وأيضاً ذاك انتفع بأنه لم يدخل النار، أو إذا طلب رفع درجاتهم في الجنة **(ليكرمه وينال المقام المحمود)** يعني الشافع .

(فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك) وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله **(ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع)** كما في الآيات السابقة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٢] **(وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص انتهى كلامه)** يعني كلام شيخ الإسلام .

ويكون المصنف رحمه الله قد ختم باب الشفاعة .

---

(١) سورة المدثر: ٤٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

باب قول الله تعالى :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[(١)]

ساق المصنف رحمه الله هذا الباب؛ لبيان أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يملك لأحد نفعاً، ولو كان من أقرب الأقربين .

وساق في هذا آية وحديثاً . الآية هي التي بوب عليها ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ ما تستطيع أن تنفع أحداً في أعظم الأمور وأهمها، وهي الهداية، وساق حديثاً في قصة النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مع عمه أبي طالب وهو يقول له «**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها عند الله**» فمات على الكفر، فما نفعه .

فإذا قيل: ما الفرق بين هذا الباب والباب الذي سبق **باب قول الله تعالى:** ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۞ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾[(٢)] وساق هناك حديث أنس لما شج النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وحديث ابن عمر لما دعا النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على صفوان وسهيل والحارث؟ نقول: هناك الباب في أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يملك دفع ضر عن نفسه، بل شج، وهنا لا يملك جلب

---

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢.

نفع لا لغيره ولا لنفسه، وأعظم ما يحتاجه العبد هي نعمة الهداية؛ لذلك ساق المصنف الآية والحديث في الهداية؛ لأن من نالته الهداية تنعم وعلت درجته في الجنة، ومن فقدها عذب؛ لذلك قال سبحانه عمن هدي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾[(١)] وفي آية أخرى ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾[(٢)] وفي آية أخرى ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾[(٣)] وقال: ﴿ذَٰلِكَ﴾[(٤)] وفي آية أخرى ﴿وَذَٰلِكَ﴾[(٥)] فثمرة الهداية دخول الجنة وثمرة الشقاء -والعياذ بالله- هي النار؛ لذلك لنعمة الهداية التي أهم النعم النبي ﷺ ما يملكها.

والهداية تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول : هداية الدلالة والإرشاد، وهذه جعلها الله ﷻ للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولغيره، كما قال سبحانه ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ﴾[(٦)] وقال ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ـ يعني تبلغ الدعوة ـ ﴿٥٢﴾﴾[(٧)] .

---

(١) سورة البروج: ١١.

(٢) سورة النساء: ١٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٦.

(٤) سورة الجمعة: ٤.

(٥) سورة غافر: ٩.

(٦) سورة هود: ١٢.

(٧) سورة الشورى: ٥٢.

القسم الثاني : هداية التوفيق والإلهام بأن يهتدي الضال، وهذه ما يملكها إلا الله كما قال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[(١)] وقال ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾[(٢)] هذه من خصائص الربوبية، والمراد بنفي الهداية هنا في الباب هي نفي هداية التوفيق والإلهام للعبد، فهذه ما يملكها إلا الله، كما قال سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ - هذه من مهمة البشر - ومن خصائص الربوبية -فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[(٣)] لذلك يأتي يوم القيامة النبي وما معه ولا أحد، لا لتقصير في النبوة، لكن الله ما فتح قلوب قومه، ويأت النبي الذي قد قصرت بلاغته وفصاحته وأمته أكثر الأمم بعد أمة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو موسى عليه السلام **(إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه)** وهو ضعيف في البيان، فدل على أن هداية فتح القلوب لله، وهي التي ساق المصنف الآية من أجل هذا الباب، فإذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يملك لنفسه أو لغيره نفعاً، فدل على أنه لا يجوز أن يدعا من دون الله؛ لأنه لا يملك شيئاً؛ لذلك قال: **باب قول الله تعالى** : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) سورة الأنفال: ٦٣.

(٣) سورة إبراهيم: ٤.

مَن يَشَآءُ ﴾(١) .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ فالذي أحببته لا تهديه، ومن باب أولى الذي تبغضه ما تهديه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُ ﴾ .

في الصحيح : عن ابن المسيب ، عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ؛ جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل ، فقال له : «يا عم! قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله ». فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا ، فكان آخر ما قال هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ : لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك ؛ فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾(٢) .

وأنزل الله في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُ ﴾.

(في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة) يعني أمارات الوفاة **(جاءه رسول الله ﷺ)** هذا أبو طالب كان يحيط النبي ﷺ وينصره ويؤويه ويذب عنه ويدافع عنه وهو مشرك، ويفعل ذلك تعصباً لابن

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) سورة التوبة: ١١٣.

عمه، لئلا يؤذى، ويدلك هذا الدين ينصره كان رجل كافراً، فالذي كان يدافع على النبي ﷺ وينصره كافر، حتى نهضت الدعوة أبو طالب، والذي ربى موسى عليه السلام حتى كبر، فرعون من أعظم الكفار كفراً، فدل على أن الشخص لا يعلم متى يظهر للناس نور الهداية، فلا تحتقر أي مكان أو رجل لنصرة هذا الدين، وكل عبد واجب عليه نصرة هذا الدين، والله يقول ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾[(١)] .

ولو خرج هذا الدين من وراء ظهراني كفار كما هنا، وبقي أبو طالب يدافع عن النبي ﷺ حتى قبل الهجرة بثلاث سنوات، يعني حتى مات قبل الهجرة بثلاث سنوات وهو مع النبي ﷺ ، يشد أزره، ووقف أبو طالب مع النبي ﷺ لأنه ليس معه أب، توفي وهو صغير فلم يبق عنده سوى عمه الذي وقف معه، ويدل هذا الحديث على جواز زيارة الكافر لدعوته، فهنا كافر حضرته الوفاة، وزاره النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، ويدل هذا الحديث أيضاً على أن الشخص يغتنم أي لحظة ولو في آخر رمق من كافر لدعوته للدين، فلما حضرت أبا طالب الوفاة أتاه النبي ﷺ ما قال: خلاص انتهى أمره وسيموت، لا . يأتي إليه ليعرض عليه الإسلام .

(وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل) وهما من صناديد قريش، فانظر إلى رفقة السوء حتى وقرينهم في حال الوفاة لم يرحمه، بل يدعونه إلى البقاء على الكفر، ما قالوا سيموت ندعه يسلم أو لا يسلم، لا . حتى نطمئن بأنه يذهب إلى

---

(١) سورة يوسف: ٢١.

النار -والعياذ بالله-، وهذا يدلك على سوء عاقبة الرفقة السيئة، وقد يجد المرء غبها حين وفاته، فكانوا رفقاء له عند وفاته، سلطوا عليه (**فقال له : يا عم**) يعني: يتلطف مع عمه، وهذا يجوز أن الكافر يخاطب بما فيه من اللقب، مثل يا عم**!** يا خال**!** ومثل ما كتب النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهرقل قال «**من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم**» فيلقب بما يلقب به عند قومه، هذا يجوز (**قل لا إله إلا الله**) هذا يدل على أن الأعمال بالخواتيم، ويدل على أن من نطق بالشهادة عالماً بمعنها ولم يتيسر له أي عمل يعمله قبل وفاته، فإنه يدخل الجنة، فليس بين أبي طالب ودخول الجنة سوى التلفظ بهذه الكلمة؛ لأنه يعرف معناها، لكنه لم يتكلم بها؛ لأنه يعرف ما معناها وهي التبرؤ من الآلهة وإثبات الوحدانية لله وحده، وإلا هو ليس مكلفاً بصلاة في هذه الحال سيموت ولم يكلف سوى النطق بهذه الكلمة، لكن الشقاء لحقه ولم ينطق بها.

(**كلمة أحاج**) جواب فعل الأمر يصح بضم الجيم وفتحها.

(**لك بها عند الله**) يعني يوم القيامة بأن أقول إن عم توفي على التوحيد .

(**فقالا له**) يعني: عبدالله بن أبي أمية أبو جهل.

(**أترغب عن ملة عبد المطلب**) يعني: هل ترغب أن تترك ما كنت عليه من عبادة ما سار عليه آباؤك، يعني: يحثانه على الاستمرار في الشرك -والعياذ بالله-.

(**فأعاد عليه النبي ﷺ**) يعني: هذا يدل على عدم اليأس من دعوة الآخرين في

غمرات الموت، واثنان يزانه على البقاء على الشرك، والنبي ﷺ وحده، وإذا تكلم بكلمة يقولون له وضدها، مع ذلك النبي ﷺ يعيد عليه، وهذا يدلك حرص النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على هداية أمته؛ حتى ولو لم يحتاجهم؛ لأنه سيموت لن يحتاج إليه في نصرته، ولكن يريده أن يموت على الإسلام.

(**فأعادا ، فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب**) يعني: أبو طالب امتنع عن النطق بتلك الكلمة، وقال: أنا أموت على ملة عبدالمطلب على الشرك -والعياذ بالله- فكان من الخالدين في النار، هذا يدل على أن أبا طالب لم يسلم.

(**وأبى أن يقول لا إله إلا الله**) هذا دل على أن النبي ﷺ وهو يقول له: قل لا إله إلا الله ويلقنه، ومع ذلك ما استجاب له، فدل النبي ﷺ لا يملك لأحد نفعاً، وإنما النافع هو الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

(**فقال النبي ﷺ : لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك**) يعني: والله لأدعو له بالمغفرة إلا إذا نهيت عن ذلك؛ لكونه مات على الشرك ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ ﴾[1] فنهي النبي ﷺ أن يستغفر له، وكذا لا يجوز الدعاء لمن مات على الكفر، وإنما الذي يدعا له هو من مات على الإسلام .

(١) سورة التوبة: ١١٣.

(وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1] يعني ما استطعت هدايته لأن الله قال﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ فهو أعلم بمن استحق الهداية ويفوز بالجنة .

(١) سورة القصص: ٥٦.

باب
ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

(باب ما جاء) أي من النصوص من الكتاب والسنة ومن أقوال الصحابة والسلف.

(أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم) يعني: بعد أن كانوا على دين الإسلام فوقع فيهم الشرك، وسبب إما أن تكون أول سبب الكفر بالله ﷻ في هذه الأرض **(هو الغلو في الصالحين)** ويصح أيضاً أن أول شرك بسبب **(هو الغلو في الصالحين)** وهذا أيضاً سبب دائم، فهو ليس خاصاً بما مضى، وإنما أيضاً فينا وحاضراً ومستقبلاً، يعني: باب ما جاء أن أول سبب هو وقع بسببها الشرك هو الغلو .

والغلو هو أيضاً سبب الشرك على مر العصور، وتركهم دينهم الذي هو على الفطرة، وقد عاش الناس عشرة قرون على هذا الدين، فلما غلا من غلا في الصالحين، ووقعوا في الشرك بعث الله ﷻ إليهم نوحاً ؑ ؛ لذلك قال سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً - يعني على الإسلام والدين - فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[1] بعدما وقع فيهم الشرك .

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

والمصنف ﷺ ذكر هنا آية، وقول ابن عباس، وساق ابن القيم عن السلف، ثم ذكر حديث عمر «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**» ثم قال «**إياكم والغلو**» ثم بعد ذلك قال «**هلك المتنطعون**».

والمصنف وضع هذا الترتيب العظيم، أولاً ساق الآية الأولى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[1] أي أن سبب كفر أهل الكتاب بسبب الغلو في الصالحين، وكل خطاب للأمم السابقة هو لنا ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ يعني: و يا أمة محمد لا تغلو في دينكم، وسيأتي ما هو عاقبة العاقبة الوخيمة من غلوهم في دينهم .

ثم ذكر وسيلة الغلو الذي وقع بسببه الشرك، فذكر في حديث ابن عباس أنه لما مات أولئك الصالحون وضعوا لهم تصاوير، يعني: أشكال أولئك الصالحين، ثم زاد في قول ابن القيم في نقل السلف أن مع التصاوير العكوف الاتيان بكثرة إلى قبور أولئك الصالحين، ثم بعد ذلك انتقل المصنف من الأمم السابقة إلى هذه الأمة، فقال للأمة: هذه يكفني ما يخصوني «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**».

ثم بعد ذلك قال على سبيل العموم (**إياكم والغلو**) فهو الذي أهلك الأمم

(١) سورة النساء: ١٧١.

السابقة، ثم بعد ذلك ساق حديث (**هلك المتنطعون**) يعني: إن غلوتم أنتم أيها الأمة فستهلكون كما هلك أولئك؛ لذلك (**هلك المتنطعون**) لئلا يظن أن الحديث الذي قبله فقط في هلاك الأمم السابقة، بل أن هذه الأمة متوعدة أيضاً بالهلاك إن غلت كما غلت الأمم السابقة؛ لذلك قال: (**باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم**) في القرون السابقة، ولا زال سبب كفرهم (**هو الغلو**) والغلو: هو مجاوزة الحد، فكل حد وضعه الله ﷻ أو جاءت به الشريعة من تجاوزه يسمى هذا غلو، ومن سار على أثر النص كان على الوسطية وعلى الصراط المستقيم، إن زاد غلا وإن نقص فقد فرط، والدين لا إفراط بالغلو ولا تفريط بالنقص .

وسبب وقوع الكفر في الصالحين بالذات؛ لأن النفوس مجبولة على تعظيم من قرب من الله ﷻ ، فمن غلا في هذا التعظيم وزاد فيه على المآل، قد يقع المرء في الشرك وهو لا يشعر، بل قد تهلك أمم تلو أمم بسبب ذلك التعظيم الذي زاد، كما حصل لقوم نوح كما سيأتي، فالصالح الواجب على المسلم اتجاهه محبته وتبجيله وتعظيمه، لكن لا يزاد فوق قدره، فلا مثلاً يتمسح بجسده، ولا بما يخرج من جسمه، وكذا إذا مات لا يزاد في قبره، ويغلا فيه بالبناء والتشييد ونحو ذلك، وكذا لا يوضع على قبره صورة له لئلا يعبد، كما عبدت أمم صالحين بسبب صورهم، ولا يغلو فيهم فيدعون من دون الله فيقع الشرك الأكبر، والعياذ بالله، لذلك غلت أمم في أنبيائه فهلكت، وغلت طوائف في صحابة فهلكت، ومن سار على نهج الوسط فهو الناجي لذلك قال :

وقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[(١)].

لأن أهل الكتاب غلو في دينهم وتجاوزوا وشرعوا أشياء لم تشرع لهم؛ لذلك قال الله عنهم: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ - هم فعلوها - إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا - في عدم التجاوز فيها - حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ - ممن سار في ذلك - وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ - مما تعدى -﴾[(٢)] فتعدوا في شرائع، وتعدوا في بشر، فمثلاً: اليهود غلت في عزير، وهو رجل صالح؛ لأنهم قالوا: إنه حفظ التوراة، فقالوا: لا يحفظ التوراة أحد إلا وهو ابن لله، فغلوا فيه، وقالوا: هو ابن لله، فعبدوه؛ لذلك قال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾[(٣)] بسبب الغلو.

والنصارى غلت في نبيِّها عيسى عليه السلام، وانقسموا في هذا الغلو، منهم من قال: هو الله -والعياذ بالله-، ومنهم من قال: هو ثلاث ثلاثة، يعني: الرب، وتعالى الله صاحبة الرب وعيسى عليه السلام، ومنهم من يقول: هو ابن الله، بسبب الغلو فيه، وكما أن الأمم السابقة غلت في أنبيائه وصالحها، فهذا الخطاب لهذه

---

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) سورة الحديد: ٢٧.

(٣) سورة التوبة: ٣٠.

الأمة، يعني: أنتم أيضاً يا أمة محمد لا تغلوا في نبيكم فتهلكون كما هلكوا، فترفعوه برفعكم له فوق منزلته، بدعوته من دون الله، وكذا لا يغلا في الصحابة ﷺ في أحد منه، لا في أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا في غيرهم من الصحابة ﷺ ، ولا يرفعون فوق المنزلة التي أنزلهم الله ﷻ إياها، وكذا من بعدهم من العلماء والصالحين لا يغلا فيهم، لا في حياتهم ولا بعد مماتهم، فساق المصنف هذه الآية لبيان أن أمتين كبيرتين عظمتين سبقتا هذه الأمة هلكت بسبب غلوها في صالحها .

وفي الصحيح : عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل : ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[1] **قال : " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا ؛ أوحى الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم ؛ عُبدت " .**

يذكر المصنف رحمه الله هنا قول ابن عباس، أن سبب وقوع الشرك في هذه الأمة بسبب غلوهم بفعل أمر، وهو إظهار تصاويرهم في المجالس أو عند القبور، كما سيأتي، هنا ساق الأثر في وضع التصاوير فحسب، والأثر الثاني كما سيأتي زادوا مع التصاوير العكوف، كما نقل ابن القيم عن بعض السلف .

(**وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل** ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ **قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح**) يعني ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرًا، هؤلاء رجال صالحون، فماتوا فضعف التعبد في قومهم، فأتى الشيطان في صورة رجل، فأوحى إليهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، يعني: فقط خذ خشبة وقول هذا ود، وهذا سواع، وهذا يغوث، وهذا يعوق، وهذا

---

(١) سورة نوح: ٢٣.

نسر، لماذا؟ ليكون إذا تذكر اسمه تنشط على العبادة، وهذه شبهة شيطانية بعيدة المدى وضعها الشيطان؛ ليهلك أمماً كثيرة بخلودهم بالنار بسبب ذلك الفعل، ففعلوا أولئك القوم كما سيأتي .

(فلما هلكوا) يعني: لما هلك أولئك الصالحون.

(أوحى الشيطان إلى قومهم) لأن ما بقي علماء، فدل على ضرر موت العلماء؛ لأنه قد يتسبب في موت كثير من الناس على الشرك -والعياذ بالله-، فدل على حاجة كل مكان في كل زمان إلى أهل العلم؛ لبيان الطريق القويم.

(أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا) يعني: فقط ضعوا نصباً، خشبة أو حجر، وقولوا: هذا شبح وصورة ود، وهذا سواع، وهذا يغوث وهكذا.

(وسموها بأسمائهم) يعني: قولوا هذه الخشبة ود، وهذه الخشبة سواع، وهكذا **(ففعلوا)** أي: فعلوا أولئك لجهلهم، والقصد حسن الذي ألقي إليهم، وهو التنشيط على العبادة، لكن لا ينظر إلى القصد الحسن في مصادمة الشرع؛ حتى ولو قال الشخص أنا قصدي حسن، نقول: مرجع الشرع، فمثلاً لو أن شخصاً علق صليباً أو تميمة، وقال: أنا قصدي التزين بها، نقول: حتى ولو كان قصدك حسناً نرجع للشرع، حرمها فهي يحرم لبسها .

(فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك) يعني: الذين نصبوا تلك الأنصاب.

(ونُسي العلم عُبدت) بموت العلماء أتى الشيطان إليهم فقال لهم: إن اباؤكم هم وضعوا هذه الصور إلا ليعبدوها، فاعبدوها، وهم ما عندهم علم، ولا علماء، وصدقوا الشيطان الذي أتى إليهم في صورة رجل، فعبدوها من دون الله، فوقع الشرك في هذه الأرض، وإلا الأرض قبل ذلك خلية من الشرك تماماً؛ لذلك الله قال: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾[1] كانت الأرض صالحة لا فساد فيها بأعظم ذنب على وجه الأرض وهو الشرك .

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

وقال ابن القيم : " قال غير واحد من السلف: لما ماتوا ؛ عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد ؛ فعبدوهم " .

(**وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا**) أولئك الصالحون.

(**عكفوا على قبورهم**) يعني يأتون على قبورهم ويجلسون عندها؛ تعظيماً لأصحابها، وهذه الأمور الثلاثة: التعظيم، وضع التصاوير على القبور ونحو ذلك، والعكوف، هو سبب الشرك في الأرض، ولا زال (**عكفوا على قبورهم**) أي: يكثرون من زيارتهم ويجلسون عندها؛ تعظيماً لهم.

(**ثم صوروا تماثيلهم**) ووضعوا صورهم على تلك القبور؛ ليتذكرها بالنحت على الصخور وغير ذلك.

(**ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم**) يعني: بعد زمن طويل عبدت من دون الله، والسبب هو الغلو في الصالحين؛ لأن لو الشيطان أتى إليهم وقال: ذلك الرجل الكافر أو الفاسق اجلسوا عند قبره وادعوه من دون الله، ما يعبدونه فالنفوس تتعلق بالصالحين أشد، ووقع الشرك في هذه الأمة بأشد مما وقع بالأمم السالفة، وكانت الأمم السابقة تتعلق بقبور صالحها، وهذه الأمة تتعلق حتى بقبور كفارها وفاسقها، فيعبدونها من دون الله، أو من هو مجهل منها، فيعبد من دون الله، فكان الشرك في هذه الأمة من قبحه أن يتجاوز الصالحين إلى الكفار. وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم في كشف الشبهات.

وعن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد، فقولوا : عبد الله ورسوله » أخرجاه .

لما ساق المصنف حال الأمم السابقة وهلاكها، عقبه بعد ذلك بتحرير هذه الأمة مما وقعت فيه الأمم السالفة .

(**وعن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**) الاطراء هي: الزيادة، يعني: لا تغلوا فيَّ حتى بالقول، لما قالوا له: أنت سيدنا وابن سيدنا، قال: «**قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**» حتى بالقول، فضلاً عن الفعل من دعوته بعد مماته، فإذا كان حتى كلمة أنت سيدنا وابن سيدنا، يقول: لا تقولون هذه الكلمة؛ لئلا تغلوا فيَّ فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم.

(**كما أطرت النصارى ابن مريم**) فعبده من دون الله، يعني: أمة كاملة عبدت نبيها وتنتسب إليه بعبوديتها له، وهي الأمة السابقة قبل أمتنا، وقال: يا أيتها الأمة لا تعبدوني كما عبدت الأمة التي قبلكم نبيها .

(**إنما أنا عبد**) وهذا من تواضعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وهذا أيضاً من تعظيمه لجناب الله ﷻ ، فلم يطلب لنفسه شيئاً من خصائص الربوبية، لذلك قال: (**أنا عبد**) ورفعه الله ﷻ بهذه العبودية الخاصة.

(**فقولوا: عبد الله**) وهذا أعظم تشريف له، وهو أن الأمر يقول: أنا عبد مطيع لله، هذا أعظم ثناء له.

(**ورسوله**) لأن هذا اللقب ليس لأحد في هذه الأمة إلا فيه فقط، فليس فيها رسول سوى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فدل على أن وصف النبي ﷺ بالرسالة، هو وصف عظيم لا غلو فيه، بل جاء به الشرع، وهو الذي أمر به النبي ﷺ .

(**فقولوا : عبد الله ورسوله**) وهو أبلغ من السيد، فلو قال شخص: سيدنا محمد، وقال شخص: رسولنا محمد، نقول: رسولنا محمد أبلغ؛ لأن لا يوجد في هذه الأمة سوى رسول واحد، أما السيد فيوجد فيها أكثر من شخص، سواء كان مسلماً أو كافراً، كما قال سبحانه عن الكفار منهم: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ ﴾[1] فلقب السيد يطلق من هو مسلم ومن هو كافر أما رسول فلا يطلق إلا على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما قال سبحانه ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

قال: قال رسول الله ﷺ : «إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» حديث صحيح.

(**قال**) المصنف رحمه الله بيض الراوي لهذا الحديث وهو ابن عباس (**قال رسول الله ﷺ : إياكم والغلو**) يحذر أمته يعني أحذركم من الغلو.

(**فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**) يعني: سبب هلاك الأمم السابقة هي الغلو، فلا تكونوا مثلهم، لا في حياتهم بأخذ شيء من أجسادهم أو ثيابهم أو التمسح بهم، أو دعوتهم من دون الله، سواء فيما لا يقدر عليه إلا الله، سواء في حياتهم، أو بعد مماتهم، أو بالبناء على قبورهم، أو تجصيص قبورهم، وهكذا .

ولمسلم : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «هلك المتنطعون – قالها ثلاثا – ».

لما ذكر الحديث السابق (**إياكم والغلو إنما أهلك من كان قبلكم الغلو**) قال: حتى هذه الأمة لو غلت تهلك، فالهلاك ليس خاصاً بالأمم السابقة؛ لذلك قال: (**ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: هلك المتنطعون**) والمتنطعون كل ما تجاوزوا الشيء حده في أي أمر، فمن تجاوز هذا الأمر يهلك، فمثلاً: الكريم لو تجاوز الحد إلى الإسراف يهلك، الطائع لو زاد في العبادة بما لا يشرعه الله عز وجل بأن جعل الصلوات المفروضة ستاً يهلك، وكذا من رفع صالحاً فوق منزلته فدعاه من

دون الله يهلك، وهكذا؛ لذلك قال: (**هلك المتنطعون**) وكذا من يتشدق في كلامه أو في أفعاله أو في حركاته أو في ملبسه يهلك؛ لذلك قال: (**هلك المتنطعون - قالها ثلاثا -**) ومقصود المصنف بذلك التنطع في الغلو في الصالحين .

ويكون المصنف قد ختم هذا الباب فبين أن سبب الكفر الذي وقع في الأرض بسبب تعظيم الشخص فوق قدره .



باب
ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ؛ فكيف إذا عبده؟!

(**باب ما جاء من التغليظ**) يعني باب ما جاء من الأحاديث المغلظة الناهية والمحرمة (**فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح**) يعني: مثال ذلك لو أن شخصاً يذهب عند قبر ويصلي نافلة عنده لله، مثل صلاة الضحى، هنا يصلي لله، والمصنف قال: (**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح**) هنا أتت أحاديث مغلظة بعدم فعل ذلك الأمر عند القبر، قال: (**فكيف إذا عبده؟!**) يعني: فكيف بمن عبد صاحب ذلك الرجل الجرم، والتغليظ أعظم وأعظم .

والمصنف رحمه الله يحذر من الشرك بالأساليب التي جاء بها الشرع أحياناً بالنهي عن الشرك مباشرة، وأحياناً بذكر خطر الوسائل والسبل والذرائع التي تؤدي إلى الشرك، وأحياناً يأتي النص بتعظيم أهل التوحيد، وأحياناً يأتي النص بالترغيب بمن يسلك مسلكهم وبثوابهم في الآخرة، فهنا المصنف يقول لك: الذي يعبد الله عند قبر رجل صالح منهي عنه، فكيف بمن وقع في الشرك، ومثال ذلك: لو أن شخصاً يقرأ القرآن عند القبر، نقول: لا يجوز، فإذا قال: أنا أقرأ لله، نقول: حتى ولو كان لله لا يجوز؛ لأن هذا وسيلة لأن يقرأ ذلك وتصرف العبادة لصاحب ذلك القبر؛ طلباً لنفعه في الزعم أو لدفع ضره .

والمصنف ﷺ ذكر هنا حديث عائشة أن أم سلمة ذكرت للنبي ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من التصاوير، فقال: (**أولئك شرار الخلق عند الله**) النصارى أولئك يعبدون الله ﷻ في شرعهم قبل أن يصلهم شرع محمد، لكن لما وضعوا صوراً هناك ويعبدون الله عند تلك الصور في كنائسهم (**أولئك شرار الخلق عند الله**) يعني: لا أشر منهم .

ثم بعد ذلك ذكر الحديث الثاني؛ لبيان أن النبي ﷺ لعن من يفعل ذلك (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) .

ثم بعد ذلك لما ذكر الأمم السابقة حذر هذه الأمة (**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**) صراحة لئلا يقع المرء في ذلك .

ثم بعد ذلك ذكر أن من يفعل ذلك من هذه الأمة هم من شرار الخلق عند الله ﷻ، وهم الذين تقوم عليهم الساعة في شرار الخلق في الأمم السابقة؛ بسبب أنهم يعبدون الله عند تصاوير وأضرحة وقبور ونحو ذلك، وهذه الأمة كذلك من يفعل ذلك، تقوم عليهم الساعة وهم كذلك .

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : " أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله " . فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

(**في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ**) ذلك لأنها هاجرت إلى الحبشة، وكانت الحبشة إذ ذاك أرض نصارى (**كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور**) لوجود الصور فيها، هم يعبدون الله على دينهم على الملة النصرانية، لكن يضعون صوراً فيها، فهنا النبي ﷺ أخبر بأنهم شرار الخلق عند الله؛ لأنهم يعبدون الله عند تلك الصورة، فكيف بمن عبد تلك الصورة وما في حكمها من أضرحة والقبور، ذكر للنبي ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور .

(**فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح**) فيضعون في الكنيسة صورة ذلك الرجل الصالح، ومنهم من يدفن ذلك الرجل الصالح في تلك الكنيسة (**بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور**) وليس المراد بالبناية، البناية الحسية من الحجارة ونحو ذلك، وإنما المراد بذلك، كما سيأتي قول شيخ الإسلام: أن العبادة تؤدى عندها، ولو كان ذلك القبر في الصحراء، فمثلاً لو كان في قبر لوحده ويذهب شخص يصلي عنده لله، النبي ﷺ قال: (**أولئك شرار**

الخلق عند الله) لأنه وسيلة إلى الشرك؛ لذلك قال: **(أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره وصوروا فيه تلك الصور)** فدل على أن البنيان على القبور والحجارة ونحو ذلك، من أفعل أهل الكتاب **(أولئك شرار الخلق عند الله)** هم يعبدون الله، لكن عند قبر رجل صالح أو العبد الصالح يطلبون بركة ذلك مثلاً .

(فهؤلاء) هذا كلام شيخ الإسلام، يعني: **(فهؤلاء)** القوم أي النصارى **(جمعوا بين فتنتين)** يعني: بين أمرين عظيمين **(فتنة القبور)** أنهم عظموها ويعبدون الله عندها **(وفتنة التماثيل)** أنهم صوروا صورة ذلك الرجل الصالح أو العبد الصالح .

ولهما : عنها رضي الله عنها قالت : " لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها ، فقال – وهو كذلك – : لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد – يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا – " أخرجاه .

(**ولهما : عنها** رضي الله عنها **قالت: لما نزل برسول الله ﷺ**) يعني: الموت بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، يعني: دنت ساعة موته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**طفق يطرح خميصة له على وجهه**) يعني: جعل يغطي وجهه بكساء قماش مربع، يغطي وجهه به لشدة ما يلاقيه من كرب النزع، فمما يجده من كرب الموت يغطي وجهه بذلك القماش، ثم يغتم ثم يكشف وجهه، يعني: يكتم أنفاس هذا القماش، فيخرج القماش عن وجهه، ففي هذه الحالة العظيمة آخر حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفي كربة شديدة، تنكتم أنفاسه مما يلاقيه من نزع، يقول: هذا الكلام العظيم لأمته، موصي لها به (**فإذا اغتم بها كشفها فقال – وهو كذلك – لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) يعني: من معتقدهم أنهم يتخذون قبور أنبيائهم مكان يصلون فيه، فيكون وسيلة لعبادتهم من دون الله، هنا قال: (**لعنة الله على اليهود والنصارى**) النصارى ليس لهم نبي إلا عيسى عليه السلام ، وعيسى لم يمت، وليس له قبر، وهنا قال: (**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) فالمقصود: أن من عقيدة النصارى

لو كان عندهم أنبياء لفعلوا ذلك؛ لذلك قال : (**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) هنا انتهت الأمم السالفة ذكر أنهم شرار الخلق، وذكر هنا أن سبب لعنهم هو اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد، وليس مقصود النبي ﷺ أن يلعن تلك الأمتين السابقتين، وإنما التحذير مما فعلوا، وهو في آخر سياق حياته، كأنه يقول: احذركم بأن تجعلوا قبري تعبدون الله ﷻ عنده؛ لذلك قالت عائشة: (**يحذر ما صنعوا**) يعني: أحذر هذه الأمة مما صنعت الأمم السالفة.

(**ولولا ذلك أبرز قبره**) يعني: التحذير هذا كلام عائشة.

(**أبرز قبره**) ودفن في البقيع مع الصحابة، لكن أتاهم آتى فأخبرهم أن كل نبي يدفن في المكان الذي قبض فيه عليهم السلام.

(**غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا**) وإلا فلم يكن الصاحبة يبنون قبر النبي ﷺ ويعبدون الله عنده، وإنما التحذير لمن بعدهم من الأجيال (**ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا**) يعني: خشي الصحابة أنه لو أبرز وجعل كقبور الناس لذهب الناس إليه، هنا قالت عائشة: (**يصلون لله عنده فكيف بمن دعا النبي** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ)؛ لذلك قال المصنف رحمه الله: (**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح ؛ فكيف إذا عبده؟!**).

ولمسلم : عن جندب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول : «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا ؛ لاتخذت أبا بكر خليلا . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ؛ إني أنهاكم عن ذلك».

(ولمسلم عن جندب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس) يعني: بخمس ليال والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مات يوم الاثنين، يعني: في يوم الأربعاء السابق ليوم الاثنين من وفاته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال ذلك، يعني في آخر حياته في الدنيا، يعني: أن هذا الحديث غير منسوخ.

(وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل) يعني أتبرأ من أني أتخذ أحد من البشر خليلاً، والخلة منزلة أعلى من المحبة، وقلب النبي ﷺ امتلأ من محبة الله فلم يبق فيه محبة لأحد من البشر في منزلة الخلة، وإنما هناك منزلة أقل منها محبة، وممن أحبهم النبي ﷺ أبو بكر، وهو أحب الناس إليه من الرجال، وممن يحبهم عائشة؛ لذلك عمرو ابن العاص سأل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ وعمرو ابن العاص من دهاة العرب، سأل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أحب الناس إليك؟ يرجو أن يقول الرسول ﷺ أنت، فقال: **(عائشة)**، فقال عمرو الداهية فمن الرجال؟ لعله يقول أنت، قال **(أبو بكر)**، فالنبي ﷺ أحبَّ

عائشة وهي زوجته، ويحب أبا بكر ﷺ، لكن منزلة الخلة لم يصل إلى قلب النبي ﷺ أحدًا من البشر، وإنما لامتلأ قلبه بالله ﷻ.

(**فإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا**) لم يتخذ الله ﷻ أحد من البشر خليلاً سوى محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإبراهيم، لذلك يقال: (**هما خليلا الرحمن**).

ومن صفات الله المحبة يحب عباده المتقين، ويحب عباده المتطهرين، ويحب التوابين وهكذا، مما جاءت به النصوص، ومن صفات الله ﷻ أيضاً الخلة، وهي منزلة أعلى من المحبة، فاتخذ إبراهيم خليلاً، كما قال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[1] واتخذ أيضاً محمداً عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خليلاً بهذا الحديث (**فإن الله قد اتخذني خليلا**) وهذه الخلة من الله لإبراهيم ومحمد على ما يليق بجلاله وعظمته كبقية الصفات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**ولو كنت متخذا من أمتي خليلا ؛ لاتخذت أبا بكر خليلا**) لكن قلبي ممتلئ من الخلة لله وحده، فدل على فضيلة أبي بكر ﷺ، حيث لو كانت هناك منزلة في قلب النبي ﷺ لأحد لكانت لأبي بكر، ويدل أيضاً أن هذا فيه إشارة إلى تولي الخلافة بعده لأبي بكر؛ لأنه قال ذلك قبل ما يموت بخمس ليال فقط، فهذه من الأحاديث التي فيها الإشارة إلى تولي أبي بكر بعده.

---

(١) سورة النساء: ١٢٥.

قال شيخ الإسلام (**والخلافة لأبي بكر ثبتت بالنص وبالإجماع**) .

(**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد**) كما سبق في حديث عائشة في قصة أم سلمة؛ لذلك قال سبحانه في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾[1] لأنهم كانوا فتية شباب صالحين، فقالوا: سوف نتخذ أماكن قبورهم، نأتي عندها ونعبد الله، أو نعبدها هي من دون الله، فدل على أن الأمم السابقة كما قال: (**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد**) وكذا قبور صالحهم.

(**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد**) هنا نهى هذه الأمة بثلاثة أمور:

الأمر الأول : (**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد**) يعني: فحذروا هذا الأمر (**ألا فلا تتخذوا القبور مساجد**) نهى عن اتخاذ هذه الأمة القبور مساجد، ثم بعد ذلك التصريح (**إني أنهاكم عن ذلك**) سواء بالإتيان إليها أو بتشييدها وزخرفتها، يعني: القبور، أو تعظيمها أو البنيان عليها، فضلاً على أن تكون مزاراً أو مكاناً لعبادتها من دون الله والعياذ بالله .

---

(١) سورة الكهف: ٢١.

فقد نهى عنه في آخر حياته ، ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله .

والصلاة عندها من ذلك – وإن لم يبن مسجد – وهو معنى قولها: " خشي أن يتخذ مسجدا " ؛ فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا .

وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال النبي ﷺ : «علت لي الأرض مسجدا وطهورا » .

هذا كلام شيخ الإسلام تفسير الحديث (**فقد نهى عنه**) يعني: عن اتخاذ القبور مساجد (**في آخر حياته**) عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنه خشي أن يجعل قبره كقبور الأنبياء السابقين، فيعبد من دون الله، وهذا مما يضاد رسالته؛ لأن رسالته أتت بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ ﴾[1] .

(**ثم إنه لعن – وهو في السياق – من فعله**) مثل ما سبق لك في حديث عائشة (**لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) .

(**والصلاة عندها**) يعني: عند القبور.

(**من ذلك وإن لم يبن مسجد**) فلا يشترط البناء على القبر؛ حتى يقال أنها محرم، بل إن إتيان الناس إلى أي قبر، ولو لم يكن له بناء يأتون إليه ويجلسون عنده،

(١) سورة المدثر: ١-٥.

نقول: هذه وسيلة إلى الشرك، لا يجوز، وهذا مما لعنه النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في آخر حياته من فعل ذلك.

(**وهو معنى قولها: خشي أن يتخذ مسجدا**) يعني: عائشة رضي الله عنها تقول: إن الصحابة يعلمون أنهم لن يبنوا على قبر النبي ﷺ مسجداً قبة، وإنما خشي الصحابة أن يأتي الناس عند قبره ويجلسون عنده، فيعبد من دون الله (**فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا**) لأن هذا لا يمكن؛ لأن الصحابة أصح الناس معتقداً رضي الله عنهم .

(**وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا**) يعني: الآن يقرر بأنه لا يشترط البنيان على القبر؛ حتى نقول له: لا يجوز، وإنما الإتيان إلى القبر والجلوس عنده من ذلك، وإن لم يبن مسجداً؛ لذلك قال: (**وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا**) يعني في ذلك المكان.

(**بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا**) هذا شرعاً.

(**كما قال النبي ﷺ : جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا**) فقال مسجداً، فكل مكان تصلي فيه يسمى مسجد وكذا الصلاة عند القبر يسمى مسجدا ولو لم يبنى عليه مسجدا ومن هذا لا تجوز الصدقة في المقابر ولا يجوز الذهاب إلى المقابر والذكر فيها ولا تجوز قراءة القرآن في المقابر ولا الإتيان إلى قبر بعينه ويجلس عنده في المقابر أو غيره من المقابر وكل ذلك داخل في هذا الباب لأن هذه الأمور وسيلة للشرك والله ﷻ يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾[1] .

---

(١) سورة النور: ٢١.

ولأحمد بسند جيد: عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم في صحيحه.

(**ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا: إن من شرار الناس**) وهذا يقع في هذه الأمة؛ لأنها هي آخر الأمم.

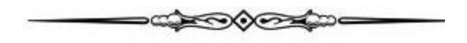
(**من تدركهم الساعة وهم أحياء**) لأن الله ﷻ في آخر الزمان يبعث ريحاً فلا تدع قلب رجل فيه ذرة من إيمان إلا أخذته، ثم تقوم الساعة على شرار الخلق؛ حتى قال النبي ﷺ (**حتى لا يقال على وجه الأرض الله الله يعني لا يذكر اسم الله البتة والعياذ بالله**) .

لذلك قال: (**إن من شرار الخلق من تدركهم الساعة وهم أحياء**) فلا أشر منهم.

(**والذين يتخذون القبور مساجد**) يعني: من هذه الأمة، ففي حديث أم سلمة.

(**شرار الخلق**) وهنا (**شرار الناس**) وهذا لا يكون إلا في هذه الأمة؛ لأن تقوم عليهم، فدل على تحريم إبراز القبور أو تجصيصها أو البناء عليها أو وضع الصور عليها، ويدل أيضاً على عدم جواز إقامة أي نوع من أنواع العبادة في المقابر لأنه وسيلة للشرك (**ورواه أبو حاتم في صحيحه**).

ويكون المصنف رحمه الله قد ختم هذا الباب.



باب
ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

(**باب ما جاء أن الغلو**) وهو مجاوزة الحد (**في قبور الصالحين**) وكذا في قبور الأنبياء من باب أولى (**يصيرها أوثانا**) تتحول إلى وثن (**تعبد من دون الله**).

والفرق بين هذا الباب والباب قبل الماضي وهو (**باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين**) هناك غلو في ذات الصالحين، وهنا غلو في القبور، فالغلو في الصالحين يؤدي بهم إلى الغلو في قبورهم ثم عبادتهم، أي: يؤدي إلى عبادتهم من دون الله، وهنا ذكر الغلو في قبور الصالحين .

والمصنف رحمه الله وضع في هذا الباب حديثين اثنين . فساق الحديث الأول؛ لبيان أن النبي ﷺ دعا ربه ألا يتخذ وثناً من دون الله، والحديث الثاني ساق حديث علي بن الحسين؛ لبيان وسيلة من وسائل الغلو في قبور الصالحين، أو في قبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وذلك بالإتيان إليه مراراً أو الدعاء عنده .

روى مالك في الموطأ ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ».

(**روى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: اللهم لا تجعل قبري**) هنا قال (**اللهم لا تجعل قبري عيدا**) المراد بالعيد، يعني: يعاد مرة بعد أخرى، يعني: اللهم لا تجعل قبري يزار كثيراً، مع أن زيارة القبور مشروعة، لكن خشي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يتخذ قبره مع كثرة الزيارة (**وثنا يُعبد**) لذلك قال: (**اللهم لا تجعل قبري عيدا**) وذهب بعض أهل العلم: أن الله ﷻ استجاب دعاءه، فأحاطه بثلاثة حيطان، والحائط الرابع من نحاس، فلا يستطيع أحد أن يأتي إلى قبره، فلا يعاد، فبعضهم رأى أن الله ﷻ استجاب دعاءه؛ لذلك قال: (**اللهم لا تجعل قبري عيدا**) ولهذا ذهب شيخ الإسلام وغيره إلى أن الإتيان عند قبر النبي ﷺ الآن بعد الحيطان لا يكون قد أتي إليه، وسلم عليه لوجود الحواجز بينك وبينه، ولا يكون الرجل قد أتي إلى قبر أحد وسلم عليه إلا إذا وصل إليه، وقبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حماه الله؛ لئلا يعبد من دون الله، بدعوة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فلا يستطيع أحد أن يصل إلى قبره، ولهذا فالسلام على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند قبره بعد الحيطان الآن، كالسلام عند من يبعد عنه كثيراً؛ لأن من قرب منه الآن لم يصل إلى قبره؛ لوجود الحيطان التي لا يصل المسلم إلى قبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

(اشتد غضب الله) هذا يدل إثبات صفة الغضب لله ﷻ ، ويدل أيضاً أن غضب الله قد يشتد، وغضبه سبحانه يشتد **(على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** والمراد باتخاذ القبور مساجد، يعني: أن يؤتى إلى قبور الأنبياء أو قبور الصالحين ويمكث عندها، أو تفعل العبادات الصالحة عنده من تلاوة القرآن أو التسبيح أو الذكر أو الدعاء؛ لذلك قال **(اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** فالمراد باتخاذ القبور مساجد: ما ذكر، وليس البنيان عليها فحسب .

ولابن جرير بسنده : عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾[1] **قال : كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره .**

(ولابن جرير بسنده : عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد في قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾) يذكر هنا سبب من أسباب عبادة الأوثان من دون الله، وهو الغلو في القبر، فللات ما عبدت إلا لما حصل الغلو في قبر ذلك الرجل، فدل على أن الغلو في القبر يصيرها وثنا تعبد من دون الله، كما عبدت اللات.

(**قال: كان**) يعني: كان رجل ليس من أهل العلم أو الأنبياء، وإنما يعمل عملاً صالحاً، وهو خدمة الحجيج.

(**يلت لهم**) المراد بالت يعني: العجن.

(**السويق**) دقيق البر أو الشعير يخلط بالماء أو بالسمن، فكان يفعل هذه الخدمة للحجيج، فلما (**مات**) هذا الذي يفعل هذا العمل، فبنوا على قبره، فعكفوا عند قبره، ثم بعد زمن أصبح ذلك القبر من أكبر أوثان قريش التي تعبد من دون الله؛ لذلك قال الله: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ فسبب عبادة اللات هو الغلو في قبر ذلك الرجل: وهو ليس بنبي، بل رجل فقط عمل ذلك العمل، فكيف بالغلو

---

(١) سورة النجم: ١٩.

في قبور العلماء، أو الغلو في قبور غيرهم من الأنبياء (**فعكفوا على قبره**) هذا سبب عبادة اللات، الغلو في قبره، حيث كانوا يجلسون عنده بعد وفاته .

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**كان يلت السويق للحاج**».

(**وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس** رضي الله عنهما:) ساق المصنف قول ابن عباس؛ ليؤيد قول مجاهد بأنه (**كان يلت السويق للحاج**) .

ثم بعد ذلك ذكر وسيلة من وسائل عبادة القبور من دون الله، وهي: اتخاذ القبور مساجد، أو الإيقاد عليها بالسرج، ونحو ذلك كما سيأتي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج " رواه أهل السنن .

(**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور**) قال ابن القيم (**أكثر الشرك على وجه الأرض بسبب دعوة الأموات، والسبب في ذلك لأن النفوس تعطف على الأموات، وإذا كان الرجل صالحا يخيل إليها بأنها قريبة من ربها، وتوصل إلى ربها ما ستطلبها منها**) وهم أموات فتأخذ الشخص العاطفة إذا جهل، ويذهب به الشيطان كل مذهب بسبب الأموات، قال (**وانتكست الفطرة فالمشروع أن الحي هو الذي يدعو للميت**).

لذلك في صحيح مسلم لما سألت عائشة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن دعاء دخول المقابر قال: «**قولي السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، ثم قال: يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين**» يعني: الحي يدعو للميت، فانتكست الفطرة فأصبح الحي يذهب إلى الميت، ويقول له: أنت أيها الميت اغفر لي أو اشفني أو اطلب من ربي كذا وكذا، فالشرك فيه انتكاس الفطر الأصل، أن القوي ينفع الضعيف، وليس الضعيف الميت هو الذي ينفع القوي، ولما كانت القبور تتعلق بالأحياء، أو ما بعث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نهى عن زيارة القبور جميعاً للذكور والإناث، فلما قوي الإيمان في قلوب الصحابة، قال النبي ﷺ لهم: «**كنت نهيتكم**

عن زيارة القبور فزروها» فأذن للرجال، والنساء قال: **(لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور)** فبقي النهي للنساء وأذن للرجال.

وإذا قيل: لماذا تمنع المرأة من زيارة القبر؟ قلنا: لضعف المرأة، فإذا رأت قبراً ولحداً وميتاً تجزع، فليس عند المرأة من الصبر ما ليس عند الرجل، وإذا جزعت يحصل منها التكشف، ويبدر منها من الأفعال ما يستقبح منها، وهذا مما يشاهد إذا حصل للمرأة مصيبة من الصراخ مثلاً، وبعضهن من شق الجيوب وغير ذلك، فأتى الإسلام بمنعهن شفقة بهن، وجعل العظة والاعتبار للرجل؛ لأن زيارة القبور تبكي حتى الرجال، كما بكى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في زيارة القبور، والمرأة لا تستحمل لذلك المشهد، فرفع الإسلام عنها تلك العبادة، وهي زيارة القبور رأفة بحالها، وهذا من فضل الله وكرمه سبحانه .

(والمتخذين عليها المساجد والسرج) يعني: من أسباب الغلو في قبور الصالحين وعبادتهم من دون الله اتخاذ المساجد عليها، بأن يأتي إليها مراراً ويمكث عندها، وكذا اتخاذ السرج عليها، يعني: إنارتها، فإنارة المساجد لا يجوز بالأنوار، وكذا تطيب القبور من جنس الإسراج عليها، فيها غلو، وكذا تجصيصها والكتابة عليها ونحو ذلك، وهي من وسائل الغلو فيها.

فإذا قيل: الناس عقيدتهم سليمة، فلماذا تمنع هذه الأمور ونحن متقرر عندنا أنا لا نغلو في ذلك القبر؟

نقول: الأجيال من بعدك إذا أتت يحصل فيها الجهل، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **(لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه)** فعبدت أوثان من دون الله قروناً متعاقبة بسبب وقع الجهل في الأجيال التي بعدهم، كما حدث في من غلا في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا .

باب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

(**باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ**) يعني: باب ما جاء في حفاظ النبي ﷺ (**جناب التوحيد**) يعني: جانب التوحيد الأقرب منه، لئلا يمس (**وسده كل طريق يوصل إلى الشرك**) يعني: كل وسيلة توصل إلى الشرك نهى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنها.

وفي الباب قبل الأخير من كتاب التوحيد قال المصنف: (**باب ما جاء في حمى النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك**) هنا طريق، وهناك جميع الطرق، وهنا جناب يعني: الجانب منه، وهناك الحمى، والحمى أوسع: فكأن يقول لك المصنف: لما حفظك الله ﷻ وعرفت المعتقد الصحيح وحافظت على جانب التوحيد؛ لئلا يخدش فيه خادش، زد ذلك الحفاظ بالحمى، يعني: توسع في الحفاظ في التوحيد.

والفرق الثاني هذا الباب في سد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كل طريق يوصل إلى الشرك في الأفعال، كما سيأتي (**لا تجعلوا قبري عيدا**) و (**لا تتخذوا قبري عيدا**) وهناك في الوسائل المؤدية للشرك في الأقوال؛ لذلك ساق حديث عبدالله بن الشخير لما قالوا له: (**أنت سيدنا فقال السيد هو الله**) ولما قالوا له في الحديث

الآخر: (**أنت خيرنا وابن خيرنا فقال قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان فإنما عبد فقولوا عبدالله ورسوله**) هذا الفرق بين البابين .

في هذا الباب ساق المصنف رحمه الله آية وحديثين . الآية ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾(1) فساق الآية الأولى في بيان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حريص على هذه الأمة، وأشد حرص النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على أمته فيه وهو حرصه على إغلاق باب الشرك عليها، وسعيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لجعل توحيد إفراد الأمة نقياً صافياً؛ لأنه أبداً كما سيأتي في التوحيد وأعاد ونبه ومكث جل زمن دعوته في أمر واحد كما سيأتي.

ثم ساق حديث أبي هريرة، وهو دعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ألا يجعل قبره عيداً فقال: (**ولا تجعلوا قبري عيدا**)، ثم ساق حديث زين العابدين علي في وسيلة من وسائل الشرك، قد تؤدي بسبب الغلو نهى عنها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال (**ولا تتخذوا قبري عيدا**) كما سيأتي .

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾[1] **الآية .**

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ يعني: منكم، فليس من الملائكة ولا من الجن، بل معكم، يأكل مما تأكلون، ويشرب كما تشربون، ويتزوج ويمرض ويضحك ويبكي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وإذا كان الداع من جنس المدعوين كان أدع لقبول دعوته، اختاره الله ﷻ من خير أنسابهم، واختاره ربه ﷻ وهو خيرهم خلقاً، كما قال عنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[2] فهو خيار من خيار من خيار عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، فهو خيار من خيار هاشم، وهاشم هم من خيار قريش، وقريش من خيار بنو كنانة، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خيار من خيار من خيار من خيار عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ يعني: يعز عليه ويشق عليه إذا نزل بكم تشريع فيه مشقة عليكم؛ لذلك لما فرضة الصلوات خمسين صلاة راجع ربه حتى جعلها سبحانه خمس صلوات، وأنزل الله النهي: ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[3] لئلا

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) سورة المائدة: ١٠١.

يشق ذلك على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا على أمته؛ حتى لم يخرج ليصلي في رمضان بأمته، خشي أن يفرض عليهم، ولما سئل عن العمرة أفي كل عام يا رسول الله، قال: «**لو قلت نعم لوجبت**» فيخشى أن يشق على أمته شيئاً .

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ في تبليغ الرسالة، وحريص على هدايتكم، بل صبر على الإيذاء من بني عمه وقومه من حصاره في الشعب وتركه وطنه، ولحقوه لقتاله ووضع له السم والسحر أعداؤه، مع ذلك يصبر لحرصه علينا في إيصال الدعوة إلينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومكث عشر سنوات في أمر حرص عليه كثيراً فقط لا يدعو إلى غيره وهو التوحيد، فمن بعثته لها عشر سنوات وهو فقط يدعو قومه إلى ترك الشرك إلى عبادة الله ﷻ، ثم بعد العشر سنوات فرض عليه الركن الثاني من أركان الإسلام، وحتى مات يعني قريب من نصف زمن نبوته وهو يدعو فقط إلى أمر واحد، وفي النص المتبقي يدعو مع بقية الشرائع التوحيد، وكان يقول: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**» وفي آخر أيام حياته وهو يدعو للتوحيد، ويحذر أمته من الشرك، يعني: كأن المصنف يقول لك: يتقرر لك بأن النبي ﷺ حريص عليك بألا يصل إليك شيء من دخن الشرك، فاسمع ما ذكرته لك من حديثين النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حمى جانب توحيدك بألا يخدش به شيء .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا عليّ ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بإسناد حسن، رواته ثقات.

(**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لا تجعلوا بيوتكم قبورا**) لحرصه علينا قال: لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ومعنى لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، أي: لا تتركوا صلوات النوافل في البيوت وتجعلوها كالقبور؛ لأنه متقرر عند الصحابة أن القبور لا يصلى عندها، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال لهم: صلوا في بيوتكم ولا تكن كالقبور لا يصلى فيها، بل صلوا فيها؛ لذلك كان النبي ﷺ يصلي النوافل في بيته، وقال في صحيح مسلم: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**».

(**ولا تجعلوا قبري عيدا**) هذا الشاهد، فحمى النبي عليه الصلاة والسلام حمى التوحيد، وقال: قبري الذي زيارة القبور فيها مشروعة، وعبادة فاضلة، لكن لا تؤدوا تلك العبادة كثيراً عند قبري؛ لئلا يوصل قبري وثنا يعبد، لذلك قال: (**ولا تجعلوا قبري عيدا**) نهاهم عليه الصلاة والسلام وإن كانت زيارة القبور عبادة خاصة عند قبره عليه الصلاة والسلام لكثرة زيارته .

(**وصلوا عليّ ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) يعني: ذكر لك المخرج بعد النهي، فهو قال لك: لا تأتي قبري، فكأن سائلاً يقول له: إذن كيف أسلم عليك

يا رسول الله؟ (**وصلوا عليّ ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**) يعني: صلوا عليَّ في كل مكان، فتسليمكم تبلغني الملائكة إياه، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**إن لله ملائكة سياحين يبلغنني عن أمتي السلام**» فكل من صلى على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الملائكة تبلغ سلامك على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وهذا يدل على أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يسمع أقوال الناس فضلاً عن قضاء حاجاتهم، فأنت لو سلمت ما يسمع، ولكن الملائكة هي التي تبلغ سلامك للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وعن علي بن الحسين : " أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها ، فيدعو ، فنهاه . وقال : ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي ، عن جدي ، عن رسول الله ﷺ قال : «لا تتخذوا قبري عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ؛ فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم» رواه في المختارة .

يسوق هنا حديث علي بن الحسين، هذا حفيد علي بن أبي طالب، وهو زين العابدين، ومن أشراف قريش ومن أجلهم علما، لما رأى زين العابدين وسيلة من وسائل الغلو في قبر النبي ﷺ نهى من يفعل ذلك، فمن وسائل الغلو فيه التردد إليه في السلام، فكأنه لما ذكر الحديث الأول، كأن سائلاً يسألوه يقول: كيف يكون قبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عيداً؟ قال: فسره آل البيت، وهم أقرب الناس إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لكثرة التردد على قبره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

(**وعن علي بن الحسين: أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة**) يعني فتحة يعني قبر النبي ﷺ .

(**فيدخل فيها ، فيدعو**) فيدخل في تلك الفرجة عند قبر النبي ﷺ فيدعو، فكان هذا رجل يأتي باستمرار، فنهاه علي بن الحسين، وأخبره: بأن هذا وسيلة من وسائل الشرك (**وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي**) يعني: الحسين (**عن جدي**) وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فتعظيم الآباء مما تفخر به النفوس، لكن هذا

الرجل العابد الصالح زين العابدين أبى أن يجعل الشرك مقدما على تعظيم الآباء، والافتخار بهم، فنهاه عن الشرك، وقال: لا تأتي إلى قبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو والد جدي، خشية الشرك، فانظر من آل البيت، ومع ذلك نهى الناس إلى الوصول إلى كثرة التردد إلى قبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لعلمه بأنه وسيلة من وسائل العبادة من دون الله.

(**عن رسول الله ﷺ قال: لا تتخذوا قبري عيدا**) يعني: النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو الذي قال لك: لا تأتِ إليَّ باستمرار، ماذا نصنع؟ صلِّ عليَّ في كل مكان، فقل (**اللهم صلِّ وسلم على محمد**) في كل مكان والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**من صلي علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا**» .

(**ولا بيوتكم قبورا**) يعني: ولا تجعلوا أيضاً بيوتكم لا يصلى فيها، فتهجر من النافلة.

(**فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم**) يعني: من قال: (**اللهم صلِّ وسلم على محمد**) في كل مكان يبلغ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فدل على حرص النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على الحفاظ على التوحيد، ومن حرصه على التوحيد، كثرة التردد على قبر معين، فإذا قيل: كثرة التردد إلى عموم المقابر؟ نقول: لا بأس، فكان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا كان يوم عائشة يذهب إلى البقيع، كما في صحيح البخاري، لا إلى قبر بعينه، وإنما إلى عموم المقابر .

إذن! النهي هو: كثرة التردد إلى قبر بعينه، أما عموم المقابر، فلا، بل هذا هو المشروع والمأذون فيه على الزيارة الشرعية، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**زوروا المقابر فإنها تذكركم الآخرة**» .



باب
ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

ساق المصنف رحمه الله هذا الباب؛ لبيان أن الشرك يقع في أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فليحذر، وفي صحيح مسلم أخبر النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات دوس على ذي الخلاصة**» تضطرب اليات دوس يعني: بالطواف، على ذي الخلاصة صنم في جنوب الجزيرة، وقال في صحيح مسلم أيضاً: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**»، فدل على أن الشرك يقع في هذه الأمة، فليحذر، يعني: فليحذر كل شخص أن يقع فيه.

والمصنف رحمه الله ساق آيات وحديثين؛ لبيان أن الشرك يقع في هذه الأمة قال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ فدل على أن اليهود والنصارى يؤمنون بالجبت والطاغوت، يعني: عندهم شرك الجبت كما سيأتي، والطاغوت كما سيأتي، الجبت الأصنام والأوثان والطاغوت الشيطان.

ثم بعد ذلك ساق أن يقع عند اليهود ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ ﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة: ٦٠.

ثم بعد ذلك ساق أن في زمن أهل الكهف من قال: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[1] وهي من الأمم السالفة، وبعض أهل العلم يرى أنها من النصرانية، يعني: بعد عيسى، ومنهم يرى أنه من اليهود، وكأن المصنف يرى من النصارى فساق أن اليهود والنصارى يقع عندهم الشرك، ثم ساق حديثاً خاصاً: أن اليهود يقع عندهم الشرك، وأن النصارى إذا قلنا أن أهل الكهف أتباع عيسى وقع عندهم الشرك .

ثم بعد ذلك ساق حديث أبي سعيد **(لتتبعن سنن من كان قبلكم)** وهي: أن هذه الأمة ستفعل أفعال اليهود والنصارى، ومن ضمن ذلك لما وقع عندهم الشرك، فسيقع في هذه الأمة الشرك، فذكر هذه القاعدة العامة .

ثم حديث ثوبان صراحة، ولا تقوم الساعة، **(وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان)** بأن الشرك سيقع في هذه الأمة صراحة .

---

(١) سورة الكهف: ٢١.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[1].

﴿بِٱلْجِبْتِ﴾ وهي الأوثان والأصنام ﴿وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ هو الشيطان فيؤمنون بالجبت، والطاغوت مع عبادتهم لله ﷻ، فدل على أن عبادتهم لله لم تنفعهم بسبب عبادتهم لغير الله من الجبت من الأوثان، ودلت هذه الآية على أن الشخص قد يكون عنده علم ويقع في الشرك، فهؤلاء من اليهود والنصارى عندهم علم، ووقعوا في أعظم ذنب؛ لذلك قال: ﴿أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فعندهم علم، يعني: أتوا قسطاً من التوراة والإنجيل، ومع ذلك وقعوا في الشرك.

---

(١) سورة النساء: ٥١.

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ ﴾[1] **الآية .**

لما ذكر الله ﷻ ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ قال الله ﷻ للرسول ﷺ ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ۚ ﴾ كل هؤلاء من اليهود، ومن جعل منهم قردة وخنازير هلكوا، فليس الموجود من القردة والخنازير في أصلهم بشر، لا . هؤلاء خلق مستقل، لكن أولئك مسخوا لقردة وخنازير، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صحيح مسلم قال: «**ما مسخ الله أمة قردة وخنازير إلا لم يجعل لهم نسلا فيهلكون**» يعني: يبقى قردة وخنازير ثم يموت ما يتناسل، أما الحيوان من القردة والخنازير، لا. فهم على أصلهم الحيوانية، ولهم نسلهم، أما من يمسخ فلا يتناسل.

﴿ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ يعني: جعل منهم من عبد الأصنام والأوثان، فدل على أن اليهود عبدوا الأوثان .

---

(١) سورة المائدة: ٦٠.

وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[1].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ ﴾ يعني: من أهل الكهف لما رأوهم صالحين قال الأكابر منهم لما قدموا إليهم ورأوهم إذا ماتوا ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ يعني: نبني عليهم مسجداً، أو نكثر من زيارتنا لهم بالغلو في قبورهم، وكما قلنا لكم، كأن المصنف يرى أن أهل الكهف بعد عيسى عليه السلام، فبين لك أن اليهود والنصارى وقع منهم الشرك، وأن اليهود وقع منهم الشرك، وأن النصارى وقع فيهم الشرك بعبادة الأوثان.

---

(١) سورة الكهف: ٢١.

عن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال : فمن؟! » أخرجاه .

(**عن أبي سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: لتتبعن سنن**) يعني: طرق (**من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**) القذة: هو ريش السهم، يعني: السهم الذي يرمى به يوضع له ريش في الجهة اليمنى وفي الجهة اليسرى، والريش هذا الذي في الجهة اليمنى لابد أن يكون ريش الجهة اليسرى مساوياً تماماً لريش الجهة اليمنى؛ لأنه لو تقدم أو تأخر عند الرمي يميل، فيوزن وزناً دقيقاً ليصيب؛ لئلا يميل السهم عند الرمي، فالنبي ﷺ قال : (**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة**) يعني: كما هم يفعلون أنتم تفعلون تماما سواء بسواء.

(**حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**) يعني: حتى لو قدر أن يدخلون جحر ضب، فمع ضيقه، وهذا مستحيل لو قدر وجود ذلك لتبعتموهم ودخلتم جحر الضب، فأخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن هذه الأمة ستتبع من سلف اليهود والنصارى، ولما وضع المصنف نصوصاً لك بأنه عبد الأوثان من دون الله، فمن اتباع هذه الأمة لمن سلف عبادتها الأوثان من دون الله والعياذ بالله.

(**قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟**) يعني: هل هم اليهود والنصارى الذي سوف نتبع أعمالهم وأفعالهم (**قال: فمن؟!**) يعني: فمن القوم غيرهم، يعني هم.

ولمسلم : عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنْزين - الأحمر والأبيض- . وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا ».

هنا يذكر حديث ثوبان؛ لبيان أن الشرك يقع في هذه الأمة صراحة (**ولا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمتي الأوثان**) وسيذكره في رواية البرقاني .

(**ولمسلم عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : إن الله زوى لي الأرض**) يعني: جمع لي الأرض، وهذا زوي حقيقي ليس في المنام، وهذا من آيات الله وقدرته.

(**فرأيت مشارقها ومغاربها**) رأى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مشرق الأرض ومغربها، ولم يرى الشمال والجنوب في هذا الزوى.

(**وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها**) يعني: في الدين، يعني: يصل إلى أقصى الشرق وأقصى المغرب، أما الشمال والجنوب فلم يزوى له؛ لأن أكثر الأرض يسكن الشرق والغرب، ويندر منهم أن يقع في الجنوب، في خلف الجزيرة

البحار، وفي الشمال المحيط المتجمد، فسكان أهل الأرض في الشرق والغرب، فانتشرت دعوة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الشرق والغرب، فوصلت في أقصى الغرب، ووصلت كذلك في أقصى الشرق، وهذا من آيات الله .

(**وأعطيت الكنْزين الأحمر**) كناية عن الذهب (**والأبيض**) الفضة، والأحمر هو كنز قيصر والروم، فكان غالب تعاملهم بالذهب والأبيض الفضة، وهو كنز كسرى عند الفرس، فغالب تعاملهم بالفضة والجواهر في المتجرد بها الروم الذهب، وفارس الفضة .

(**وإني سألت ربي لأمتي**) يعني دعا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثلاثة دعوات، اثنتان استجاب الله دعاؤه، وواحدة لم يستجب الله دعاؤه، فدل على أن النبي ﷺ بشر لا يملك لا نفعاً ولا ضراً، إذا أراد شيئاً يرفع يديه إلى السماء ويدعو، والله ﷻ هو الذي يقدر بحكمته وعلمه ما يريد.

(**ألا يهلكها بسنة**) يعني: بجوع (**بعامة**) يعني: يعم هذه الأمة، يعني: لا تموت هذه الأمة بالجوع، واستجاب الله ﷻ دعاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يعني: كانت أمم سالفة تهلك بأمتها مثل قوم لوط تهلك، قوم شعيب يأتي العذاب فيهلكون ما يبقى أحد، هذه الأمة خشي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن تهلك ، فما تبقى بعده أمة تعبد الله، فسأل ربه خاف أن تموت هذه الأمة من الجوع، فاستجاب الله دعاءه لن تموت من الجوع.

(**وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم**) من غير المسلمين (**فيستبيح بيضتهم**) يعني: حوزتهم، يعني: لا يهلك المسلمون، يعني: يا رب لا تسلط الكفار على المسلمين فلا يبقى مسلم، فاستجاب الله دعاءه .

(**وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد**) يعني: إذا قضى قضاء بكلامه ﷻ .

(**وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة**) فاستجاب الله دعاءه ما يموت المسلمون جميعاً بالجوع، لكن يكون في أفراد يموتون بالجوع، نعم، لكن جميع الأمة لا من أهل التوحيد .

(**وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم**) فاستجاب الله دعاءه (**ولو اجتمع عليهم من بأقطارها**) بشرط (**حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا**) فإذا وقع ذلك، أهلك المسلمون بعضهم بعضاً، وقاتل المسلمون بعضهم بعضاً، فالله ﷻ قد يسلط عليهم لكن لا يموتون جميعاً، يعني: الموحدون، بدليل الحديث الآخر (**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**) فهنا المراد أغلبهم؛ جمعاً بين الحديثين .

ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد : «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف ؛ لم يرفع إلى يوم القيامة . ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان . وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبين ، لا نبي بعدي . ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ».

(ورواه البرقاني في صحيحه وزاد : وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) لكونهم يضلون من جهل الأحكام الشرعية، وإذا لم يكن العالم جمع مع علمه تقوى الله ﷻ والنصح للأمة، إذا فقد ذلك الأمرين فإنه يهلك نفسه ويهلك غيره، ببيان غير الحق الذي أمره الله ﷻ؛ لذلك خاف النبي ﷺ من أولئك العلماء الذين يضلون الأئمة؛ إما في مخالفة النصوص صراحة أو في تأويلها، ولهذه اللفظة مفهوم، وهو: النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يطمئن للأئمة الربانين، فهم الذين يسيرون على نهجه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، فهم ورثة الأنبياء .

(وإذا وقع عليهم السيف) يعني: إذا وقع على هذه الأمة السيف **(لم يرفع إلى يوم القيامة)** وأول سيف سلَّ في هذه الأمة، هو مقتل عثمان ﵁ فوقع السيف في هذه الأمة بمقتل عثمان، ولا زال الاقتتال في هذه الأمة، وسيستمر إلى قيام

الساعة؛ لذلك قال: (**وإذا وقع عليهم السيف ؛ لم يرفع إلى يوم القيامة**) لذا ترى القتال هنا وهناك في الأرض، بدأ من مقتل عثمان رضي الله عنه، وهذا علم من أعلام النبوة، أما قبل مقتل عثمان فلم يكن هناك قتال، ولما حدث ما حدث في مقتل عثمان تشتت الأمة، وتفرقت وحصل بينها هذا القتال .

(**ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين**) يعني - والعياذ بالله- يرتدون، فمن من علامات النبوة أن حياً من هذه الأمة ترتد من دينها، وتلحق - والعياذ بالله - بالمشركين .

(**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**) هذا الشاهد من حديث ثوبان الطويل الذي مع مسلم زيادة البرقاني، ولا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئة من هذه الأمة الأوثان (**وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**) الفئام يعني: مجموعة من الناس الأوثان، فدل على أن عبادة الأوثان تقع في هذه الأمة .

(**وإنه سيكون في أمتي**) يعني: سيخرج من يدعي النبوة (**كذابون**) عددهم (**ثلاثون**) يعني: مما لهم شوكة، وبعض أهل العلم ذهب إلى أن هذا العدد لا مفهوم له، وإنما من باب الكثرة، وقضت سنة الله عز وجل أن من يدعي النبوة يهلك سريعاً؛ لقوله عز وجل ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1] فيهلك، يعني: لو كان النبي صلى الله عليه وسلم كما تقولون هنا يا كفار قريش

(١) سورة الحاقة: ٤٤-٤٦.

يدعي النبوة لقتلناه، وكذا كل من يدعي النبوة يموت سريعا .

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب (**من عجب العجاب أنك ترى مسيلمة ونحوهم ممن يشهدوا إلا إله إلا الله ويقرأ القرآن بأن النبي ﷺ هو خاتم النبين ومع ذلك يدعي بأنه نبي، بل ويتبعه بعض الناس، قال: وهذا من التناقض**) فهو لا ينكر نبوة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وإنما يقول: أنا نبي، فيتلفظ بشهادة أن محمدا رسول الله، ومع ذلك يأتي بما يضاده .

(**كلهم يزعم أنه نبي**) لعلمه بمرتبة النبوة العالية، فمن لم تأته النبوة يزعم أنه نبي، ممن أضل الله.

(**وأنا خاتم النبيين**) يعني: كأنه وعاء وختم بهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فجعل كالخاتم لهم، وأكد هذه الجملة بقوله (**لا نبي بعدي**) أنا خاتمهم لا نبي بعدي، وكما قال ﷻ ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[(١)].

(**ولا تزال طائفة**) لا يشترط اجتماعها حتى ولو متفرقة، يعني: ولو كان رجل من أهل الحق في المشرق والآخر في المغرب، هذان طائفة، فلا يشترط اجتماعها في مكان واحد؛ لذلك قال: (**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**) يعني الله ينصرهم ويبقي دينه على أيديهم، وهذا علم من أعلام النبوة.

(**لا يضرهم من خذلهم**) يعني: لا يضرهم من لم ينصرهم، فمن كان خاذلاً

(١) سورة الأحزاب: ٤٠.

لهم وذالاً لهم كل ذلك لا يضرهم؛ لأن الله ﷻ هو الذي وعد بنصرهم، كما قال ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] وقال ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[٢] وابن مسعود رضي الله عنه يقول **(أنت أمة وإن كنت وحدك)** .

(حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى) في آخر الزمان يبعث الله ﷻ ريحاً لا تذر مؤمناً إلا أخذته، وهذه اللفظة الأخيرة بإشارة للمؤمن بأن الله ناصره، وأيضاً فرح للمؤمنين بأن معالم الدين الحق لا تنطمس إلى قيام الساعة؛ لذلك الله ﷻ نهى رسوله عن الحزن في عدم اتباع غيره له فقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[٣] لا تحزن عليهم، وقال في آية أخرى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[٤] فهذا الدين منصور، ولكن الموفق هو الذي تكون نصرة الدين على يديه، والمراد بنصرة الدين لفظ عام سواء بالتمسك به أو بالدعوة إليه أو بالدفاع عنه، وهكذا، ولا يشترط بالنصرة الاقتتال فقط .

ويكون المصنف رحمه الله قد ختم هذا الباب .

---

(١) سورة الروم: ٤٧.

(٢) سورة غافر: ٥١.

(٣) سورة الكهف: ٦.

(٤) سورة النمل: ٧٠.

باب
ما جاء في السحر

أي (**باب ما جاء**) من الوعيد (**في السحر**) وأنه كفر بالله ﷻ، والمصنف رحمه الله ساق باب السحر في كتاب التوحيد؛ لكون السحر نوع من أنواع الشرك، فلما كان الشرك نوعاً من أنواع الشرك بوب المصنف رحمه الله عليه بباب منفرد، فقال (**باب ما جاء في السحر**) والسحر : هو عمل يقوم به الساحر لنفع أو ضر من يقصدوه، بأمر الله بأمور شركية هذا السحر .

والساحر يستعين في سحره، منهم من يستعين بالداخون، ومنهم من يستعين بجماجم متلفة مثلاً، ومنهم من يستعين بطلاسم، ومنهم من يستعين بتمتمات وهكذا، فكل ساحر له طريقته التي يلقها شيطانه عليه، ولا يكون الساحر ساحراً حتى يشرك بالله؛ لقول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**ومن سحر فقد أشرك**) فلا يكون الساحر ساحراً إلا إذا أشرك، وكلما -والعياذ بالله- أوغل في الشرك يكون تأثيره أشد؛ لذلك قال ابن القيم رحمه الله: (**وتأثير أهل الأوثان من السحرة أشد من أهل الكتاب وسحر أهل الكتاب أشد من المنتسبين للإسلام**) والسحر له حقيقة، يعني: ليس خيالاً لكن من أنواعه التخيل، يعني: يخيل إليهم في نظر العين، كما قال سبحانه ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[1] يسمى

(١) سورة طه: ٦٦.

سحر التخيل، ومنه وهو حقيقة في أمراض أشخاص، وفي التفريق بينهم وبين الزوج وزوجته، أو في الجمع بين رجل وامرأة بالحرام مثلاً، أو بزواج، ومنه ما يميت، والسحر كما سيأتي باب أنواع السحر ، منه ما يشرب، ومنه ما يأكل، ومنه ما يكون بالنفث بالعقد، ومنه ما يكون بالرش على الأرض فيطأه من قصد سحره، فيؤثر فيه بإذن الله، ومن كان مسحوراً فهذا لا يقدح فيه، فهو نوع من المرض فقط، إذا كان الذي يؤثر على عقله، لذلك الإمام البخاري رحمه الله بوب لباب السحر في (**كتاب المرضى**) والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سحر، يعني: أصيب بنوع من المرض بسبب السحر، وسحره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في صحيح البخاري «**يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهم**».

وسحره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن في الدعوة أو تبليغها أو في أمور الدين، وإنما يخيل إليه أنه يجامع أهله وهو لا يجامعهم، وقد حل سحر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما أتى عند رأسه أو رجليه ملكان، فقال: أين سحره؟ قال: في مشط من أمشاطه، يعني أخذ اليهودي لبيد بن الأعصم شعرات من النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مشط من أمشاطه، يعني: بقية شعرة، والمشط سحره بها في جوف طلعة نخل في بئر ذروان، فأخذ شعرات النبي ﷺ وسحره بها، ووضع تلك الشعرات في طلع النخل، وأخذ ذلك الطلع ودفنه في بئر؛ لئلا يخرج، وهذا من شدة اليهود للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فاستخرجه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبريء من سحره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالسحر له حقيقة، يعني: لا ينكر، ومن يدعي هذا

الباب أقسام :

القسم الأول : وهم السحرة، وهو الذي يزعم نفع الضر الآخرين؛ لذلك الله يقول: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[(١)] وكم من شخص سحر ولم يؤثر هذا السحر فيه؛ لأن الأمر بيد الله .

القسم الثاني : الكهان، وهم الذين يدعون معرفة ما سيكون في الزمن المستقبل، يعني: ماذا سيحدث غداً، وماذا سيحدث بعد شهر وهكذا، وهؤلاء القسم الأول والثاني يضادون الله في ربوبيته، فالأول يسعى في زعمه لما فيه تدبير شيء من الكون فيما يقع بين البشر، فمن كانا متحابين يسعى للتفريق، وإذا كانا متفرقين يسعى للتقريب، وهذا بإذن الله من ربوبية الله، فهو ينازع الرب في ربوبيته، والكهان ينازع كذلك الرب في ربوبيته؛ لأن علم الغيب، حتى الملائكة لا تعلمه، يعني يوم غد، حتى جبريل لا يعلم ما سيحدث، فيأتي هذا الكاهن ويقول: سيحدث كذا وكذا، فينازع الرب في ربوبيته، والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[(٢)] وقال: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾[(٣)].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢ .

(٢) سورة فاطر: ٣٨.

(٣) سورة الجن: ٢٦.

القسم الثالث : العرافون، وهو الذي يدعي معرفة الشيء في المكان الفلاني، ليس في علم في زمن مستقبل، لا. موجود الآن، ويدعي معرفة المكان الفلاني مثلاً، يقول: الذي خلف الجدار الآن زيد، فوجوده خلف الجدار ليس زمناً مستقبلاً، وإنما مكان، ويقول السيارة في المكان الفلاني الآن، فهذا عراف؛ لذلك قيل له عراف، يدعي المعرفة في ما سيحدث الآن في الأمكنة، ويستعين بذلك بالقرين من الشياطين، فيسأل قرين أو شيطان، هذا العراف قرين من يريده أين فلان؟ فيخبره بالمكان الفلاني، والإتيان إلى هؤلاء من الكفر ما سيأتي .

القسم الرابع : هم الدجالون الذين ليسوا بسحرة ولا كهان ولا عرافين، وإنما يدعون شيئاً من أحد هذه الأمور الثلاثة؛ لأخذ أموال الناس بالباطل، ولكون السحر والكهانة تضاد التوحيد، بوب المصنف رحمه الله عليه أبواباً أولها هذا الباب فقال: (**باب ما جاء في السحر**).

والمصنف رحمه الله في هذا الباب وضع الآية وهي قوله: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ** ﴾[1] لبيان أن السحر كفر .

ثم بعد ذلك ذكر آية ﴿**يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ** ﴾[2] لبيان أن من أسباب لعن الله لأهل الكتاب أنه يؤمنون بالسحرة ومن آمن بهم يصدقهم ويأتيهم.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ٥١.

ثم بعد ذلك ساق **(اجتنبوا السبع الموبقات)** فذكر أن السحر من المهلكات .

ثم بعد ذلك ساق حديث جندب، أن في حكم الساحر في الدنيا هو القتل، فقال: **(حد الساحر ضربه بالسيف)** .

ثم ذكر ثلاثة آثار عن الصحابة في إنفاذ حكم الله ﷻ فيهم بالقتل، فذكر أن عمر وحفصة وجندب قتلوا ثلاثة سواحر؛ لذلك قال المصنف :

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾[1] .

وقبلها ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ثم قال ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ ﴾ أهل الكتاب ﴿ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ من فعل ذلك ﴿ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ يعني: من نصيب في الآخرة، فدل على كفره وأول آية التصريح بالكفر ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ فدل على أن من أنواع الكفر السحر .

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

وقوله : ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾[1] .

أولها ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾[2] الجواب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فمن أسباب لعن الله لأهل الكتاب أنهم يؤمنون بالجبت والطاغوت . الجبت ذكر المصنف رحمه الله أن عمر فسرها بأنه هو الساحر وأن جابر فسره بأنهم هم الكهان .

قال عمر : " الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان " .

يعني هذا تفسير لنوعي من أنواع الجبت ولا تضاد فيها فمن معاني الجبت السحر ومن معانيه الكهانة ومن معانيه الأصنام والأوثان فقوله ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ ﴾ عمر يقول يعني يؤمنون بالسحر .

وقال جابر : " الطواغيت : كهان ، كان ينْزل عليهم الشيطان في كل حي واحد " .

ففسر الكهانة .

---

(١) سورة النساء: ٥١.

(٢) سورة النساء: ٥١.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " أخرجاه .

(**وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا**) هنا قال: اجتنبوا، ما قال: لا تفعلوا، اجتنبوا يعني: كونوا على بعد منها، وهذا أبلغ من قوله: لا تفعلوا أو نهيتكم، وإنما اجتنبوا: كونوا فيها في جانب وأنتم في جانب.

(**السبع الموبقات**) يعني: المهلكات.

(**قالوا: يا رسول الله! وما هن؟**) بدأها بالشرك، وعقبها بنوع من أنواعه وهو السحر .

(**قال : الشرك بالله**) يعني: من المهلكات الشرك بالله، وهو أعظم هلاك للبشر؛ لأنه أعظم ذنب على وجه الأرض، الله لا يغفره ويخلد صاحبه -والعياذ بالله- في النار، ويحبط جميع الأعمال .

(**والسحر**) لأنه نوع من أنواع الشرك، ومهلك لصاحبه، وهو الساحر، ومهلك لم يأت إليه، فحكم الآتي كحكم الساحر، ولو لم يأت أحد للساحر لما سحر أحد .

(**وقتل النفس التي حرم الله**) من الموبقات (**إلا بالحق**) كالقصاص النفس بالنفس، أو الزاني المحصن، أو التارك لدينه المفارق للجماعة، فهؤلاء قتلهم بحق.

(**وأكل الربا**) كذلك من المهلكات.

(**وأكل مال اليتيم**) كذلك، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[1].

(**والتولي يوم الزحف**) يعني: الهروب حين الملحمة في القتال بين المسلمين والكفار، إلا متحيزاً ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾[2] فإذا التقى الصفان من يهرب من الكبائر، إلا إذا كان هروبه ليكون مع فئة أخرى تقاتل أو يرجع ليعود إليهم ليكر، لكن يهرب من القتال حين التقاء الصفين، هذا من المهلكات، والذي يحرم في الهروب إذا كان رجل مقابل رجلين، أما إذا كان أكثر فلا بأس حين ذاك من عدم قتالهم؛ لأن الرجل المسلم عن اثنين ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ﴾[3] فالرجل عن رجلين، ولو أن مسلماً يقابل خمسة. نقول: يجوز الآن أن يفر، ومسلم يقابل كافر، لا يجوز له أن يفر.

---

(١) سورة النساء: ١٠.

(٢) سورة الأنفال: ١٦.

(٣) سورة الأنفال: ٦٦.

(**وقذف المحصنات**) المراد بالمحصنة هنا: العفيفة، وليس المراد المتزوجة، بل حتى قذف البكر يقام على القاذف الحد، والمراد بالقذف هنا: قذف صراحة بالزنى، وإذا كان كناية عن ألفاظ الزنى وثبت، وتلك عفيفة فيعزر، إذا كان بألفاظ الكناية.

(**المؤمنات**) ولو قذفت الكافرة لا يقام الحد، لكن يعزر.

(**الغافلات**) هذا وصف أغلبي، فلو قذفت العالمة بالقذف، يقام الحد، لكن لأن غالب من تقذف تكون غافلة. الشاهد من هذا الحديث السحر من المهلكات.

وعن جندب مرفوعا : «حد الساحر : ضربه بالسيف» رواه الترمذي ، وقال: الصحيح أنه موقوف .

(**وعن جندب مرفوعا: حد الساحر**) في الدنيا (**ضربه بالسيف**) فدل على أن حكم الساحر في الدنيا القتل؛ لجرم ما يفعلوه، ولبشاعة ما يضر به الخلق، ولعظيم ذنبه بالشرك بالله ﷻ ، لذلك قال: (**حد الساحر : ضربه بالسيف**) أو ضربة بالسيف كلاهما يصح (**رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف**) على جندب .

وفي صحيح البخاري : عن بجالة بن عبدة ؛ قال : " كتب عمر بن الخطاب ﷺ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر" .

(**وفي صحيح البخاري : عن بجالة بن عبدة قال : "كتب عمر بن الخطاب ﷺ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة**) فدل على أن الصحابة أقاموا حد القتل على الساحر، فعمر ﷺ كتب إلى عماله اقتلوا، وهذا يدل على كثرة السحر حتى في عهد الصحابة ﷺ ، وما بعدهم أشد وأشد، والسحر نشأ منذ نشوء بني آدم؛ لذلك قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴾[1] فمن عهد نوح والسحر معلوم وكثر السحر في عهد موسى عليه السلام لذلك كانت المحادة بينه وبين قومه بالسحر وكل ما بعد الناس عن دين الله كثر السحر والعياذ بالله وأكثر من يقع منه السحر هم النساء لقلة دينهن وقلة عقلنهن (**قال : فقتلنا ثلاث سواحر**) يعني أقاموا الحد على ثلاث سواحر .

---

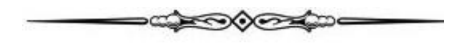
(١) سورة الذاريات: ٥٢.

وصح " عن حفصة رضي الله عنها **: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ؛ فقتلت " .**
وكذلك : صح عن جندب . قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ **.**

(**وصح عن حفصة** رضي الله عنها **: أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ؛ فقتلت**) فإذا كان بيت النبوة تعرض للسحر، فغيرهم من باب أولى فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سحر، وزوجته حفصة رضي الله عنها سحرت، فلا غرابة في أن يسحر غيرهما، سواء من أهل الصلاح أو من هو دونه؛ لأن هذا من تسليط الشياطين على العبد، وهذا نوع من الابتلاء، ومن وقع عليه ذلك فليصبر وليسع إلى إبطال السحر، كما سيأتي إنشاء الله في (**باب النشرة**).

(**وكذلك : صح عن جندب**) قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله (**جندب هذا غير راوي الحديث يعني رجل آخر**) .

(**قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي** ﷺ) يعني أقاموا حد السحر، وهم عمر وحفصة وجندب .



باب
بيان شيء من أنواع السحر

لما كان السحر كثير الأنواع، بوب المصنف ﵀ باباً مستقلاً، فقال: (**باب بيان شيء من أنواع السحر**) والمصنف ﵀ وضع في هذا الباب ثلاثة أقسام من السحر:

القسم الأول : سحر شرك والمصنف ذكر ثلاثة أنواع منه :

النوع الأول : الخط في الأرض، وذكر حديث (**إن العيافة والطرق والطيرة**) يعني الطرق المرملون الذين يخطون في الأرض كما سيأتي .

النوع الثاني : التنجيم والاستعانة بالفلاك العلوية على تدبير الأرض أهل الأرض؛ لذلك قال ساق حديث (**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**) .

النوع الثالث : النفث في العقد، وذكر حديث (**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر**) هذا القسم الأول وهو السحر الشركي .

القسم الثاني : وليس بشرك وهو النميمة، فقال: (**ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة القالة بين الناس**) وذكرها من أنواع السحر؛ لتأثيرها في الناس كتأثير

السحر في التفريق بين الآخرين وإحداث النزاع وهكذا .

القسم الثالث : ذكر نوعاً من انواع السحر، وفيه تفصيل، وهو البلاغة والبيان في الكلام، فإن كان بحق فهو ممدوح، وإن كان بباطل، فهو مذموم؛ لذلك ساق حديث (**إن من البيان لسحرا**) .

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع النبي ﷺ قال : «إن العيافة ، والطرق ، والطيرة ؛ من الجبت ».

الآن يذكر القسم الأول من أقسام السحر وهو الشرك، ويذكر هنا النوع الأول منه، وهو استخدام الرمل والخطوط في الأرض (**قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع النبي ﷺ قال: إن العيافة والطرق ، والطيرة**) يأتي تفسيرها هذه الأمور (من **الجبت**) يعني من السحر .

قال عوف : " العيافة : زجر الطير . والطرق : الخط يخط بالأرض . والجبت – قال الحسن– : رنة الشيطان " إسناد جيد .

(**قال عوف : العيافة : زجر الطير**) يعني: التشاؤم بالطيور، والمصنف رحمه الله عقد باباً سيأتي إنشاء الله (**باب ما جاء الطيرة**) فمن أعمال الشياطين زجر الطير، كما سيأتي بالتشاؤم بها، مثل إذا رأى غراباً يقول سوف تحل مصيبة، أو الحمام الأبيض ترك الحرب ونحو ذلك، هذا من التشاؤم بالطيور .

(**والطرق: الخط يخط بالأرض**) هذا الشاهد بوضع مربعات عليه، وما في حكم الأرض مثل الطلاسم والمربعات يضعها السحرة والكهان، كل ذلك من أعمال الشياطين، وهي من أنواع السحر، وسبق لكم من الجبت أنه يكون معناه شيطان أو السحر أو الكهانة؛ لذلك قال: (**إن العيافة، والطرق، والطيرة ؛ من الجبت**) من أنواع السحر، فكل معنى من هذه المعاني نعطيها المعنى الذي يوافقها.

(**إن العيافة**) من أعمال الشيطان.

(**والطرق**) من أعمال الشيطان وهي من السحر، فمن أنواع السحر الخط، وكذا القراء في الكف من هذا النوع، وفي صحيح مسلم «**كان نبي من الأنبياء يخط في الأرض فمن وافق خطه خطه في ذاك**» يخط في الأرض، ويأتيه الوحي بأمر الله، وهذا لنبي من الأنبياء فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: من وافق خطه خطه في ذاك،

لكنه لا يمكن هذا، لا نعرف كيف يخط هذا النبي، وإنما الله هو الذي أطلعه، وليس شيطاناً فلم يبق مما يخط في الأرض إلا أهل الباطل.

(**والجبت قال الحسن رنة الشيطان**) هي صوته، ومن صوته النائحة تنوح، هذا من أصوات الشيطان، وكذا المعازف من أصوات الشيطان [**إسناد جيد**].

(**ولأبي داود ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه : المسند منه**) يعني: الذي روى (**إن العيافة ، والطرق ، والطيرة ؛ من الجبت**) أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان، أما التفسير (**قال عوف**) بن أبي جميلة إلى آخر التفسير (**العيافة والطرق والطيرة والجبت**) فهذا ليس إلا في مسند الإمام أحمد، لذلك قال: (**المسند منه**) الذي روى المسند مع الإمام أحمد أبو داود والنسائي وابن حبان، أما التفصيل قال: لم يذكره سوى الإمام أحمد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «من اقتبس شعبة من النجوم ؛ فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد ». رواه أبو داود ، بإسناد صحيح.

هذا النوع الثاني من أنواع السحر الشركي، وهو الاعتماد على التنجيم، ومنه الأبراج، فيقول مثلاً: شخص أنت ولدت في البرج الفلاني، معناها كذا وكذا، هذا من التنجيم .

(**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : من اقتبس شعبة من النجوم**) يعني: من تعلم شيئاً من أمور التنجيم بالتأثير بالسحر أو الكهانة.

(**فقد اقتبس شعبة من السحر**) يعني: من أنواع السحر التنجيم.

(**زاد ما زاد**) يعني: كلما زاد في تنجيمه كلما زاد في إثم سحره

[**رواه أبو داود ، بإسناد صحيح**].

وللنسائي : من حديث أبي هريرة ﷺ : «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه».

هذا النوع الثالث من أنواع السحر الشركي، وهو النفث في العقد .

(**وللنسائي : من حديث أبي هريرة ﷺ : من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر**) يعني: الذي يأخذ من أثر الآخرين مثلاً شيئاً، فالساحر ينفث فيه بكلمات شركية، ثم يعقد هذه العقدة ويضعها في أي مكان، هذا نوع من أنواع السحر، وسحر النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في عقد شعراته، كانت إحدى عشر عقدة في شعرات، عقدت شعراته إحدى عشرة عقدة، وأحياناً قد يكون السحر بالعقد أشد، وأحياناً يكون الشرب أشد، وأحيانا يكون الرش أشد، لكن على سبيل الجملة أشدها النفث العقد، ثم بعد ذلك الشرب، ثم أخفها الرش، والعياذ بالله.

(**ومن سحر فقد أشرك**) يعني: هذه اللفظة ينبغي لطالب العلم أن يستحضرها في هذا الباب؛ لأن كثيراً من الناس يقول: أن الساحر ليس بمشرك أو ليس بكافر، نقول: لا . النبي ﷺ قال: (**ومن سحر فقد أشرك**) فدل على أن الساحر مشرك بنص الحديث؛ لأن الساحر ليس أن يتوصل إلى أعماله الشركية إلا إذا قدم -والعياذ بالله- قرباناً للشياطين، من الكفر بالله، وكل ساحر بما يأمره شيطانه به من أعمال الكفر، منهم من يذبح لغير الله، ومنهم من يهين كلام الله ﷻ

وغير ذلك، -والعياذ بالله- من أنواع الشرك التي لا تنتهي .

(ومن تعلق شيئاً وكل إليه) يعني: من تعلق بشيء وكل الله ﷻ إليه، فمن تعلق بشخص فقلبه يكون معلق بذلك الشخص، ثم يخذله ذلك الشخص، ومن تعلق بالله فالله ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾[(١)] يعني لا تتعلق لا بسحرة ولا بغيرهم بل يكون قلبك به سبحانه وهو القوي الحميد .

---

(١) سورة الأنفال: ٤٠.

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة – القالة بين الناس – » رواه مسلم .

هنا بين القسم الثاني من أنواع السحر في تأثيره، وهي النميمة .

(**وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ألا هل أنبئكم ما العضة**) أصل العضة القطع، لذلك لما قال لهم النبي ﷺ (**ألا هل أنبئكم ما العضة**) ثم أخبرهم ما هو العضة (**هي النميمة**) يعني: التي تفرق بين الناس، وتحدث في التأثير أسرع من إحداث السحر، بل قد يكون أقوى من السحر، والله ﷻ توعد من سلك ذلك الباب فقال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[1] يمشي بالنميمة ويلمز، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: (**لا يدخل الجنة قتات يعني نمام**) وفي صحيح البخاري ومسلم لما مر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على قبرين، قال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة**» عذابهما معجل في القبر قبل النار –والعياذ بالله– فيعذب في قبره، ولا أسلم للمرء من حفظ لسانه، والعمل بوصية النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقول خيرا أو ليصمت**».

(**– القالة بين الناس –**) يعني: الكلام بين الناس بالتفريق بينهم [**رواه مسلم**].

---

(١) سورة الهمزة: ١.

ولهما : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «إن من البيان لسحرا ».

هنا يذكر القسم الثالث من أقسام السحر في تأثيره .

(**ولهما : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : إن من البيان**) يعني من الفصاحة والبلاغة (**لسحرا**) يعني: يؤثر كما يؤثر السحر، فإذا كان في أمور الحق فالشخص يحمد في ذلك الأمر، فمثلاً في الدعوة إلى الله عز وجل ويتكلم الشخص ببيان عظيم في تعظيم الله جلا وعلا، وفي فضائل هذا الدين وغير ذلك، فهذا مأجور على عمله، وإن كان في الحق فهو مأجور على ذلك العمل، والشخص إن أعطي تلك الموهبة فلا يجعلها إلا في الحق، وليحذر أن تكون بالباطل، بل من تأثيرها قد ت} ثر في الحكم عند القاضي؛ لذلك في صحيح البخاري ومسلم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي على نحو ما أسمع فمن قضيته فإنما أقضي له بقطعة من نار فليأخذها أو ليذرها**» كل ذلك في بيان الفصاحة والبلاغة وقد يكون الخصم أضعف حجة .

ويكون المصنف رحمه الله قد ختم هذا الباب .

فإذا قيل ما دام أن السحر إذا بعد الناس عن الدين وعن العلم كثر فما هي سبل التحصن منه ؟

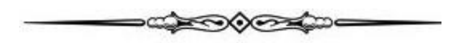
الأمر الأول : الدعاء أن الله يحفظك من شر شياطين الإنس والجن .

الأمر الثاني : قراءة الأوراد الصباح والمساء، لذلك لما سحر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنزلت عليه المعوذتان، وقال لعقبة بن عامر «**ما تعوذ متعوذ بمثلهما**» يعني ما تحصن بمثل تلك المعوذات .

الأمر الثالث : الأكل من عجوة المدينة مما بين لابتيها، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**من تصبح كل يوم سبع تمرات مما بين لابتي المدينة لم يضره لا سم ولا سحر**» فمن أكل من عجوة المدينة مما بين اللابتين، يعني: في حدود الحرم لم يضره شيء سم ولا سحر حتى يمسي .

الأمر الرابع : البعد عن من عرف عنه مضرة الآخرين السحر، فلا يقرب مجالسه ولا يأكله، وليحذر أن يشرب منه شيئاً مثلاً وهكذا .

الأمر الخامس : كثرة الطاعات، فهي بإذن الله تحفظ المرء، حتى ولو تعرض له أهل الباطل؛ لذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: «**تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**» فإذا سلط عليك سحر بإذن الله يمنعه رب العالمين .



باب
ما جاء في الكهان ونحوهم

أي (**باب ما جاء في**) حكم (**الكهان**) وما في حكم الكهان من العرافين، ويدخل فيهم أيضاً من يذهب إلى السحرة، والإتيان إلى العرافين وإلى الكهان ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : أن يأتي المرء إليهم ويسألهم ويصدقهم بما يقولون، فحكمه -والعياذ بالله- الكفر كما سيأتي من الأدلة .

القسم الثاني : أن يأتي إليهم ويسألهم ولا يصدقهم، وإنما يعلم أنهم يسترقون السمع وكذابون فيما يقول، لكن يأتي إليهم ويسألهم، ويقول: سأنظر ما هو حالهم، فهذا حكمه: أنه لا تقبل له صلاة أربعين يوما كما سيأتي .

القسم الثالث : أن يأتي إليهم للفرجة والاطلاع ولا يسألهم، وإنما لينظر إلى أفعالهم وما يأتون به من غريب أعمالهم، فهذا محرم؛ لحديث أن معاوية ابن حكم رضي الله عنه أتى إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله! إنا كنا في الجاهلية نأتي الكهان، يعني: ينظرون إليهم، فقال: (**لا تأتهم**) ويدخل في ذلك النظر في أفعالهم وأعمالهم، ولو بطريق غير مباشر، النظر إليهم في القنوات وما في حكمها، فلا يجوز النظر إلى

أفعال الكهان أو السحرة أو العرافين، ولو بدون سؤال لهم؛ لئلا يفتتن المرء بما يراه، ولأنه منكر لا يجوز للمسلم أن ينظر إليه .

القسم الرابع : أن يأتي إلى الكهان وهو قادر على الإنكار عليهم كأهل الحسبة، فهذا لا بأس به يأتي إليهم وينكر عليهم ويعمل ما في استطاعته معهم .

والمصنف قال (**باب ما جاء في الكهان**) والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيب في أمر مستقبل، كأن يقول تتزوج بعد عامين أو تتوظف بعد ثلاث سنوات، وهكذا، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما سألته عائشة عن الكهان قال: (**ليسوا بشيء**) رواه البخاري . يعني لا يعلمون شيئاً من أمور الغيب، وإما هو حدس وتخمين وكذب وتدليس على من يأتي إليهم، ولو كان يعلم الغيب لتاب قبل موته، لكن الموت يأتيه بغتة ولا يعلم متى يموت، ولو كان يعلم متى سيموت لتاب .

والمصنف رحمه الله في هذا الباب ذكر عدة أحاديث :

الحديث الأول: (**من أتى عرافا فسأله عن شيء**) قال: (**لم تقبل له صلاة أربعين يوما**) فساق الحديث الأول؛ لبيان أن من أتى إلى العراف فسأله ولو بدون تصديق، لم تقبل صلاة أربعين يوما .

ثم ساق **الحديث الثاني** (**أن من أتى إلى كاهن فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر**) .

ثم ساق **الحديث الثالث** لبيان أن من صدق حتى العراف فيكفر لذلك ساق

حديث (**من أتى عرافا أو كاهنا فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر على ما أنزل على محمد**) .

وساق **الحديث الرابع** لبيان أن من أتى إلى الكهان، فحكمه حكمهم من الوعيد السابق في الكفر بالله ﷻ إذا صدقه؛ لذلك قال: (**ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له**) .

ثم بعد ذلك ساق تعاريف للكهان والعرافين كما سيأتي لبيان ما أجمل مما سبق من الكلمات الغريبة .

ثم ساق حديث ابن عباس؛ لبيان أن العرافين حكمهم حكم الكهان؛ لأنه قال: (**باب ما جاء في الكهان ونحوهم**) فمما يعمله أهل العرافة العمل بالتنجيم، لذلك لما سئل ابن عباس قال: (**ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق**) أي أن حكم العرافين الذين يستخدمون النجوم في ادعائي معرفة المغيب، حكمه حكم الكهان على التفصيل السابق .

روى مسلم في صحيحه : عن بعض أزواج النبي ﷺ ،عن النبي ﷺ أنه قال : «من أتى عرافا فسأله عن شيء ، فصدقه ؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوما ».

(**روى مسلم في صحيحه : عن بعض أزواج النبي ﷺ**) وهي حفصة رضي الله عنها فقد جاء في بعض الروايات أن الراوي لهذا الحديث هي حفصة (**عن النبي ﷺ أنه قال : من أتى عرافا**) والإتيان هنا أغلبي، ويدخل فيه المهاتفة بالاتصال، ولا يشترط الإتيان إليه بالقدم، والعراف الذي يدعي معرفة المغيب من الأمكنة الحالية مثل أن يقول: سيارة فلان الآن في المكان الحالي، هذا عراف يعني: يدعي المعرفة ما هو موجود الآن، والكاهن فهو أشد خطرا من العراف؛ لأنه يدعي علم الغيب، فهو يضاد الرب عز وجل في خصائصه سبحانه وتعالى ، فإن علم الغيب خاص به سبحانه؛ لذلك الله يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] وحده .

(**عن النبي ﷺ أنه قال : من أتى عرافا**) يعني: يأتي ويسأله مثلاً يقول له: أين ابني المسروق، أو أين سيارتي المسروقة.

(**فسأله عن شيء**) يعني: أي شيء ولو كان شيئاً يسيراً.

(**فصدقه**) هذه الرواية ليست في مسلم في النسخ المطبوعة، ولعل ذلك وهم

---

(١) سورة فاطر: ٣٨.

من المصنف؛ لأن من أتى عرافاً فسأله عن شيء بدون تصديق لم تقبل له صلاة، لكن إذا صدقه فحكمه حكم الكفر، كما سيأتي .

(لم تقبل له صلاة أربعين يوما) لأنه أتى إلى العراف فسأله عن شيء حتى ولو كان يعلم كذبه، ويعلم أن يسترق السمع، لكن قال: اسأله أين سيارة فلان، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، يعني: يبقى هذا مع الوعيد أبلغ في الزجر، فإذا قال شخص: هل معني ذلك من أتى إلى عرافاً فسأله أنه لا يصلي أربعين يوماً لأنه لا يؤجر عليه؟ نقول: لا . يجب عليه أن يصلي، وإنما لا يرفع له ثواب تلك الصلاة، ولو لترك الصلاة لكفر فيبقى شؤم هذه المعصية تلاحقه في صلاته لا يرفع ثوابها أربعون يوماً.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ». [رواه أبو داود] .

(**وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : من أتى كاهنا**) الذي يدعي المستقبل، مثل يقول: أنت سوف تسافر بعد سنة، سوف تموت بعد خمس سنوات، وهذا من كذبه.

(**فصدقه بما يقول**) أتى وسأله وصدقه، فيقول للناس: أنا سوف أموت بعد خمس سنوات، أو امرض كذا بعد يومين وهكذا.

(**فقد كفر بما أنزل على محمد**) وهو القرآن لأنه كفر بما في القرآن، بأن الذي يعلم الغيب هو الله وحده؛ لأن الله ﷻ في القرآن يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[1] فهنا آمن بأن هناك يعلم الغيب إلا الله فحصل الكف والعياذ بالله لتكذيبه بما جاء في القرآن.

---

(١) سورة النمل: ٦٥.

وللأربعة والحاكم – وقال : صحيح على شرطهما – : عن النبي ﷺ : «من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ».

(**وللأربعة والحاكم – وقال : صحيح على شرطهما – : عن النبي ﷺ**) هنا بيض المصنف رحمه الله اسم الراوي وهو أبو هريرة، لعل المصنف كان يعزم العودة إليه فنسيه أو تركه، هنا ساق الحديث؛ لبيان أن الإتيان إلى العرافين وتصديقهم حكمه حكم من يأتي إلى الكهان سواء بسواء .

(**من أتى عرافا**) فأتى بهذا الحديث بزيادة لفظة: من أتى عرافاً (**أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**) وكذا حكم من يأتي إلى الساحر ويدعي علم الغيب؛ لأن الساحر في الأصل لا يدعي علم الغيب، لكن ولو كان هناك ساحر يدعي علم الغيب، فحكمه حكم أولئك من الكهنة والعرافين .

ولأبي يعلى – بسند جيد – عن ابن مسعود مثله : موقوفا .

وعن عمران بن حصين مرفوعا : «ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد » [رواه البزار بإسناد جيد].

هنا يسوق هذا الحديث؛ لبيان أن من أتى إلى الكهان حكمه حكم الكهان ، الكهان يدعون علم الغيب فيكفرون، ومن يأتي إليهم ويسألهم، حكمه حكمهم كما سيأتي (**وعن عمران بن حصين مرفوعا : ليس منا من تطير أو تطير له**) التطير كما سيأتي بعد الباب ما بعد القادم بإذن الله هي التشاؤم، سواء بالأزمنة أو بالأمكنة، أو بالمفعولات من الطيور وغيرها، أو المسموعات أو المرئيات كما سيأتي بإذن الله، فمن تطير، يعني: فعل الطيرة أو تطير له، يعني شخص قال لآخر: هل أسافر أم لا أسافر بعد أسبوع؟ فيقول: الآن ازجر طيراً، أو يدعي أمراً، فيقول: الأسبوع القادم ليس فيه خطر عليك في السفر مثلاً، فكانت الطيرة شرك؛ لأنها تناقض التوكل على الله ﷻ ، فجعلت قلبك مفوضاً لهذا الذي قال لك لا تسافر، لكن لو توكلت على الله، والله يقول ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[1] لسافرت كما سيأتي تفصيل ذلك في (**باب الطيرة**) إنشاء الله .

(**أو تكهن**) يعني: الكاهن، قال النبي ﷺ من فعل الكهانة (**أو تكهن له**)

---

(١) سورة الأنعام: ١١.

يعني: أتى للكاهن، والكاهن قال له: كذا ستتزوج بعد سنة، أو قال له الكاهن: سوف تمرض بعد سنتين وهكذا، فحكم من يأتي للكهان حكم الكهان، والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في نواقض الإسلام قال: **(السابع): السحر ومنه الصرف أو العطف، فمن فعله يعني من السحرة أو رضي به ذهب إلى السحر لكي يسحروا له فلانا فقد كفر)** فحكمه حكمهم سواء

(أو سحر أو سحر له) كذلك الساحر يكفر، ومن يأتي إلى الساحر ويطلب منه عمل سحر، يكفر حكمه حكمهم، سواء -والعياذ بالله- ولو لم يأتي أحد إلى الساحر لما سحر الساحر أحداً، فدل على أنك أنت الذي دللت الساحر ليضر فلانا مثلاً.

(فقد كفر بما أنزل على محمد) بين الحكم، أن الكهان وكذا السحرة -والعياذ بالله- حكمهم الكفر وحكم من يأتي كذلك.

ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس : دون قوله : " ومن أتى ..." إلى آخره.

(ورواه الطبراني بإسناد حسن من حديث ابن عباس) يعني: عند الطبراني **(ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له)** إلى هنا **(دون قوله : ومن أتى ... إلى آخره)** ليس عنده، والمصنف ساق الحديث للقطعة الأولى منه **(ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له)** وبقية الحديث تقدم معناها في الأحاديث السالفة الثلاثة.

قال البغوي : " العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ، ومكان الضالة ، ونحو ذلك " . وقيل : هو الكاهن . والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير .

(**قال البغوي**) في شرح السنة يذكر هنا تعريف العراف والكاهن، فقال (**العراف : الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات**) مثلاً يقول: ما هو اسم أمك، وما هو عمرك، واعطيني شيئاً من ثيابك وهكذا، وكذلك الكاهن أيضاً (**يستدل بها على**) معرفة (**المسروق**) فإذا أخذ منك مثل هذه المعلومات، يقول: مكان السيارة التي سرقت في المكان الفلاني، أو (**مكان الضالة**) مثلاً ابنك الضائع في المكان الفلاني وهكذا، وهو يستخدم في ذلك القرين من الشياطين، ولكون ما يقدم عليه مما يضاد مما تفتضيه جبلت البشر من تفويض الأمور لله والتعلق به سبحانه، من كان ذلك فعله وقع في جرم عظيم، وهو الكفر -والعياذ بالله- يعني: الأصل إذا ضاع للناس شيء ماذا يفعل؟ يلجأ إلى الله بأن يجد ابنه، أو أن يجد سيارته وهكذا، فإذا ذهب إلى الشياطين تعلق قلبه بغير الله، فوقع في الشرك (**ونحو ذلك**) الذهب المسروق وهكذا .

(**وقيل : هو الكاهن**) يعني قيل: أن العراف هو الكاهن، لكن التفصيل الأول أدق، العراف معرفة الأماكن لا يدعي شيء من زمن الغيب المتقبل،

والكاهن يدعي الزمن .

(**والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل**) يعني: في الزمن المستقبل، فيقول: سيحدث بعد سنة مثلاً كارثة، أو سيحدث مرض عام، وهكذا هذا الكاهن .

(**وقيل : الذي يخبر عما في الضمير**) يعني: يقول لك: أنت الآن تفكر في كذا، أو أنت الآن تخطط ماذا ستعمل غدا، وهكذا من أباطلهم.

(**الذي يخبر عما في الضمير**) يعني العراف هو الذي يخبر عما في الضمير، يعني: يدعي أنه يعرف الآن ماذا تفكر فيه، فساق الآن تفسير البغوي للعراف والكاهن.

وقال أبو العباس ابن تيمية : " العراف : اسم الكاهن ، والمنجم ، والرمال ، ونحوهم ، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق ".

(**وقال أبو العباس ابن تيمية**) الآن يذكر تعريف شيخ الإسلام لأولئك فقال (**العراف: اسم الكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم**) لكن تعريف البغوي أدق؛ لأن ما ذكره شيخ الإسلام عام، وأدخل فيه المقدمات التي يستدل بها أولئك فقال: (**العراف: اسم الكاهن**) يعني: يدخل فيه الكهنة المعنى أعم، لكن على التفصيل السابق أدق .

(**والمنجم، والرمال**) هذه أدوات يستخدمها الكاهن والعراف، فمن ينجم

إما أن يكون عرافاً، وإما أن يكون كاهناً، يعني الذي يستخدم النجوم ينظر إلى النجوم ويقول: أنت في البرج الفلاني سيحدث كذا في المستقبل، أو ينظر في البرج ويقول: سيارتك الآن هنا، والرمال الذي يخط في الأرض ويضع طلاسم، أو يخط على الورق، ويضع مربعات وحروف مقطعة، ويقول: سيحدث غداً كذا، فهو كاهن، أو يقول مكان سيارتك في المكان الفلاني، إذن التنجيم والخط في الرمل أو في الورق يستخدمها الكاهن والعراف، وكذا ضرب الكف والقراءة في الفنجان نفس الحكم .

(**ونحوهم ، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق**) لذلك سماها طريقة، وليس هناك شخص اسمه رمال أو منجم، ولا الأصل فقط عندنا في ادعاء علم الغيب، إما كاهن أو عراف، والذي ضر الناس يسمى ساحر .

وقال ابن عباس في قوم يكتبون " أبا جاد " وينظرون في النجوم : " ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق " .

ساق هنا قول ابن عباس رضي الله عنه ؛ لبيان أن الذي يستخدم النجوم من العرافين حكمه حكم الكهان، وهو الكفر بالله .

(**وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد**) يعني حروف مقطعة، ألف باء تاء جيم، ويقطع حروف ورموز ومربعات.

(**وينظرون في النجوم**) ويرفع رأسه للنجوم، كأنه يعلم كأنها خبراً من السماء

يأتيه، ويقول: النجم الفلاني يقول عنك كذا وكذا، قال في حكمهم **(ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق)** يعني: من نصيب يعني الكفر -والعياذ بالله- .

فتبين مما سبق خطر الإتيان إلى الكهان والعرافين، سواء بسؤالهم أو بسؤالهم ثم تصديقهم، وهو الكفر العظيم بالله ﷻ ، والواجب على الشخص أن يتعلق بالله ويتوكل به سبحانه، ولا يلجأ إلى أولئك من أعوان الشياطين .

باب
ما جاء في النشرة

النشرة في الأصل يعني: نوع من حل السحر، والمصنف ساق هذا الباب؛ لبيان كيفية حل السحر عن المسحور .

وساق المصنف رحمه الله هنا الحديث الأول هي من عمل الشيطان؛ لبيان النشرة المحرمة، ثم بعد ذلك ساق أثر سعيد بن المسيب قال: (**لا بأس به**) يعني: فيما يؤاخذ عن امرأته وهي النشرة المباحة، ثم بعد ذلك ساق قول الحسن رضي الله عنه فيما روي (**لا يحل السحر إلا المسحور**)، ثم بعد ذلك ساق قول ابن القيم في تفصيل النشرة، منها ما هو محرم، ومنها ما هو مباح .

وحل السحر عن المسحور يكون بطرق، كل طريقة تختلف بسبب نوع السحر، والسحر لا يخلو: إما أن يكون نوعه بالعقد، بأن يأخذ الساحر شيئاً من أثر المسحور من ثيابه أو شعره ونحو ذلك فيعقدها، يعني: يربطها ربط، فهذا الربط إذا ربط يأمر بإذن الله شيطان من الشياطين، فيدخل في ذلك المسحور، فيؤثر هذا الشيطان الذي دخل في جسد الإنسان المسحور يؤثر فيه على حسب ما أمر به، فإذا كان مثلاً أدخل فيه ويأمر ببغض زوجته، فتراه إذا رأى زوجته

يكرهها، ويخيل إليه زوجته في غير صورة التي خلقت فيه، مثلاً في شكل قبيح ونحو ذلك، أو في مرض في يده، فيكون الشيطان متسلطاً على يده يتعرض إليها بالألم وهكذا، فإذا كان ذلك السحر معقود الشيطان الذي قد دخل الذي يسمى خادم السحر، لا يخرج إلا إذا حلت هذه العقدة، فطريقة فك السحر إذا كان نوعه مربوطاً بحله، فإذا وجد السحر يأخذ الشخص هذه العقدة ويحلها فبإذن الله، إذا قرئ على المسحور رقية بالقرآن يخرج خادم السحر من الجن هذا، فيبرأ المريض المسحور بإذن الله؛ لذلك قال الله ﷻ ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[1] لنفث الساحر في العقدة، مثل فلان يمرض ثم يعقد عليه وهكذا، وسحر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان عقداً بشعره، فاستخرج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تلك العقد وحلها، ولو شخص قرأ عل تلك العقد حين حلها المعوذات، فهو أكمل، ولو لم يقرأها لا بأس، ولو أخذ الشخص هذه العقد وأحرقها ما في بأس، ولكن الأكمل أن تحل هذا النوع الأول إذا كان معقوداً .

النوع الثاني: إذا كان السحر بالرش، فالساحر يعطي من يأتي إليه -والعياذ بالله- يقول: ضع هذا الماء أو المادة في المكان الفلاني الذي يتخطاه ذلك الرجل، المقصود بالسحر، فإذا وطئه الرجل الذي قصد بالسحر يتلبس الجن فيه، بأمر الله، وفك السحر من النوع هذا: يأخذ شخص ماء ويقرأ فيه من القرآن ثم يرشها على

---

(١) سورة الفلق: ٤.

ذلك الموضع الذي رش فيه، فينحل بإذن الله السحر، ثم يقرأ على المسحور فيخرج ذلك الخادم من الجن .

والنوع الثالث: السحر المشروب أو المأكول، فيضع الساحر -والعياذ بالله- مادة يغلب على هذه المادة من اللون البني فيوضع في مشروب من الشاي مثلاً، أو العصير وغير ذلك، فإذا شربه المسحور تلصق هذه المادة بالمعدة، ويؤمر جني معها بتأثير السحر في المسحور، فمثلاً شخص ظهره يؤلمه، يبدأ الخادم ذلك من الجني يضع ألم بأمر الله في الظهر، أو يكره وظيفته، أو ينام كثيراً، أو ألم في الرأس على حسب مقصد الذي طلب منه السحر أن يفعله.

وطريقة حل هذا السحر من النوع هذا: إخراج هذه المادة من المعدة، أسهل طريقة لإخراجها، يأخذ نبات يعرف عند العطارين باسم سنا مكي، يأخذ ولا يدق السنا مثل ورق العنب يابس، يأخذ ويغلى بالماء مثل الشاي، ثم إذا برد في الصباح يشرب منه المسحور مدة أسبوع تقريباً، يجد المسحور ألماً شديد في بطنه، ثم يبدأ ينزل مع قضاء حاجته، ومنه ما ينزل سحره من هذه المادة في أسبوع، ومنه ما ينزل في أسبوعين على مقدار ذلك السحر أو نوعه، وغالب أنواع السحر هو الشرب؛ لسهولة ضرر من قصد سحره؛ لأنه يستغفل فيشرب عصيراً، فإذا فيه سحره لا يعلم، فإذا قيل كيف أعلم أن السحر من هذا النوع أو هذا النوع أو هذا النوع؟

نقول بأمرين اثنين :

الأمر الأول : إذا الله ﷻ ألهمك وأراك رؤيا صادقة بأن السحر مثلاً في المكان الفلاني أو غير ذلك .

الأمر الثاني : بالرقية الشرعية، فإذا قرئ على المسحور قرآناً ينطق بإذن الله ذلك المسحور على لسان الجني، ويقول: السحر في المكان الفلاني، أو في بطنه، أو غير ذلك، وإذا لم ينطق مثلاً إذا كان السحر في البطن يشعر المسحور بحركة في بطنه شديدة أعلى وأسفل وفي الجانب، يتحرك البطن، الحركة هذه هي حركة خادم الجن، بسبب تأثير القراءة عليه، هذا النوع الذي يحل به السحر، وسحر هذا الزمان أشد في الغالب من ذي قبل؛ لكثرة ما يعطى الساحر من المال .

والمصنف رحمه الله ذكر النشرة، والنشرة نوع من أنواع حل السحر، لكنه في السحر الضعيف الذي يعمل، وطريقة النشرة هذه كما ذكر ابن حجر في فتح الباري: (**كان أهل الشام في عصره يستخدمونها، وهو أن يأتي بالرصاص ويذاب، ثم يوضع تحت المسحور وهو قائم، وسكب على هذا الرصاص ماء فيخرج بخار، فشدة البخار هذا الذي يخرج الشيطان الذي فيه من الجن، إذا كان السحر خفيفاً يهرب**) لكن هذه الطريقة للسحر الضعيف جداً، ولا يكاد يوجد مثل هذا النوع السحر الآن؛ لقوة السحر الذي يعمل، والمصنف ذكر نوعاً من حله بباب النشرة لكن الأصل (**باب حل السحر**) ومنه النشرة التي ذكرناه لكم هذه.

فإذا قيل لو استخدم شيئاً يحل السحر غير هذا، مثل شرب الملح إذا كان السحر خفيفاً، يستفرغ الشخص ذلك السحر، نقول: هذا جائز، فأي أمر مباح بدواء مباح يشرع، لكن لا يعلم أحد سحره بالشرب، واستخدم السنا إلا بإذن الله يزول، وحل السحر بالطريقة التي ذكرناها لكم هي الطريقة المشروعة، ولا محذور فيها، بل هي التي عملها النبي ﷺ بحل عقده .

والنوع الثاني: حل السحر بسحر مثله، وهذا لا يجوز، بل هو من الكفر بالله العظيم؛ للإتيان إلى السحرة كما سبق في الباب الماضي، وطريقة ذلك: حل السحر بسحر مثله، مثل لو أن شخصاً يكره زوجته، فيأتي إلى الساحر ويقول له: أنا أكره زوجتي، فالساحر يعمل له سحراً له يحب زوجته، فيجتمع في جسد ذلك الذي أتى إليه سحران اثنان، السحر الأول: بغض الزوجة، والسحر الثاني: حب الزوجة، فبدل أن يكون شيطان واحد، يكون فيه شيطانان فيتنازعان في هذا الرجل، فأحياناً يحبها؛ لأن هذا طغى، وأحياناً يبغضها؛ لذلك فالإتيان إلى السحرة لحل السحر، شرعاً لا يجوز؛ للأحاديث السابقة (**ليس منا من سحر أو سحر له**) وأيضاً عقلاً وواقعاً يتضرر المسحور من ذلك، فلم يبق سوى الحل الشرعي السابق، أضف إلى ما يكون من المفاسد للإتيان للسحرة من أخذ أموال الناس بالباطل، ومما قد يطلبونه منك بالكفر بالله، مثل أن يأمرك بذبح شيء من قرابين للقبر الفلاني، أو الجني الفلاني، وقد ينتهك أعراض النساء، مومنيا لهم حل السحر الذي فيهم، فالإتيان إليهم ظلمات مدلهمة، بعضها فوق بعض، والله

ﷻ أعطانا القرآن ووصفه بأنه شفاء، كما قال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] فلا يستعاض عن هذا النور للضلال والظلام .

قال ؒ : **(باب ما جاء في النشرة)** مقصد المصنف ؒ بالنشرة هنا: حل السحر عن المسحور، وسبق لكم التفصيل في منه ما هو مشروع، ومنها ما هو محرم .

(١) سورة الإسراء: ٨٢.

عن جابر : «أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة ؟ فقال : هي من عمل الشيطان » رواه أحمد بسند جيد ، وأبو داود وقال : سئل أحمد عنها ؟ فقال : ابن مسعود يكره هذا كله " .

(**عن جابر : أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة**) هنا يذكر النشرة المحرمة، وهي: أن يذهب المسحور إلى ساحر ليحل عنه سحره.

(**فقال**) فهي (**من عمل الشيطان**) يعني أمر محرم.

(**رواه أحمد بسند جيد ، وأبو داود وقال : سئل أحمد عنها ؟ فقال : ابن مسعود يكره هذا كله**) يعني يكره أن يذهب أحد إلى السحرة، وأن يسألهم حل السحر عن المسحور، والمراد الكراهة عند السلف التحريم، وسبق لكم تفصيل ذلك في الدرس الماضي .

وفي البخاري : عن قتادة : " قلت لابن المسيب : رجل به طب ، أو يؤخذ عن امرأته ؛ أيحل عنه أو ينشر؟ قال : لا بأس به ؛ إنما يريدون به الإصلاح ، أما ما ينفع ؛ فلم ينه عنه " انتهى .

هنا يذكر النشرة المباحة يعني: حل السحر عن المسحور بأمر مباح.

(**وفي البخاري : عن قتادة: قلت لابن المسيب : رجل به طب وفي البخاري : عن قتادة : "قلت لابن المسيب : رجل به طب**) يعني: مسحور.

(**أو يؤخذ عن امرأته**) أي يمنع من إتيان زوجته بالجماع بسبب السحر.

(**أيحل عنه**) يعني: هل يحل عنه السحر بفك العقد مثلاً (**أو ينشر**) باستخدام علاج النشرة الذي سبق لكم، وهو أن يأتي برصاص ثم يذاب ثم يوضع عليه ماء تحت المسحور ثم يحل عنه سحره، وأما ما ذكره بعض أهل العلم من أن دق سبع ورقات من ورق السدر في حل السحر، فهذا لا يكاد الآن ينفع في علاج حل السحر عن المسحور؛ لشدة ما يستخدم من السحر.

(**قال : لا بأس به**) يعني: لا بأس بالنشرة بالطريقة السابقة التي ذكرناها لكم المصنف، قال: (**باب ما جاء في النشرة**) التي هي نوع من حل السحر، وليست هي حل السحر، وللسحر عدة أنواع لحله سبقت لكم.

(إنما يريدون به الإصلاح) يعني: يريدون به إصلاح حال المريض بفك السحر عنه، يعني: لو قال لك شخص مسحور: هل نبحث عن العقد ونحلها أم نضع المريض على حاله بسحره؟ قال: لا بأس به أن يحل عنه السحر؛ لأن حل السحر نوع من التداوي والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول «**تداووا ولا تداووا بمحرم**» والمسحور أصابه نوع من المرض، فيسعى برفع المرض عنه؛ لذلك البخاري ﷺ بوب لباب السحر في **(كتاب المرضى)** .

(أما ما ينفع) من حل السحر وجرب ذلك **(فلم ينه عنه)** لأن النبي ﷺ قال: «**تداووا ولا تداووا بمحرم**» **(انتهى)** .

وروى عن الحسن : " لا يحل السحر إلا ساحر" .

(وروى عن الحسن) يعني روى عنه ذلك، لكن لا يصح أنه **(لا يحل السحر إلا ساحر)** فيحل السحر حتى من غير ساحر، بحمد الله بالطريقة التي ذكرت سابقا .

قال ابن القيم : " النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان :

حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن - فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور - .

والثاني: النشرة بالرقية، والتعوذات، والدعوات، والأدوية المباحة؛ فهذا جائز".

الآن يذكر قول ابن القيم في نوعي حل السحر: المباحة، والمحرم.

(**قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان: حل بسحر مثله**) يعني: يصنع سحر يضاد السحر الأول (**وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن -فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور**) يعني: بالسحر، وهذا لا يجوز سبق لكم، بل لا يجوز أصلاً الذهاب إلى السحرة، لا في حل السحر، ولا في وضع سحر جديد .

(**والثاني**) هذه (**النشرة**) المباحة (**بالرقية**) يعني بالقرآن (**والتعوذات**) المباحة مما جاء من السنة.

(**والدعوات**) من الأدعية أو الأدعية المطلقة: اللهم اشفِ فلاناً، اللهم حل سحر فلان.

(**والأدوية المباحة**) مثل التداوي بالحبة السوداء، أو بزمزم، أو بتمر عجوة،

المدينة، أو من غير ما جاء به النص، مثل: ما سبق لكم السنا مكي، فإنه يحل السحر المشروب بإذن الله **(فهذا جائز)** .

ويكون المصنف رحمه الله قد انتهى من باب النشرة .



باب
ما جاء في التطير

أي: (**باب ما جاء في**) حكم (**التطير**)، وقسمي الطيرة والتطير هو: التشاؤم، والتشاؤم إما أن يكون بأزمنة، كشهر صفر أو شوال مثلاً مما يعتقده أهل الجاهلية، أو التشاؤم بأمكنة، مثل: لو أن شخصاً حل في دار فمات له ولد، ثم ولد آخر فيتشاءم من هذه الدار، أو التشاؤم بمسموعات، مثل: لو سمع صوت طائر أو صوت باكي يبكي، مثل لو أراد شخص أن يسافر فسمع صوت طفل يبكي من أطفال الجيران مثلاً، فيتشاءم بهذا البكاء، أو تشاؤم بالمرئيات، مثل لو شخص أن يسافر فرأى غراب أسود، قال: ما أتى الغراب لما أردت السفر إلا لأنه ينبؤني على حدوث كرب لي في السفر مثلاً، هذه الطيرة يعني التشاؤم، ومن أنواع الطيرة التفاؤل، والمراد بالتفاؤل: سرور النفس بما تسمع أو ترى والطيرة .

القسم الأول : نوع من أنواع الشرك؛ لأنه يعتقد أن هذا المرئي أو المسموع أو الزمن أو المكان سبب لجلب ضر لي، أو زوال نفع حل بي، فمن كان فيه هذا الاعتقاد كانت نوعاً من أنواع الشرك، وأذن في التطير بالتفاؤل وهو سرور النفس مما تشاهده أو تسمع به، لكن لا يجوز أن الشخص يتعلق بها في إقدام على أمر أو إحجام عنه، مثلاً لو أن شخصاً مريض في المستشفى وزاره شخص اسمه **سالم**،

فلما زاره هذا الرجل، فيقول له: أعمل العملية؛ لأن هذا الاسم دفعني لعدم إجراء العملية، فهذه لا تجوز، لكن يفرح بهذا الاسم ويسر به يقول: إنشاء الله ستنجح العملية، نعم . لكن لا يعمل عملية من أجل هذا الاسم لا يجوز .

والمصنف رحمه الله عقد في هذا الباب ثمانية نصوص ساق آيتين وستة أحاديث :

الآية الأولى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾[(١)] لبيان أن النافع والضار هو الله وحده، لا طيور، ولا أزمنة، ولا أمكنة .

وساق الآية الثانية: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾[(٢)] لبيان أن الشؤم لا يأتي لا بطير ولا زمان ولا مكان، وإنما الشؤم الذي يحصل للمرء من كرب وحادث وموت هو بسبب المعاصي كما سيأتي .

ثم بعد ذلك ساق حديث «**لا عدوى ولا طيرة**» يعني تطيرتم أو لا تطيرتم فليس هناك تأثير على ما تشاهده أو تسمعه، فلا طيرة أصلاً، كل هذا من الخرافة، فلما وضع هذا الأصل بتلك النصوص، شرع بعد في بيان اسمي الطيرة، فشرع في الفأل، فساق حديث «**ويعجبني الفأل**» .

ثم بعد ذلك ساق حديثاً آخر؛ لبيان أن المشروع في الفأل هو السرور فقط

---

(١) سورة الأعراف: ١٣١ .

(٢) سورة يس: ١٩ .

والفرح، لكن لا ترد شخصاً عن أمر، أو تدفعه عن أمر، ومن حدث في قلبه شيء، فساق المصنف حديث كفارة ذلك «**اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك**» .

ثم بعد ذلك انتقل إلى الطيرة الشركية المحرمة، فبين قال: (**الطيرة شرك**) بين حكم الطيرة أنها شرك .

ثم بعد ذلك كفارة ذلك الذنب «**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**».

ثم بعد ذلك ذكر الحديث الذي يبين أن الطيرة المنهي عنها، سواء الشركية، أو في التفاؤل «**إنما الطيرة ما أمضاك ، أو ردك**» .

وبهذا الترتيب، تعلم قوة ذكاء المصنف رحمه الله ودقيق استنباطه وجمعه للنصوص، وحسن ترتيبها لها رحمه الله، وهذا الباب بتفاصيله لم يذكر المصنف من كلامه ولا حرفاً واحداً أعطاك الآيات والأحاديث، والعاقل هو الذي إذا رأى الآيات والأحاديث يسير على خطاها.

وقول الله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

يعني ما يصيبهم من خير أو شر، من نفع أو ضر هو من الله، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾[2] ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾[3] وهو سبحانه المعطي والمانع ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[4] سبحانه، فالطيرة لا تأثير لها في حدوث الحوادث، وإنما كله بيد الله .

---

(١) سورة الأعراف: ١٣١.

(٢) سورة يونس: ١٠٧.

(٣) سورة فاطر: ٢.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٣.

وقوله : ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ ﴾ الآية .

يعني من يؤذي الصالحين والأنبياء قالوا لهم: ما حل الشؤم في قريتنا إلا بسببكم: فرد عليهم أولئك ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ ﴾ يعني: سبب الشؤم هو ذنبكم وشرككم بالله ﷻ؛ لذلك لا يحل الكافر في مكان إلا ويقع فيه الشؤم، كما قال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ - يعني أصحاب الشؤم - ١٩ ﴾[1] فالذنب الذي يصاحب الكافر يوقع الشؤم في مجتمعه، فدل على أن ما يحصل من أحداث وحوادث للمرء أو الفرد هو بسبب الشؤم، لا بسبب الطيور أو الأزمنة من التشاؤم بها أو الأمكنة وغير ذلك، وأما قول النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صحيح البخاري: **(إن كان الشؤم ففي ثلاثة الدابة والفرس والدار)** فالنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: إن كان الشؤم ففي ثلاثة، يعني: لو كنا سنتشاءم بشيء في الإسلام لتشاءمنا في هذه الأمور الثلاثة، لكن لا تشاؤم في هذه الثلاثة ولا في غيرها، مثل لو شخص لو اشترى سيارة حصل له حادث، ثم مرة أخرى حصل له حادث، فيتشاءم بها، نقول: لا يجوز، هذا من التشاؤم بالمفعولات، ولو الإنسان يتوكل على الله، فقد تشترى سيارة أخرى وتموت بسببها، فليس التشاؤم لا في دابة وكذا لا في سيارة ولا في المرأة .

---

(١) سورة البلد: ١٩.

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : «لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر» أخرجاه . زاد مسلم «ولا نوء ، ولا غول ».

هنا ساق هذا الحديث؛ لبيان أن الإسلام بين لك أنه لا تأثير في التشاؤم، فما يفعل إنما هو من خرافات النفوس؛ لذلك قال: (**عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : لا عدوى**) يعني: ليس هناك شيء ينتقل بالعدوى من الجرب أو المرض بأمر الله، فالمرض لا يعدي بنفسه، وإنما الله ﷻ هو الذي يكتب ذلك هذا العدوى.

(**ولا طيرة**) هذا الشاهد، يعني: ليس هناك شيء بتأثير التطير بالتشاؤم أبدا .

(**ولا هامة**) الهامة طير البومة، كان الجاهلية يتشاءمون به، فقال النبي ﷺ لا هامة، يعني: لا تتشاءمون بالهامة، فهي طير من الطيور، لا تنفع ولا تضر، لا بمرورها ولا بفقدانها .

(**ولا صفر**) يعني: لا تشاؤم بالأزمنة من شهر صفر، وقيل: صفر دويبة صغيرة في البطن تؤثر على الشخص، فإذا شخص في الجاهلية بها قال سيموت، يتشاءمون بها فجاء الإسلام بنفي ذلك.

(**زاد مسلم ولا نوء**) يعني: ولا تشاؤم أو تفاؤل، أو تعلق بالأنواء، والمراد بالنوء: مقصده النجوم، ولا في أصل النوء هو الغروب وطلوع الآخر، لكن

المقصود بذلك النجم يعني: لا تشاؤم أو تفاؤل بالنجم، أو اعتقاد أنها سبب أو غير سبب، كما سيأتي في باب مستقل (**باب ما جاء في الاستسقاء بالنجوم**) .

(**ولا غول**) المراد بالغول: نوع من أنواع الجن، يتشاءم به أهل الجاهلية، فالنبي ﷺ قال: لا غول، ما في شيء اسمه غول يؤثر أو ينفع، وأما حديث «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**» يعني: إذا ظهرت الشياطين، فبادروا بالأذان فالحديث ضعيف .

ولهما : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «لا عدوى ، ولا طيرة ، ويعجبني الفأل ، قالوا : وما الفأل؟ قال : الكلمة الطيبة».

هنا يذكر النوع الذي أذن فيه بالسرور فقط، والفرح به من أنواع الطيرة، وهو التفاؤل، وهو الفرح والسرور، والاستبشار بما سمع .

(**ولهما : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوى ، ولا طيرة ، ويعجبني الفأل**) وهو نوع من الطيرة، فيعجبه بالفرح والسرور به، مثل: لما قدم سهيل بن عمرو في صلح الحديبية، قال النبي ﷺ (**سهل أمركم**) تفاءل، لكن لا يمضينا ما سمعناه أو يردنا، لا . وإنما نتفاءل ونفرح، مثل لو شخص مثلاً مدين، وشخص يطالبه فقابله غني وسلم عليه، فيقول إنشاء الله وجهه وجه مبارك، سيقضي عني ديني هو أو غيره، نقول: هذا سرور وفرح، لكن يترتب عليه شيء، لا .

(**قالوا : وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة**) مثل يقال: للديغ سليم، والمريض سالم، ومثل للمديون إنشاء الله أنت ستكون غني، وهكذا الكلمات الحسنة؛ لأن فيها إحسان ظن بالله ﷻ؛ ولأن فيها إدخال سرور على المسلم، وكلاهما مطلوب شرعاً إحسان الظن، وإدخال السرور على الخلق .

ولأبي داود بسند صحيح : عن عقبة بن عامر ﷺ قال : " ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال : «أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما ، فإذا رأى أحدكم ما يكره ؛ فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك».

(**ولأبي داود بسند صحيح : عن عقبة بن عامر ﷺ قال**) الصحيح عروة هنا، المصنف ﷺ جعله عقبة، لكن ليس شيء من الأحاديث عقبة، وإنما عروة في هذا الحديث (**قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال : أحسنها الفأل**) يعني: كل الطيرة لا تجوز، لكن التفاؤل والفرح بالشيء لا بأس به.

(**ولا ترد مسلما**) هذا شرط أنها لا ترد مسلماً، إذا ردته يقع الشخص بالإثم، مثل لو أن شخصاً أراد أن ينتقل من داره، فزاره رجل صالح فقال: ما دام أن زارنا هذا الرجل الصالح، فلن ننتقل من هذه الدار، سنجلس، نقول: هذا تفاؤل زيارته، لكن لما ردتك عن الانتقال من دارك أصبحت محرمة .

(**فإذا رأى أحدكم ما يكره**) يعني: مما تدفعه نفسه للمضي أو عدم المضي (**فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت**) يعني: بالخير والنفع.

(**ولا يدفع السيئات**) يعني: ما يدفع الشرور من الكروب (**إلا أنت**) فليس هناك شيء في تأثير المفعولات من التشاؤم أو التفاؤل (**ولا حول**) يعني: لا تحول

من حال إلى حال (**ولا قوة**) في ذلك التحول (**إلا بك**) الله سبحانه، فليس للطيرة شيء، وهذا كفارة من أصبح في نفسه شيء في المضي أو الرد بالتفاؤل .

وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعا : «الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » [رواه أبو داود ، والترمذي وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود] .

الآن ينتقل إلى **النوع الثاني** من أنواع الطيرة، وهي الطيرة المحرمة الشركية فقال: (**وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعا : الطيرة شرك الطيرة شرك**) يعني: الطيرة نوع من أنواع الشرك؛ لأن القلب تعلق بها باعتقاد أنها سبب السفر أو عدم السفر، الإقدام أو الأحجام، فلما تعلق القلب بغير الله أصبحت شركاً، وأما إذا كان يعتقد أنها بذاتها تنفع أو تضر، فهو شرك أكبر -والعياذ بالله-.

(**وما منا إلا**) يعني: هذا من قول ابن مسعود، وما منا إلا ويقع في قلبه شيء من ذلك، لكن لا يقدم ولا يحجم (**ولكن الله يذهبه بالتوكل**) باعتقاد أن الله هو النافع الضار سبحانه وتعالى .

[رواه أبود داود ، والترمذي وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود] الذي هو (**وما منا إلا**) من قول ابن مسعود، وليس من قول النبي عليه الصلاة والسلام.

ولأحمد : من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما : «من ردته الطيرة عن حاجته ؛ فقد أشرك، قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال : أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك ».

الآن يذكر كفارة من وقع في الطيرة الشركية، مثل: لو شخص يريد أن يسافر رأى حادث ما سافر، فكفارة ذلك (**ولأحمد : من حديث ابن عمرو** رضي الله عنهما : «**من ردته الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك**» هذا الضابط.

(**قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال : أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك**) يعني: لا يأتي بالخير إلا أنت سبحانك.

(**ولا طير إلا طيرك**) ولا يقع بنا من شر وبلاء إلا بأمرك سبحانك فهو الذي يدبر الكون.

(**ولا إله غيرك**) إعلام بالوحدانية؛ لأنه وقع في الشرك، فاعتقد أن غير الله سبب في النفع أو الضر.

وله: من حديث الفضل بن عباس ﭬ: «إنما الطيرة ما أمضاك، أو ردك».

هنا يذكر ضابط الطيرة المحرمة، سواء الطيرة الشركية، أو التي تدفع العبد أو ترده بسبب التفاؤل، فقال: (**وله : من حديث الفضل بن عباس ﭬ: إنما الطيرة ما أمضاك ، أو ردك**) هذا الضابط، كما قال النبي ﷺ (**إنما الطيرة ما أمضاك**) يعني: جعلك تقدم على الأمر الذي أقدمت عليه، أو تردك، يعني: مثل شخص ما يريد أن يسافر فرأى طيوراً كثيرة أمام بيته، فسافر، هذه أمضتك.

(**أو ردك**) رأى شخص أحوالاً من حوله فما سافر، هذه هي الطيرة المحرمة، على التفصيل السابق، إما أن تكون في الإمضاء أو الرد، وإما أن تمضي أو ترد بسبب التفاؤل على ما سبق .

ويكون المصنف ~ قد انتهى من باب الطيرة، ومنه قول بعض الناس: **خير يا طير**، هذه من ألفاظ الجاهلية، يعني: إذا مر طير يقول خير يا طير، يعني: أنت أتيت يا طير بخير، وهذا لا يجوز، من ألفاظ الطيرة الشركية، أو شخص مثلاً إذا زار أحداً أو شيء يحصل كرب له لبيته، فيقول شخص لآخر: هذا وجهه وجه غير مبارك، إذا أتى المكان أفسده، هذا ما يجوز؛ لأنه من التشاؤم، فالله هو النافع الضار، وقد يكون الشخص وحده ويموت إذا أتاه أحد أو لم يأته أحد .



باب
ما جاء في التنجيم

يعني: (**باب جاء في**) حكم (**التنجيم**) من الاعتقاد به أو تعلمه.

المراد بالتنجيم: النسبة للنجوم، وكانت العرب كثيراً تعتمد في أمرها معرفة الزمان أو دلالته على المكان بالنجوم، فلم يكن عندهم ما يتوصلون إليه إلى ذلك إلا بالنجوم، ولدقة ما خلقه الله ﷻ في الكون، بخروج الأفلاك وغيابها والسائر منها والجاري أبهرت العقول، فمن ضعف إيمانه ظن أنها هذه هي التي تدبر الكون، ولم يكن عند الأسلاف ما يعرفون به اتجاه الأمكنة أو الأزمنة في دخولها وخروجها، إلا بما في السماء من القمر في هلاله، أو بالشمس في طلوعها وغروبها، أو في النجوم والكواكب، والله ﷻ بتدبيره العظيم المتقن في الفضاء وغيره إذا خرج نجم؛ لكون الناس لا عندهم لا ساعة ولا غير الساعة، إذا خرج نجم معناه: اعلموا أيها الناس أنه سوف يأتي مثلاً الحر، فيستعدون لذلك، فيظن ضعاف النفوس أن خروج هذا النجم هو الذي يدبر الكون، هو الذي يأتي بالحر والقر، وبعضهم يظن أن هذا سبب في البرد أو الحر، والله ﷻ جعل علامة لهم، إذا رأيتم ذلك سيأتيكم الحر، فخذوا حذركم، وإذا طلع النجم الفلاني سيأتيكم برد، خذوا حذركم، والله رؤوف بعباده يعطيهم علامات؛ ليدبروا أحوالهم في

الأرض، فيفتتن بعض ضعاف الإيمان بتلك النجوم، فمنهم من عبدها من دون الله؛ لذلك الله يقول: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾[1] لما رأوا دقتها في المسير، وسرعة تحولها وتغيرها وتبدلها، وهذا خلف هذا، وهذا بجانب هذا ،تدبير لا يعلمه إلا الله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[2] فوقع من وقع في الشرك بسبب ذلك، فأنزل الله ﷻ الآيات في بيان الحكمة من خلق تلك الأمور، ولوقوع بعض الناس فيها عقد المصنف رحمه الله باباً في ذلك (**باب ما جاء في التنجيم**)، والتنجيم ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : أن يعتقد تلك الأفلاك هي التي تنفع وتضر بذاتها، هذا -والعياذ بالله- شرك أكبر، مثل: أن يعتقد أن الأقطاب السبع الكبيرة التي يعلمها أهل التنجيم في تدبير الكون، هذا شرك أكبر -والعياذ بالله-.

القسم الثاني : أن يعتقد أنها سبب في النفع والضر، لما خرج حدث لنا كذا بسبب خروجه، فهذا شرك أصغر .

القسم الثالث : أن يعتقد بأنها مخلوقة من المخلوقات، الله خلقها مثلك، جعلها الله علامة للزمان من الحر والبرد، أو معرفة النبات أو الأشجار في اللقاح وغيره، أو في تحديد المكان في معرفة الغرب من الشرق ونحو ذلك، وأن ما يحدث

---

(١) سورة فصلت: ٣٧.

(٢) سورة السجدة: ٧.

فيما وقع ليس بها، وإنما فيها يعني شخص يقول: في هذا النجم يأتينا حر، مثل لو تقول في هذا الشهر يأتينا حر، هذا لا بأس به، مثل لو تقول في هذا اليوم يأتينا حر، ولو قال لك شخص: وأنت في الحر في هذا اليوم يأتينا برد شديد، نقول: غير صحيح، فنقول: في هذا اليوم؛ لأن الله جعل هذا علامة لنا بالنجم، إن خرج فاستعدوا للحر، فجعل الله علامة فهذا لا بأس به .

وساق المصنف رحمه الله هنا بيان أولاً: قول قتادة في بيان الحكمة في خلق تلك النجوم ثلاثة، ذكرها الله في كتابه، ثم بعد ذلك ساق قول قتادة وسفيان بن عيينة بأنه لافتتان الناس، بدقة حركة النجوم، قالوا: لا يجوز تعلم النجوم لمعرفة اتجاهات ولا غيرها، قطعاً لسد ذريعة الشرك؛ لأنهم حدث في عصرهم ذلك الغلو في الكواكب، فمنعوا، ثم بعد ذلك ساق قول الإمام أحمد وإسحاق بأنه لا بأس بتعلم منازل القمر، وهو قول الجمهور كما سيأتي، وهو الصحيح، وهو قول شيخ الإسلام وابن القيم، ثم بعد ذلك ذكر الأمر الشركي في النجوم، وهو المصدق بالساحر الذي يتخذ سحره بالتنجيم كما سيأتي، فالمصنف رحمه الله ذكر الحكمة من خلقها، ثم ذكر أقوال الحكم في ذلك، ثم بعد ذلك قال: هناك استخدام للتنجيم لا يجوز .

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : " خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك؛ أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به " انتهى .

(**قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث**) يعني: لا تدبر الكون وليست سبباً في حدوث فيما يحدث في الأرض، فلا يعتقد فيها مثلاً أن من ولد في النجم الفلاني، أو في البرج الفلاني أن حاله كذا وكذا، لا .

(**زينة للسماء**) كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[1] .

(**ورجوما للشياطين**) الله ﷻ يرجم بها من شاء ممن يسترق السمع، كما قال تعالى ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[2] .

(**وعلامات يهتدى بها**) كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3] مثل بمعرفة القبلة، وفي الاتجاه شرق غرب، ويهتدى بها أيضاً في معرفة الزمان متى يأتي الحر، ومتى يأتي البرد، ومتى يثمر النخل وهكذا.

---

(١) سورة الملك: ٥.

(٢) سورة الملك: ٥.

(٣) سورة النحل: ١٦.

(**فمن تأول فيها**) يعني: فمن زاد فيها (**غير ذلك**) باعتقاد أنها سبب في النفع أو الضر، فقد (**أخطأ وأضاع نصيبه**) من الدين (**وتكلف ما لا علم له به**) يعني: إن زيتا عن تلك الأمور في الحكمة في خلق هذه النجوم فغير صحيح، مستنبطته في ذلك أو اعتقدته فيها بغير ذلك (**انتهى**) .

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل : أحمد ، وإسحاق .

هنا بسبب غلو من غلا في النجوم، قتادة وسفيان بن عيينة قالوا: حتى معرفة النجوم لتعرف الشمال من الغرب يكره لك ذلك؛ لئلا يكون وسيلة إلى اعتقاد أنها تنفع أو تضر.

(**وكره قتادة تعلم منازل القمر**) لمعرفة متى يهل الهلال ومتى لا يهل.

(**ولم يرخص ابن عيينة فيه**) كذلك ابن عيينة يرى مثل رأي قتادة رحمهم الله.

(**ذكره حرب عنهما**) والقول الثاني: أنه يجوز تعلم منازل القمر والنجوم لمعرفة ما يهتدى به.

(**ورخص في تعلم المنازل : أحمد ، وإسحاق**) يعني: الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وهو قول الجمهور، وإليه ذهب شيخ الإسلام وابن القيم .

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» [رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه] .

(**وعن أبي موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا يدخلون الجنة**) وهذا من باب الوعيد، ونصوص الوعيد تجرى على ظاهرها، وما كان منها من دون الشرك تحت المشيئة، وما كان منها ما هو شرك، فلا يغفره الله إلا بالتوبة .

(**مدمن الخمر**) يعني: المكثر من شرب الخمر لا يدخل الجنة، لكنه تحت المشيئة، يعني: الحديث لا يدخل الجنة، و يجعل الحديث على ظاهره بالترغيب، لكن نقول: هو تحت المشيئة، فإذا قيل هو لا يدخل الجنة، يعني: يتأخر دخوله إلى الجنة، لكن إن كان موحداً فمآله بالإجماع إلى الجنة .

(**وقاطع الرحم**) كما قال سبحانه: ﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴾[1] والنبي ﷺ يقول: (**لا يدخل الجنة قاطع - يعني قاطع رحم-**) وهي من الكبائر، وحكمه تحت المشيئة .

(**ومصدق بالسحر**) مما يعتقد التنجيم؛ لذلك ساقها المصنف في باب التنجيم، فمن صدق بالسحر، سواء بالتنجيم أو بغيره فهو -والعياذ بالله- كفر

---

(١) سورة محمد: ٢٢.

بالله [**رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه**].

ويكون المصنف رحمه الله قد انتهى من (**باب ما جاء في التنجيم**) يأتي إنشاء الله غدا (**باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء**) لما ذكر النجوم ذكر حكم طلب نزول المطر بطلب النجوم، أو أن سبب نزول المطر بسبب خروج نجم أو غيره.

باب
ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

يعني: باب حكم من استسقاء بالنجوم، بنسبة المطر إليها، ولم ينسبه إلى الله ﷻ ، ومن نسب نزول المطر إلى ذات النجم أو الكوكب، فهذا -والعياذ بالله- شرك أكبر، وإذا جعله سبباً في نزول المطر، أو في تدبير أي أمر من حوادث الأرض، فهو شرك أصغر؛ لأن النجوم مخلوقة مثلك، لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، في آخر الزمان تتناثر، وجعلها الله ﷻ زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها في دخول الفصول وغيرها، والمصنف رحمه الله ساق آية وحديثين في بيان أن نسبة نزول المطر بتلك النجوم أمر محرم، ساق الآية ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[(١)] أي أن نسبة إنزال المطر إلى تلك النجوم كذب.

ثم ساق بعد ذلك حديث: «**أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ... والاستسقاء بالنجوم**» يعني: أن نسبة نزول مطر إلى تلك النجوم من أعمال الجاهلية .

(١) سورة الواقعة: ٨٢.

ثم بعد ذلك ساق حديث زيد بن خالد، وبين فيه: أن ذلك كفر، فالمصنف تدرج في كذب من أعمال الجاهلية كفر كما سيأتي .

وقول الله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[(١)] .

أي: من أفعال الكفار التي ذمها الله ﷻ عليها، نسبة الرزق إلى غير الله سبحانه، وفي أول الآيات ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[(٢)].

ثم قال: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ يعني: ما ينزل من السماء من المطر.

﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ بنسبتها لله وتجعلونها منسبتة بسبب ظهور الكوكب الفلاني مثلاً، والله ﷻ يقول: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[(٣)] فهو المسد للنعم كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[(٤)].

---

(١) سورة الواقعة: ٨٢.

(٢) سورة الواقعة: ٧٥.

(٣) سورة النحل: ٥٣.

(٤) سورة الذاريات: ٥٨.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة ، وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب » رواه مسلم .

الآن يذكر أن نسبة النجوم من أعمال الجاهلية (**وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن**) يعني: أربع خصال في هذه الأمة لا تزول عنها، ولا يلزم من ذلك أن تكون الأمة مطبقة عليها، بل قد تزيد وتنقص تلك الخصال في أفرادها، وقال: إنها من أمور الجاهلية؛ لبيان أن هذا ليس من الإسلام في شيء، وسيق بلفظ الجاهلية لتغير النفوس منه، يعني: ليس مبنياً على علم وإنما عن جهل .

(**الفخر بالأحساب**) من الآباء والأعمال ونحو ذلك، فيفخر بحسبه وجاهه وماله وما أعطاه الله ﷻ ، وهذا من أعمال الجاهلية، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: (**بحسب امري من الشر أن يحقر أخاه المسلم**) فالفخر في الأحساب فيه احتقار لغيرك، والمسلم يتواضع للجميع، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أتاه الله ما أتاه من الفضائل، كما قال عنه سبحانه: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[1]

---

(١) سورة النساء: ١١٣.

وصعد إلى السماء السابعة، ومع ذلك يتواضع لخلقه، وينام على الحصير، ويأكل التمر، ويربط بطنه من الجوع وهكذا .

(والطعن في الأنساب) يعني: احتقار أنساب الآخرين، يقال: فلان من النسب الفلاني، يعني الرديء وهكذا، والله يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] ورفع الله ﷻ بالتقوى من ليس ذا نسب، فبلال عبد حبشي، وهو من الصحابة والله ﷻ وعد جميع الصحابة بالجنة، وسلمان أعجمي، ووعده الله بالجنة، وأبو طالب وأبو لهب من قريش هما في النار، فلا ينفع نسب بلا عمل، وفي صحيح مسلم: **(من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)** وفرعون أوتي ما أوتي من السلطان، وقارون أوتي ما أوتي من المال ومع ذلك الله يقول: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[2]، وكما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أشكالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» .

(والاستسقاء بالنجوم) هذا الشاهد يعني: نسبة نزول المطر إلى النجوم، لكن الإخبار بنزول المطر في النجم الفلاني لا بأس به، مثلاً: لو قال شخص في الساعة العاشرة نزل المطر، أو أتوقع أن ينزل المطر، هذا ما فيه بأس، لكن لو قال شخص: بسبب الساعة العاشرة نزل المطر، نقول: لا . الله ﷻ هو الذي ينزل

---

(١) سورة الحجرات: ١٣ .

(٢) سورة هود: ٩٨.

الغيث .

(والنياحة) يعني: رفع الصوت على الميت من أعمال الجاهلية، وإذا صاحب ذلك أمراً منكراً فوق رفع الصوت، تزاد العقوبة فيه، مثل: شق الجيوب أو حلق الرأس ونحو ذلك.

(وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال) يعني: مثل الثوب -والعياذ بالله- **(من قطران)** من نحاس، وقال: من قطران؛ لأن أشد المعادن في جذب الحرارة هو النحاس، وتلبسها تلك النائحة جزاء لشقها لجيبها النوح **(ودرع)** فوق ذلك السربال **(من جرب)** يعني: من لبسه يصيبه حكة كالجرب.

(رواه مسلم) فدل على تحريم نسبة النعم إلى غير الله وحده سبحانه .

ولهما : عن زيد بن خالد ﷺ قال: «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف؛ أقبل على الناس ، فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم؟! قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب. وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب ».

(**ولهما : عن زيد بن خالد ﷺ قال : صلى لنا رسول الله ﷺ**) يعني: صلى بنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**صلاة الصبح بالحديبية**) الذي حصل فيه صلح الحديبية هو الفتح المبين، والحديبية تقع غرب مكة عند بوابتها الغربية، يسمى: الشميسي الآن.

(**على إثر سماء كانت من الليل**) يعني: صلى بنا النبي ﷺ الصبح بعد أن نزل مطر بالليل.

(**فلما انصرف**) يعني: لما قضى صلاته والتفت إلى صحابته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**أقبل على الناس**) بوجهه (**فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم؟!**) هذا يدل على أن الله ﷻ يتكلم.

(**قالوا : الله ورسوله أعلم**) هذا يدل أدب الصحابة ﷺ حيث أنهم لا يتكلمون بأمر لا يعلمونه، و (**قالوا الله ورسوله أعلم**) وإذا كان النبي

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ميتاً لا يجوز أن يقال الله ورسوله أعلم؛ لموت النبي ﷺ وإنما يقال الله أعلم .

(**قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر**) يعني: لما نزل المطر انقسم الناس إلى فريقين، منهم من كان مؤمناً، ومنهم من كفر، ويدل على كل نعمة تنزل أو تحدث للناس فتنة، فقطرات من المطر فتنت ناساً وأدخلتهم في كفر، ومنهم من زاد إيمانه بها، ويدل على أن الشخص لا يأمن على نفسه من التحول من إسلام إلى كفر، أو من كفر إلى إسلام، وكما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**يصبح الرجل مسلما ويمسي كافرا**) فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء على الثبات على هذا الدين .

(**فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته**) يعني: نسب نزول المطر إلى الله وحده (**فذلك مؤمن بي**) لأنه نسبة النعمة إلى الله ﷻ (**كافر بالكوكب**) يعني: لم ينسبه إلى الكوكب، وهكذا كل نعمة تنسب إلى الله، وإن كان هناك سبب فالله ﷻ هو الذي خلق السبب وإياه .

(**وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا**) يعني: نسب النعم إلى غير الله من المطر (**فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**) والكفر هنا دون الكفر، إذا كان يعتقد أنه سبب فليس كفراً مخرجاً من الملة، وإنما كفر دون كفر .

ولهما : من حديث ابن عباس ﵄ : معناه ، وفيه : " قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ؛ فأنزل الله هذه الآية ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ إلى قوله : ﴿تُكَذِّبُونَ﴾[1] .

(**ولهما : من حديث ابن عباس ﵄ : معناه ، وفيه : قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا**) يعني: صدق بعضهم بعضا: صحيح ما خرج ذلك الكوكب حصل المطر، فنسبوا المطر لذلك (**فأنزل الله هذه الآية** ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ **إلى قوله** : ﴿تُكَذِّبُونَ﴾) بأن الله ﷻ هو الذي أنزل ذلك المطر ونسبتموها إلى غير الله .

---

(١) سورة الواقعة: ٧٥-٨٢.

باب قول الله تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[١]

المصنف رحمه الله يذكر هنا ركن من أركان العبادة وهي المحبة، فأركانها ثلاثة: المحبة والرجاء والخوف . هنا يذكر المحبة والمحبة تنقسم إلى أقسام :

القسم الأول : المحبة المختصة المستلزمة للذل والطاعة والانقياد، وهذه محبة شركية، مثال ذلك: لو أن شخصاً يحب رجلاً حباً جماً، أو امرأة، فأراد أن يصلي، فقالت له تلك المرأة: لا تصلي، فأطاعها حباً فيها، هذا -والعياذ بالله- شرك أكبر . وساق المصنف رحمه هذا الباب لبيان قسم من أقسامه .

القسم الثاني : محبة جبلية، مثل: محبة الشخص للماء البارد مثلاً، أو للراحة والسكون، فهذه محبة لا شيء فيها، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء**» .

القسم الثالث : محبة فيها إجلال وتقدير، مثل: محبة الوالد لولده، أو محبة الأم لولدها، محبة إجلال ورحمة، فهذه لا محظور فيها، إنما المحظور أن تزاحم محبة الله عز وجل مع محبة غيره في فعل محرم، أو ترك واجب، هذه المحبة الشركية .

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥ .

والمصنف رحمه الله ساق نصوصاً في ذلك النص الأول، وهو آية الباب: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[1] ساق الآية الأولى لبيان أن المحبة المختصة عبادة وأن صرفها لغير الله شرك ومؤدي إلى النار كما قال سبحانه في آخر الآيات ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[2] .

ثم ساق الآية الثانية ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[3] لبيان وجوب آثار محبة الله ورسوله على محبة غيره، من هذه الثمانية وغيرها.

ثم بعد ذكر حديث: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)** لبيان أن محبة النبي ﷺ يجب أن تكون فوق كل محبة من الأولاد والوالد ومن جميع الناس .

ثم بعد ذلك ساق حديث: أن من حقق محبة الله ورسوله ذاق حلاوة الإيمان. ثم النص الخامس لن يجد أحد طعم الإيمان حتى يحقق تلك المحبة .

ثم بعد ذلك ذكر النص السادس: في أن من حقق ثمرات المحبة من الولاء والبراء والحب في الله والبغض في الله نال ولاية الله، يعني: نال مرتبة عظيمة يأيد

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة: ١٦٧.

(٣) سورة التوبة: ٢٤.

العبد فيها من الله ﷻ؛ لذلك قال: (**من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله، وعادى في الله ؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك**) لذلك قال:

باب قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ يعني: يتخذون مع الله نظراء في المحبة، سواء من أصحاب القبور من الأنبياء، أو الأولياء يحبهم، والمراد بهذه المحبة لحبه لصاحب الميت، لو حلفته به ما يحلف على كذب، نقول: هذه -والعياذ بالله- محبة شركية ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ الله ﷻ أخبر بأنهم يحبون الله، لكن لما كانوا يحبون مع الله غيره، أشركوا؛ لأن هذه المحبة يجب أن تكون لله وحده سبحانه الله، قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ من محبة أولئك لأندادهم، فدل على أنها عبادة لا تصرف إلا لله وحده سبحانه، وكيف لا يحب الله وهو الذي خلقك ورزقك، وفرج كربك ويسر أمرك، ويحفظك في منامك وفي يقظتك، ويهبك من الذرية ما شاء، وإن آمنت به أعطاك في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيحب سبحانه وتعالى .

وقوله : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ **إلى قوله :** ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[1].

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ يعني: يجب أن تكون محبة الله مقدمة على محبة أولئك، فمثلاً: لو دخل وقت الصلاة وشخص لم يصلِّ؛ محبة في البيع والشراء والمال، نقول: -والعياذ بالله- وقع في المحبة المحظورة، وكذا إذا كانت محبة الولد تصرفك عن طاعة الله، مثل لو قال لك ابنك: لماذا ما تشرب الخمر أو تسرق؟ فيقول: لا أريد أن أشربها ولكن أشربها محبة فيك. هذه المحبة الشركية، وإذا كانت تؤدي إلى شيء من الخلل، لكن ليس محبة شركية يقع الإثم بقدر تلك المحبة التي صرفت لغير الله .

---

(١) سورة التوبة: ٢٤.

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين» أخرجاه.

(**عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: لا يؤمن أحدكم**) يعني: لا يؤمن أحدكم الإيمان الكامل (**حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**) يعني يجب أن تكون محبة الرسول ﷺ فوق كل محبة، وأحب الناس إلى الرجل الولد والوالد، فقدم الولد والوالد، ثم بعد ذلك الناس، فإذا أمرت بأمر تقدم ذلك الأمر على محبة الولد والوالد، فمثلاً: شخص في الإسلام ووالده غير مسلم، فقال له والده: دع عنك الدين وألحق بديننا، فأطاعه محبة في والده، هذه المحبة الشركية -والعياذ بالله-، ويجب أن يحب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فوق تلك المحاب، وكيف لا يحب عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو الذي عاش في الحياة من الكرب ما لم يعشها أحد، ولذلك كان يقول لعائشة رضي الله عنها: (**يا عائشة! لقد أؤذيت من قومك ما أؤذيت**) وحوصر في الشعب، واختفى في الغار، وسعى قومه إلى قتله فهرب منهم وهاجر، ولما هاجر وترك وطنه وهو ناشئ على اليتم لحقه في البلد الذي فر منه وقاتلوه، لم يدعوه ولم يدعو أمراً نفسياً إلا فعله، من الاستهزاء به والسخرية والطعن فيه، بل حتى بإنجابه من أولاده وموتهم، ومع ذلك يبلغ البلاغ المبين، ويصبر نصحاً لهذه الأمة ورأفة بها وشفعاً بحالها، بألا يتخبطها الشيطان، فواجب

علينا محبة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصدق محبته في اتباعه ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] .

وإذا رأيت رجلا مطيعاً للنبي ﷺ فاعلم أنه يحبه، ولو لم يتلفظ بلسانه، وإذا رأيت رجلاً يعصي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد أخل بشيء من شهادته بأنه محمداً رسول الله، على قدر ذلك العصيان، ولو ادعى بلسانه أنه يحب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لذلك من محبة الصحابة للنبي ﷺ ترك أوطانهم من أجلهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، ولحقوا به وقدموا نفوسهم رخيصة بين يديه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، ونثر أبوبكر ماله أمامه في الهجرة، وعمر أتى بنصف ماله، فبذله له المال والأرواح والأولاد .

(١) سورة آل عمران: ٣١.

ولهما : عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاث من كن فيه ؛ وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار» .

وفي رواية : «**لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ...** » إلى آخره .

(**ولهما : عنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه ؛ وجد حلاوة الإيمان**) يعني: تكون فيما حقق تلك الخصال الثلاث، وهذه الحلاوة يجدها من حقق تلك الأمور .

(**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**) يعني: يقدم محبة الله ورسوله على جميع المحاب، فإذا أديت تلك العبادة، وهي المحبة وتركت عنك طاعة الناس وهم يعصون الله، وأطعت الله عز وجل ينال المرء حلاوة الإيمان .

(**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**) يعني: تكون محبتك للشخص لله، وضابط المحبة التي في الله للأشخاص: ألا تزيد بالعطاء، ولا تنقص بالجفاء، يعني: سواء مدحك أو ذمك أنت تحبه لله، فلا يكون إذا مدحك تزيد محبتك له، أو تنقص محبتك له إذا ذمك، فإذا كانت محبتك له لله لا يؤثر فيها شيء من حظوظ الدنيا، هنا ينال المرء حلاوة الإيمان، إذا حقق تلك الخصلة مع بقية الخصلتين .

(**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه**) يعني: يفرح بالإسلام

ويكره أن يعود في الكفر بعد إذ نجاه الله ﷻ ، ويقول: الحمد لله أنا على الإيمان والإسلام.

(كما يكره أن يقذف في النار) يعني: كما يكره أن يقذف الرجل في النار ويهرب منها، كذلك يفرح الشخص بالإيمان ويهرب من الكفر، وهو استشعار نعمة الإسلام على المرء، وكراهة ملة غير الإسلام .

فمن حقق هذه الأمور الثلاثة، وجد حلاوة الإيمان، والشاهد: **(أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)** يعني: لو حقق أي أمر من الطاعات يثاب، لكن يجد طعم الإيمان إذا حقق تلك الأمور، ومنها تقديم محاب الله على محاب الناس .

(وفي رواية : لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ... إلى آخره) يعني: نفي أن يجد المرء إلا إذا حقق تلك الثلاثة، يعني الحديث الأول : **(ثلاث من كن فيه؛ وجد حلاوة الإيمان)** ثم الحديث الثاني: نفي لا يجد عبد طعم الإيمان؛ حتى يحقق تلك الأمور .

وعن ابن عباس ﭬ قال : " من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ؛ فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان – وإن كثرت صلاته وصومه – حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً " رواه ابن جرير .

هنا يذكر من حقق ثمرات محبة الله ﻷ ينال نصرة الله، والدفاع عنه، وتأييد الله له (**وعن ابن عباس ﭬ قال : من أحب في الله**) أحب أشخاص الطائعين وأحب الطاعة، وهي من ثمرات محبة الله ﻷ .

(**وأبغض في الله**) يعني: أبغض من يعصي الله، وأبغض المعصية؛ محبة في الله ﻷ ؛ لأن الله يبغض المعصية وأهلها، فأنت تبغض المعصية وأهلها.

(**ووالى في الله**) يعني: الولاء يعني تنصر وتحب عباد الله المؤمنين.

(**وعادى في الله**) وتعادي أهل المعاصي.

(**فإنما تنال ولاية الله بذلك**) ولاية الله لا تنال إلا إذا حققت تلك الأمور التي أثمرت محبة الله، فالله يؤيد العبد وينصره، ويوفقه ويسدده، إذا حقق ثمرات المحبة، من الحب في الله، والبغض في الله، والولاء والبراء.

(**ولن يجد عبد طعم الإيمان – وإن كثرت صلاته وصومه – حتى يكون**

كذلك) لن يجد طعم الإيمان؛ إلا إذا حقق المحبة، وعادى في الله بالبراء مما يفعله، وبالبراة منه.

(وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا) يعني: ابن عباس يقول: **(وقد صارت عامة مؤاخاة الناس)** يعني: أصبح أكثر علاقات الناس بعضهم ببعض **(على أمر الدنيا)** يعني: من أجل الدنيا، وابن عباس مما طال عمره، فقال ذلك بعد وفاة الخلفاء الراشدين، فأصبح أنباد عصرهم محبتهم، يقول ابن عباس من أجل الدنيا، فإذا كان هذا في عصر القرون المفضلة، فما ظنك بمن بعدهم ممن تهافت على الدنيا، وضعف الإيمان في قلوبهم، وحسنت ألسنتهم وقلوبهم على غير ظاهر ألسنتهم.

(وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) يعني: هذا يضرهم، يعني: أي أن المحبة من أجل المصلحة لا تنفعك بل تضرك، ومن أحب في الله محبته تبقى؛ لأن الله ﷻ باق، ومن أحب من أجل شيء دنيوي يزول بزواله، فتلك محبة غير ثابتة، وغير صادقة .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ ؛ قال : المودة .

يعني: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ في تفسير آيات الآية الأولى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ إلى ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ .

يعني: ﴿وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ﴾ المودة: فلم يحبوا الله ﷻ وحده: وإنما جعلوا حبهم لغير الله وهي المحبة الشركية .



باب قول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

ساق المصنف رحمه الله لبيان ركن ثاني من أركان العبادة، وهو الخوف من الله عز وجل ، والخوف ينقسم أقسام:

القسم الأول : الخوف من الله وحده، بأن تعتقد بأنه قادر على عقابك إن عصيته، فأنت تخشى عقابه، وهذا الخوف عبادة، يؤجر الشخص عليه .

القسم الثاني : خوف من غير الله عز وجل، بأن يعتقد على ضرك وإنزال المصائب والكوارث بك، مثل ما يعتقده عباد الأوثان، يعتقد إذا لم يزر الضريح الفلاني، فإنه يغضب عليه ويميت أحد أولاده، أو تحدث له من الكروب ما تحصل، وهذا -والعياذ بالله- شرك أكبر، وهو الذي يسمى خوف السر، يعني: الخوف في الباطن، وهذا يقع كثيراً عند عباد القبور، ومن ذلك لو استحلفته كاذباً بمن يعبده من دون الله من أهل القبور، ما يحلف؛ لأنه يخشى أن صاحب القبر يعاقبه وينزل به مصيبة، وهذا شرك أكبر -والعياذ بالله- .

القسم الثالث : أن يفعل شخص محرماً أو يدع واجباً؛ خوفا من أن يتسبب أحد في ضره، مثل: أن يدع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يخاف من أحد أن

يضره، وهذا خوف محرم .

القسم الرابع : الخوف الطبيعي الذي لا يأثم الشخص عليه، مثل: خوف الشخص من الأسد، أو من العدو، هذا لا يؤثم، قال سبحانه عن موسى ﴿ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ ﴾[(١)] فلا يأثم الشخص على ذلك، والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خاف من كفار قريش واختفى في الغار، وهذا لا يلام عليه العبد؛ لأنه من طبيعة البشر.

والمصنف رحمه الله هنا ساق نصوصاً في باب الخوف . النص الأول الذي بوب عليه المصنف وهو قوله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[(٢)] أي الشاهد ﴿ وَخَافُونِ ﴾ أي: أن الخوف نوع من العبادة، لا يخلص إلا لله وحده بأن يعتقد أن النافع الضار هو الله وحده سبحانه، كما قال جلا وعلا: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾[(٣)] .

ثم بعد ذلك قال ساق ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴾[(٤)] لبيان أن من خصال عمار المساجد العابدين بالطاعة أنهم يخافون الله، فأثني عليهم بأنهم يؤدون

---

(١) سورة القصص: ٢١.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٣) سورة يونس: ١٠٧.

(٤) سورة التوبة: ١٨.

عبادة، وهي الخوف من الله .

ثم بعد ذلك ساق: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[1] وهي أن من ترك شيئاً خوفاً من الناس، فهو مذموم .

ثم بعد ذلك ساق حديث: أن من ضعف الإيمان أن تترك شيئاً خوفاً من الناس (**إن من ضعف اليقين ... إلى آخره**).

ثم بعد ذلك ساق حديث أن من عقوبة من ترك شيئاً من أجل الخوف من الله، فإنه يعاقب بأن يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس .

باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وهذه نزلت بعد أن انصرف من غزوة أحد؛ لما لحق المسلمين بالمشركين إلى حمراء الأسد، بدوا يخوفنهم، فالله قال ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ** ﴾ اصرفوا هذه العبادة لي ﴿ **إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ دل على أن الشخص لا يكون مؤمناً إلا إذا صرف الخوف لله وحده .

---

(١) سورة العنكبوت: ١٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٥.

وقوله : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1] **الآية.**

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ و المراد بالعمارة هنا ليست عمارة البنيان فحسب، وإنما عمارتها بالطاعة، من أداء الصلوات وتلاوة القرآن، أو نشر العلم وهكذا، فالله قال: الذين يعمرون مساجد الله هم يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخشون إلا الله؛ لذلك قال: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الخشية أخص من الخوف، وهي خاصة بالعلماء، يعني: لا يصل إلى هذه المرتبة إلى العلماء؛ لذلك الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2] . فإذا قيل: لماذا غير العلماء لا يصلون إلى غير هذه المرتبة؟ نقول: لأن العلماء هم أشد الناس معرفة بالله ﷻ، فيعظمون الله حق تعظيمه، فيحصل في قلوبهم من الخشية لله ما لا يحصل لغيرهم، لذلك قال: ﴿فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ يعني: يا أيها الناس كونوا مع أولئك المثنى عليهم، واجعلوا خوفكم بالله وحده .

---

(١) سورة التوبة: ١٨.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[1] **الآية.**

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ ﴾ حصلت له فتنة ومحنة ﴿ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ ﴾ يعني: جعل ما حصل له من ابتلاء الناس له مثل من ذمه أو القدح فيه، يفر من الطاعة خوفاً من أولئك الذين ذموه أو وقعوا له مصيبة، يفر عن الطاعة إلى أولئك لئلا يضره، كما يفر﴿ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ كما يفر الطائع من عذاب الله، لكن شتان بينهما، الطائع يفر من أذية الخلق السهلة خوفاً من عذاب شديد، وهذا يفر من العذاب الشديد، ويركن إلى العذاب الخفيف من أذية الناس له.

يعني: معنى الآية أن بعض الناس يترك ما أمر الله ﷻ به؛ لأنه أوذي، ويترك الطاعة ويفر إلى المعصية، كما يفر الطائع من المعصية إلى الطاعة؛ خوفاً من الله ﷻ.
الشاهد من الآية: أن الله ذم من يترك ما أمره الله ﷻ خوفاً من الناس لذلك ذم .

---

(١) سورة العنكبوت: ١٠.

عن أبي سعيد ﷺ مرفوعا : «إن من ضعف اليقين : أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ؛ إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره».

لا زال المصنف ﷺ يذكر بقية النصوص في باب قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ﴾[1] أي: باب الخوف، وهنا في حديث أبي سعيد يذكر أن من ضعف الإيمان الخوف من غير الله ﷻ من أجل أن يفعل طاعة، أو أن يترك المعصية؛ لذلك قال: (**عن أبي سعيد** ﷺ **مرفوعاً: إن من ضعف اليقين**) أي من ضعف الإيمان.

(**أن ترضي الناس بسخط الله**) يعني: خوفاً من الناس، فتفعل المعصية خوفا من الناس أو تدع واجبا من أجل الناس هذا والعياذ بالله من ضعف الإيمان .

(**وأن تحمدهم على رزق الله**) يعني: تثني عليهم من أجل أعطوك شيئاً من الدنيا، يعني: إذا كانت محبتك لهم من أجل الدنيا، فهذا من ضعف الإيمان، والأصل أن تكون المحبة بينك وبين غيرك خالصة لوجه الله .

(**وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله**) يعني: تقع في عرضهم من أجل أنهم

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٥ .

منعوك شيئاً من أمر الدنيا، سواء كانوا أعطوك إياها ثم منعوك منها أو منعوك منها ابتداء، فدل ذمك لهم ليس لله وهذا من الإيمان .

(**إن رزق الله لا يجره حرص حريص**) يعني: لا تتعلق بالبشر، فلا تمدحهم من أجل رزق من الدنيا، ولا تذمهم من أجل الدنيا؛ لأن رزق الله محفوظ لك، فهو وسيلة فقط يوصلونها إليك، فهو الله ﷻ قسم وكتب ويوصل الرزق إليك، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**إن الله ﷻ يقول لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم ...» إلى أن قال «واعلم أن الأمة لو أجمعت على أن يضرك بشيء لم يضرك بشيء إلا بشيء قد كب الله عليك**».

(**ولا يرده كراهية كاره**) يعني: لو أن شخصاً كره أن يأتيك رزق الله ﷻ أن يأتيك رزق الله ﷻ فكراهيته وبذله لأسباب المنع عنك، إذا كتب الله أن يوصلها لك تصل الله ﷻ يقول: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[1] إذا فتح لك باب رزق لا أحد يستطيع أن يغلقه عنك، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دُبر كل صلاة مفروضة يقول: (**اللهم لا مانع لما أعطيت**) فلا أحد يمنع ما كتب الله ﷻ من رزق لك، ولهذا الرزق لك مضمون، وليس عليك في هذه الدنيا سوى عبادة الله وحده سبحانه، فلا تشغل همك بالرزق، فالله ﷻ رزق الجنين في بطن أمه، ويرزق الحيتان في قاع البحار، ويرزق النمل في ظلماء الجحور، ويرزق من شاء من

---

(١) سورة فاطر: ٢.

الطيور في الفضاء، فرزقه سبحانه واسع، هو الذي تكفل به، وهو الغني الكريم ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1] بل حتى الكافر ضمن الله ﷻ رزقه له وهو على الكفر .

(١) سورة هود: ٦.

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : «من التمس رضى الله بسخط الناس ؛ رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله ؛ سخط الله عليه ، وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان في صحيحه .

هنا يذكر عقوبة من أرضى الناس بمعصية الله، فقال: (**وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال: من التمس رضى الله بسخط الناس**) يعني: هنا إذا فعلت طاعة، ولو سخط عليك الناس الله يرضى عنك، ويرضي عنك الناس (**رضي الله عنه ، وأرضى عنه الناس**) لأنك فعلت الطاعة، وإذا فعلت الطاعة، بيد الله قلوب البشر، فيقلب قلوب البشر من بغضهم لك إلى محبتهم لك، قال: سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[1] يعني: محبة فمن يعمل صالحاً يحبه الناس، حتى صاحب المعصية يقذف الله ﷻ في قلبه صحب ذلك الرجل الصالح .

(**ومن التمس رضى الناس بسخط الله**) هنا الشاهد، هذه عقوبة من عصى الله ﷻ من أجل أن يرضى عنه الناس، أو من أجل أن يمدحوا عقله، بأنه لا يحب أن يثير أمراً بين الناس، ونحو ذلك، فعقوبته معجلة في الدنيا.

(**سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس**) الله يسخط عليه ويسخط عليه الناس.

---

(١) سورة مريم: ٩٦.

قال شيخ الإسلام: (**من لم يأمر الناس بالحق أمره بالباطل**) وهكذا من لم يقم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الناس يستخف به الناس؛ لأنه فرط في طاعة الله، وإقامة هذه الشعيرة، ومن أطاع الله ﷻ بإقامة هذه الشعيرة، يحبه الناس ويحبه قبل ذلك رب العالمين [**رواه ابن حبان في صحيحه**].

فتبين مما سبق: أن الخوف يصرف لله وحده، فهو عبادة، وأن من صرف شيئاً منه لغير الله من الخوف القلبي من غيره لله ﷻ فهو من الشرك الأكبر، وإن اعتقد أنهم سبب في نفعه وضره، واعتمد على ذلك السبب، فهو شرك أصغر، وأن من ضعف الإيمان أن تدع ما أمرك الله ﷻ به خوفاً من الناس، ثم بعد ذكر عقوبة من فعل ذلك .



باب قول الله عز وجل

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[(١)]

يذكر في هذا الباب التوكل والتوكل ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : أن يفوض العبد قلبه وأموره إلى غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من الأموات والأولياء والأحجار والأصنام وغير ذلك، وهذا شرك أكبر، مثل: لو أن شخصاً تقول له: توكل على الله وادعه أن يفرج كربتك، يقول: لا . أنا ذهبت إلى القبر الفلاني وهو يقضي حاجتي، هذا -والعياذ بالله- شرك أكبر .

القسم الثاني : أن يتوكل الشخص على الله ﷻ، لكن يعتمد على الأسباب في أنها سبب كبير في جلب النفع أو الضر، واعتماده على الأسباب هذه، فيما يسعى بها إليك، وهذا شرك أصغر، يعني: مثال ذلك لو أن شخصاً طلب من إنسان أمراً دنيوياً كوظيفة، ثم يذهب إلى من بيده الوظيفة ويقول له: أنا أريد وظيفة، فيقول: سوف أحققها لك، ثم يعتمد بقلبه على ذلك الشخص في تحقيق ذلك الأمر، والأصل تفويض الأمر إلى الله، وهذا شخص سبب قد ينفعوك وقد يضروك .

القسم الثالث : أن يتوكل الشخص على الله ﷻ ويفوض أموره إليه، ويفعل

---

(١) سورة المائدة: ٢٣.

السبب المباح، لكن لا يعتمد على ذلك السبب، وهذا هو الواجب .

ويدلك لذلك أن السبب قد ينفع وقد يتخلف، فمثلاً: تجد اثنين مريضين بمرض واحد هذا يشفى بالسبب بهذا الدواء، والآخر نفس الدواء ونفس المرض لا يشفى، بل قد يموت الإنسان، لا يعتمد على السبب، وإنما يتوكل على وحده، فإذا قال شخص: أنا أتوكل على الله ﷻ وأدع الأسباب، نقول: هذا من نقص العقل، فلا بد من فعل السبب، لكن لا تركن إليه، فمثلاً لو شخص قال: أنا أريد أولاد، لكن لن أتزوج، نقول: هذا من نقص العقل وهكذا، والواجب أن يفوض الأمر إلى الله ﷻ، ويفعل السبب المباح .

والمصنف رحمه الله هنا قال: **باب قول الله عز وجل** ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ ﴾ التوكل: هو تفويض الأمر واللجوء إلى الله ﷻ ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ساق المصنف رأس هذه الآية وجعلها لرأس الباب؛ لبيان أن التوكل عبادة، وصرفه لغير الله ﷻ ليس من الإيمان؛ لذلك قال:﴿ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ فمن لم يتوكل الله لم يكن مؤمناً، فمن شرط الإيمان التوكل عليه سبحانه، ولو أن الشخص فعل السبب لكنه لم يتوكل عليه سبحانه، نقول: ليس هذا من الإيمان، بل تفعل السبب. مثلاً: يتزوج الشخص ويقول: ربي ارزقني ذرية صالحة، فيجب أن تعتمد على الله، وتفوض أمرك إليه.

ثم بعد ذلك ساق المصنف الآية التي بعدها فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ

إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[1] يعني: أن من صفات أهل الإيمان التوكل على الله؛ لذلك مدحهم الله .

ثم بعد ذلك قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ساقها؛ لبيان أن التوكل واجب، ويصرف لله وحده .

ثم بعد ذلك ذكر ثمرة التوكل عليه وهي: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[3] يكفيهم الله سبحانه .

ثم بعد ذلك ذكر كلمة التفويض العظيمة وهي: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ والعاقبة الحميدة لمن قال كلمة التفويض: ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ .

---

(١) سورة الأنفال: ٢.

(٢) سورة الأنفال: ٦٤.

(٣) سورة الطلاق: ٣.

وقوله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[1] الآية .

يعني: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الذي يحبهم الله ﷻ ويمدحهم.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ سواء بتلاوة القرآن، أو بما في الأحاديث التي تذكر بالله، أو بما في آيته، مثل زيارة القبور، أو التفكر في المخلوقات.

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ يعني: تليت عليهم آيات القرآن.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ هذا الشاهد فمن صفات المؤمنين أنهم يتوكلون على الله ﷻ ، يعني: من صفات المؤمنين أنهم يحققون تلك العبادة .

---

(١) سورة الأنفال: ٢.

وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: الله كافيك.

﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الله أيضاً كافي من اتبعك من المؤمنين، فإذا كان الله كافيك أنت ومن معك من المؤمنين، فيجب أن تتوكلوا عليه وحده سبحانه؛ لأنه هو الذي يقضي الحاجات، ويفرج الكربات سبحانه، وما خاب من توكل عليه سبحانه.

---

(١) سورة الأنفال: ٦٤.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾.

هنا ثمرة التوكل ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ يعني: من يفوض أموره إلى الله ﷻ يكفيه الله أموره، وهذا وعد من الله عظيم، فمن يلقي بنفسه وبكليته على الله، الله يتولى أموره، يونس عليه السلام في ظلمات البحر ولا عنده أحد، بل لا يسمع صوته أحد، أخرجه من بطن الحوت إلى البر؛ لأنه توكل عليه، والتجأ إليه بالتوحيد ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾[1] وكم نصر الله ﷻ رسله وأنبياءه وأتباعه لما فوضوا أمرهم إليه، ففي بدر، القوتين غير متكافئتين ثلاثمئة وسبعمئة، وليس معهم العدة، هنا فرسان، وهناك سبعون فرساً، ومع ذلك انتصر أولئك القلة على أولئك الكثرة، وأنزل الله ﷻ جنود من السماء لنصرتهم؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾[2] وهكذا في النصر العظيم الكبير من الله ﷻ لرسله وغيرهم.

---

(١) سورة الأنبياء: ٨٧.

(٢) سورة المدثر: ٣١.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾؛ قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ الآية" [رواه البخاري].

هنا يذكر فضل كلمة التفويض والالتجاء إلى الله: ويبين لك ما الذي فعلته تلك الكلمة العظيمة ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ يعني: الشخص يظهر تلك العبادة باللفظ، يعني: يظهر عبادة التوكل باللفظ ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ يعني: يا رب أنت تكفيني أموري، وأنت نعم الموكول إليه في تفريج الكربات، وإذا أظهر الشخص هذا التلفظ بلسانه قد يواطئ ذلك ما في قلبه، والله وعد من توكل عليه يقضي حاجاته؛ لذلك قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ **قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار)** لما ألقوه في النار، جميع أسباب الهلاك والاحتراق متوفرة، نار مضرمة، وإبراهيم مقيد، ولا أحد ناصر له من البشر، ويلقى في النار، الثمرة الاحتراق، لكنه قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فلم تحرقه تلك النار؛ لأن الله كاف من توكل عليه، قال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾[1] والآية الأخرى: ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[2] لأنه توكل على الله، وهكذا لا يغلب الأعداء سوى التوكل على

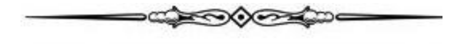
---

(١) سورة الأنبياء: ٦٩-٧٠.

(٢) سورة الصافات: ٩٨.

الله، وتفويض الأمر إليه من أذية الخلق لك أو تطاولهم عليك الذي يكفيك شرهم، هو التوكل على الله، فمن خلقهم قادر على درء ضرهم عنك .

(وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ **الآية)** لما انهزم المسلمون في أحد، خرج النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن معه خلف المشركين؛ ليظهروا لهم أنهم لم ينهزموا ومكثوا في حمراء الأسد ثلاثة أيام، ولما علم أبو سفيان بذلك، قال: أنبوا محمداً بأننا سوف نرجع لقتالهم، والمسلمون قلة، ومثخنون بالجراح، ومنهم من استشهد، وأولئك جيش منتصر وكثير، وهذا مثخن بالقتل والجراح، وأصيبوا ما أصيبوا به من أمر نفس بسبب ما حصل لهم من هزيمة، وقالوا: سنرجع ونستأصلهم، فقال النبي ﷺ ومن معه: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ فلم يرجع أبو سفيان ومن معه، ونصر الله ﷻ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومن معه في غزوة الفتح، وكانوا أذلاء عنده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بل كان النبي ﷺ يمن عليهم، قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وهكذا، من توكل على الله، هذا وعد إلهي من الله أن ينصره ويؤيده ويدفع ويدرأ عنه شر عدوه **[رواه البخاري]** .



باب قول الله تعالى :

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[١]

ركنا أركان العبادة الثلاثة، المحبة وهي ظاهرة، والرجاء، والخوف، يعني: ترجو ثواب الله وترجو جنته، وترجو عطاؤه، والخوف تخاف من عذاب الله، وتخاف من النار، وتخاف أن يوقع الله ﷻ عليك عقوبة وهكذا، فمن أفرط في الرجاء يعني: رجاء ما عند الله، وأن الله غفور رحيم لطيف، فمن أفرط في مثل ذلك يقع في الأمن من عقوبة الله، فيقول: ما دام أن الله غفور رحيم أفعل المعصية، وهذا خطأ، وفي الجانب الآخر من أفرط في الخوف من الله ﷻ، وقال: الله له نار محرقة والله شديد العقاب، وأنا فعلته ذنباً والله لا يغفر هذا الذنب، فهنا أفرط في الخوف، فيقع في اليأس، ومنهم ما يكون دون ذلك، فيقع في القنوط، والواجب أن يكون الركنا جميعا مستويان، يرجو ما عند الله، ويقول الله غفور رحيم، ويخاف من الله إن وقع في عقوبة ومعصية أن يعاقبه . والمصنف ساق في هذا الباب للرد من وقع في تلك المعصيتين، وهما الأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله .

والمصنف رحمه الله ساق في هذا الباب تلك المعصيتين؛ لأنهما قادحتان في

(١) سورة الأعراف: ٩٩.

التوحيد، فهذه تقدح في عبادة الرجاء، وتلك تقدح في عبادة الخوف من الله ﷻ، والمصنف رحمه الله ساق في هذا الباب؛ لبيان أن الأمن من مكر الله من أفعال الخاسرين . وفي الآية الثانية قال: ﴿ **قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ** ﴾[1] أن القنوط من رحمة الله من أفعال أهل الضلالة .

ثم بعد ذلك: ذكر أن اليأس من روح الله والأمن من مكر الله، من الكبائر، سئل النبي ﷺ عن الكبائر فقال: «**الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله**» . ثم بعد ذلك ساق أثر ابن مسعود بأن تلك المعصيتين وكذا اليأس الذي زاد من أكبر الكبائر .

إذن خسران ضلالة من الكبائر، بل أكبر الكبائر، وهذا من تصنيف المصنف البديع رحمه الله .

---

(١) سورة الحجر: ٥٦.

وقوله : باب قول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾[(١)].

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾ الأمن من مكر الله يعني: الاطمئنان بعدم إنزال الله ﷻ عليك عقوبة إن فعلت معصية، هذا الأمن من مكر الله، فمن فعل معصية ورأى رزقنا إليه داراً أو إمهالاً وسار على تلك المعصية، وقال: إن الله لن يعاقبني، هنا الأمن من مكر الله، أو أن يفعل ذنباً وقال: لن يعاقبني الله ﷻ عليه، يقول إن الله غفور رحيم، ومكره سبحانه وصفه جلا وعلا بأنه سريع، كما قال جلا وعلا: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا ﴾[(٢)]، ومكره سبحانه إن مكر بعبده مكر به وهو لا يشعر، قال جلا وعلا: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرًا وَمَكَرۡنَا مَكۡرًا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[(٣)] فمن مكر بالله وأمن من عقوبته مكر الله به، ولهذا من فعل معصية ورأى رزقاً إليه قادم، ويستمر المرء على تلك المعصية، فهذا استدراج من الله ﷻ لهم؛ لهذا قال: ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾[(٤)]، وقال عن الكفار: ﴿ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ

---

(١) سورة الأعراف: ٩٩.

(٢) سورة يونس: ٢١.

(٣) سورة النمل: ٥٠.

(٤) سورة القلم: ٤٥.

لَهُمۡ عَدّٗا ﴾[١] وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته يفلته**» وقال سبحانه: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٢] وهذا من مكر الله لمن فعل معصية وأمن عقوبته، فيجب على العبد إن فعل معصية أن يخشى مكر الله فيه، بأن ينزل عليه عقوبة ولو بعد حين، فالعقوبة قد تعجل وقد تؤجل، قال سبحانه:

﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾[٣].

﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ يعني: الذي يأمن من مكر الله يخسر نفسه وأهله وماله ودنياه وآخرته، قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[٤] فدل على أن من لم يؤدي عبادة الرجاء كما أمره الله ﷻ ، وقع في معصية وهي معصية الأمن من مكر الله، وكذا ولو قال شخص: كل الناس أو كثير من الناس من يفعل هذه المعصية، وما أتتهم عقوبة؟ نقول: هناك أخرى للحساب والعقاب، وإلا في الدنيا قد يعاقب عليه المرء وقد لا يعاقب .

---

(١) سورة مريم: ٨٤.

(٢) سورة القلم: ٤٤.

(٣) سورة النساء: ١٢٣.

(٤) سورة الزمر: ١٥.

وقوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[(١)].

هنا المعصية الأخرى وهي القنوط من رحمة الله، بسبب أنه أخله بعبادة الخوف، فخوفه الذي زاد منعه بالتعلق بالله، فقال مثلاً: إني فعلت ذنباً كبيراً والله ﷻ لن يغفره، فلا يتوب، أو يتوب لكن يقول الله لن يقبل الله مني توبتي، فالقنوط وهو استبعاد تحقيق الأمر، مثل لو شخص مريض ويقنط من أن الله ﷻ يشفيه، فهنا يائس من ذلك، فاستبعد شفاء الله ﷻ له حتى القنوط، وهو أشد اليأس، يعني: لو شخص قال: أنا دعوت ربي لكن عندي يأس من عدم العافية، وآخر قال: أنا أصلاً لن يعافني الله -والعياذ بالله- هذا يقع في ذنب عظيم، وهو سوء الظن بالله ﷻ، وعدم قدرته على العافية، والسبب الاخلال بتلك العبادة، وهي عبادة الخوف من الله؛ لذلك قال: ﴿ قَالَ ﴾ يعني: الملائكة لما بشروه بولد بعد كبر، وتعجب من ذلك ﴿ قَالَ - يعني إبراهيم - وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ فالله رحمه ورزقه بولد وهو إسماعيل، فما تعجب من ولد أن وُلِد له بعد كبر، وبشرته الملائكة قال: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾.

---

(١) سورة الحجر: ٥٦.

وعن ابن عباس ﭭ أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال : «الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله».

(**وعن ابن عباس ﭭ أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟**) يعني: يبين أن تلك المعصيتين القادحتين في التوحيد كبيرة من كبائر الذنوب، فقال: (**الشرك بالله**) وهو أكبر الكبائر على الاطلاق، وهو الذي يفسد جميع الأعمال، بل يفسد الأرض، كما قال سبحانه: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ** _ يعني بالشرك _ **بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا** - يعني بعد ما كانت صالحة بالتوحيد -﴾[1].

(**واليأس من روح الله**) يعني: من رحمة الله، يعني: من الكبائر أن ييأس الشخص مما عند الله من الخير والفضل والرزق، فمثلاً لو أن شخصاً يبحث عن وظيفة ما وجد، فقيل له: ادعو ربك. فقال: استبعد ربي يرزقني -والعياذ بالله- هذه كبيرة من كبائر الذنوب، لماذا؟ لأنه أخله بجانب ما عند الله ﷻ من الفضل والخير والرزق.

(**والأمن من مكر الله**) من كبائر الذنوب كذلك، لو تقول لشخص: لا تفعل هذا الذنب، اتقي الله وخف ربك، يقول: ربي واسع المغفرة. نقول: هذا الأمن من مكر الله من كبائر الذنوب .

---

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

وعن ابن مسعود ﷺ قال : «أكبر الكبائر: الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله » [رواه عبد الرازق] .

(**وعن ابن مسعود ﷺ قال : أكبر الكبائر**) هنا يبين أن تلك المعصيتين ليست من الكبائر فحسب، بل إن الصحابة عدّوها من أكبر الكبائر.

(**الإشراك بالله**) مثل ما قال النبي ﷺ في صحيح البخاري لما سأله ابن مسعود: (**أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك**) هذا أكبر ذنب -والعياذ بالله- أعظم من الزنا، وأعظم من السرقة، وأعظم من القتل، يعني: لو شخص يقتل مئة نفس، وآخر يطوف حول قبر، ويقول: يا فلان أغثني أو نجني أو فرج كربتي، الذي قتل مئة نفس أخف ذنباً من ذاك، بل الله ﷻ قد يغفر لذاك، أما صاحب الشرك فالله لا يغفر بحال أبداً -والعياذ بالله-.

(**والأمن من مكر الله**) من أكبر الكبائر .

(**والقنوط من رحمة الله**) والفرق بين اليأس والقنوط: أن القنوط أشد من اليأس، يعني: كأن شخص يقول: ما في أمل إني أكون غني، نقول: هذا -والعياذ بالله- قنوط من رحمة وفضله، والله يقول: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[1] والنبي

---

(١) سورة النساء: ٣٢.

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**يد الله ملأ سحاء الليل والنهار ويبسط يده بالليل ويبسط يده بالنهار**» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما طلب الله عَزَّوَجَلَّ من عباده أن يسألوه من فضله إلا وهو وعدهم أن يعطيهم، والله عَزَّوَجَلَّ لا يخلف الميعاد، بل قال ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[(١)] فسألوه وهو سبحانه يحب من يسأله ويحب إذا فرح العبد بنعمته عليه، وقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾[(٢)] فكل نعمة ينزلها الله عَزَّوَجَلَّ عليك افرح بها، واسأله المزيد؛ لذلك سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما فتن، ما قال: ربي اغفر لي فقط ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى - وزاد- وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[(٣)] والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس الأعلى**» وهكذا ما عند الله عَزَّوَجَلَّ نطمح ونسأله فيما عنده من المزيد، فلا يقول مثلاً شخص: ربي ارزقني ولداً صالحاً. نقول: ربي ارزقني ذرية طيبة، ولما سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: ربي اغفر لي ولمحمد، قال: «**حجرت واصلة**» فضل الله واسع، وهكذا اسأل ربك، وأكثر من السؤال، فأنت تسأل كريم سبحانه .

---

(١) سورة الحديد: ٢٩.

(٢) سورة يونس: ٥٨.

(٣) سورة ص: ٣٥.

باب
من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

يعني: أن الصبر على ما كتبه الله ﷻ واجب، وأن من حصل منه نقص في ذلك، فهو قدح في التوحيد، والصبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الصبر على الطاعة، مثل: أن يصبر الشخص على ممشاه إلى المسجد في الظهيرة.

القسم الثاني : الصبر عن معاصي الله، بأن يحبس المرء نفسه عن ما حرم الله من شرب الخمر أو النظر المحرم، وغير ذلك .

القسم الثالث: الصبر على المصائب، كأن يحل بالمرء فقر أو مرض أو كرب.

والمصنف رحمه الله بوب هذا الباب من أجل القسم الثالث، والصبر يكون بثلاثة أمور: بحبس النفس عن الجزع، وبحبس اللسان عن التشكي والتسخط، وبحبس الجوارح عن ضرب الخدود وشق الجيوب، وغير ذلك من الأفعال التي تظهر عدم الرضى بالقضاء والقدر.

والقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، من فقده فقد إيمانه، والله ﷻ قد كتب ما قدر على الخلائق قبل أن يخلقوا، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**إن الله قدر**

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[١]. فكل ما يحدث فهو بعلم الله وما يحدث مكتوب عند الله ﷻ كما قال سبحانه ﴿**إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠**﴾[٢] وعلى المرء الرضى والتسليم بما كتبه الله ﷻ عليه، وقد أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن ما يصيب العبد المسلم هو خير في جميع أحواله، سواء بالنعماء أو بالضراء، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير** - يعني كل ما يكتبه الله ﷻ له أو عليه فهو خير - **إن أصابته سراء شكر** - يعني إن أصابه شيء يسره شكر - **فكان خيراً له** - لأنه أتى بعبادة الشكر - **وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له** - قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - **وليس ذلك إلا للمؤمن»**[٣] .

والدنيا خلقها الله ﷻ للابتلاء، وكل مبتلى ولكن ما بين مقل ومكثر، وبين صابر وساخط، وأشد الناس ابتلاء هم الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فإذا زيد بلاء على الرجل وهو مؤمن، هذه علامة على صلابة في دينه، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**فإن كان في دينه صلابة زيد فيه**».

وأنواع البلايا تتنوع، كل امرئ على حسب حاله، منهم من يمتحن بنفسه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الحج: ٧٠.

(٣) رواه مسلم.

من الأمراض وغير ذلك، ومنهم من يبتلى بأولاده، ومنهم من يبتلى بزوجته، ومنهم من يتعرض للفتن في الدين، ومنهم من يتعرض للأذية من الخلق، والله ﷻ يقول: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[1] ويظهر ثمرة إيمان العبد عند المصائب فإذا رأيت صابرا عند المصيبة فهذا دلالة على إيمانه وإذا رأيت جازعا فهو من ضعف إيمانه كما سيأتي فيما ذكر المصنف من الأدلة .

والله ﷻ أخبر بأن الصابرين جزاؤهم بغير حساب فالأصل أن الحسنة بعشرة أمثالها إلى أضعاف كثيرة وأما الصبر فليست فيه هذه المضاعفة وإنما بلا حساب قال ﷻ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2] ولا يعلم عبادة قلبية أجرها بغير حساب سوى الصبر، ومن الأعمال الظاهرة الصيام، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **(كل عمل بني آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا اجزي به**_ يعني فيجازيه بكرمه ﷻ وفضله _) وأمره الله ﷻ رسوله بأن يبشر الصابرين، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾[3].

والمصنف رحمه الله في هذا الباب ذكر أن عدم الصبر ينقص من الإيمان، وإذا حصل تجزع كامل على القضاء والقدر -والعياذ بالله- هدم إيمانه؛ لأن الإيمان

---

(١) سورة الفرقان: ٢٠.

(٢) سورة الزمر: ١٠.

(٣) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٦.

بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان .

ذكر المصنف رحمه الله في هذا الباب عدة نصوص النص الأول: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[1] ذكر أن الصبر من الإيمان ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ﴾ يعني: ومن يصبر .

ثم بعد ذلك ذكر أن عدم الصبر شعبة من شعب الكفر، فقال: **(اثنتان في الناس هما بهم كفر... وذكر النياحة على الميت)** .

ثم بعد ذلك ذكر: **(ليس منا من ضرب الخدود)** أي أن من لم يصبر فلم يقتفي أثر النبي عليه الصلاة والسلام ولم يسر على أصحابه؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه صابرون .

ثم بعد ذلك: ذكر أن ما يصيب المرء خير له في هذه الحياة، كأنه يقول لك: اصبر واحتسب على ما يصيبك، فهو خير لك **(إذا أراد الله بعبده الخير ؛ عجل له العقوبة في الدنيا)** .

ثم بعد ذلك ذكر ثمرة من ثمار الرضى بما كتبه الله عز وجل ، وثمرته أن الله عز وجل يرضى عنك .

(١) سورة التغابن: ١١.

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[١] .

أول الآية ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: كل ما يحدث من حوادث في الأرض فهو بإذن الله وأمره وإرادته، والمراد بهذا: الإرادة الكونية القدرية، فما يحدث بأمر الله.

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ والمراد بالإيمان هنا الصبر، ومن يصبر﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ يوفقه الله ﷻ ويعوضه خيراً مما فاته من المصيبة، كما سيأتي في آخر الحديث، فمن يصبر على المصيبة يهدِ قلبه لكلمة الاسترجاع، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، ويعوضه الله خيراً كثيراً، سواء في الدنيا أو في الآخرة أو كلاهما، وفضله سبحانه واسع، فإذا كان الصبر من الإيمان، دل على أنه إذا نقص شيء من الصبر عند المصيبة، نقص توحيد العبد؛ لذلك ساق المصنف هذا في كتاب التوحيد، فإذا أصابتك مصيبة ارضى بها وسلم، ولا تستلم عند هذا فحسب، بل فضله سبحانه واسع، اطلبه العوض مما حدث لك من مصيبة، ومن ذلك الكلمة العظيمة، إنا لله وإنا إليه راجعون، قال سبحانه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

---

(١) سورة التغابن: ١١.

عوضوا بثلاثة أمور: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ ﴾ يعني: ثناء كثير من الله لهم في السماء.

﴿ وَرَحۡمَةٞ ﴾ نزلت هذه الرحمة بسبب مصيبة، فمنحة نزلت بسبب محنة صبرت عليها، وقد يأتيك الخير في قالب شر عليك، والله ﷻ رحيم بك، ما يبتليك إلا ليهذبك، وليرفع درجتك، وليحط من سيئاتك.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ هذه إخبار من الله ﷻ لك، وشهادة بأن من استرجع وصبر بأنك عبد مهتدي، ولا أعظم من ثناء الله ﷻ على العبد، وليقول العبد كلمة الاسترجاع وهو موقن بأن الله يعوضه خيراً كثيراً مع الأجر، أم سلمة قالت: (**لما توفي أبو سلمة، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قلت: يعني قالت في نفسها: ومن خير لي من أبي سلمة، فعوضها الله ﷻ بالنبي** عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ) فإن حدث لك كرب أو مصيبة، أكثر من هذا الدعاء الذي هو الاسترجاع، وأيقن في قلبك بأن الله سوف يعوضك، والله ﷻ عند ظن عبده به، لذلك قال: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ ويعوضه خيراً كثيراً مما حدث عليه من الكوارث .

ثم بعد ذلك ساق قول التابعي في تفسير هذه الآية .

قال علقمة : (هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ؛ فيرضى ويسلم) .

(**قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم**) أن الله ﷻ هو الذي كتبها، وأن الذي كتبها هو الرحيم، وهو الكريم، وهو الرؤوف، وهو اللطيف، فتتيقن بأن ما حدث لك خير، لكنك لا تعلم هذا الخير، قال سبحانه: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾[1] .

(**أنها من عند الله**) يعني يصبر (**فيرضى**) بما كتبه الله ﷻ (**ويسلم**) ويستسلم لهذا المكتوب ويسأل الله ﷻ العوض مما حدث .

وفي صحيح مسلم : عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب ، والنياحة على الميت ».

(**وفي صحيح مسلم : عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : اثنتان في الناس**) يعني خصلتين (**هما بهم كفر**) يعني كفر دون كفر ولفظة كفر إذا وردت منكرة فالمراد بها الشرك الأصغر وليس المراد بها الشرك الأكبر وإذا ورد معرفا فالمراد به الكفر الأكبر معرفا مثل قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**بين الرجل وبين**

---

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

الكفر والشرك ترك الصلاة» فالكفر معروف، فالمراد به الكفر الأكبر -والعياذ بالله- أما هنا (**اثنتان في الناس هما بهم كفر**) يعني: خصلة من خصال الكفر، ولا يكون المرء كافراً بما وقع عليه من تلك الخصلة إلا إذا فقد أصل الإيمان، أما إذا كان عنده أصل الإيمان، فلا يكفر بمثل تلك الخصلتين الواردتين في الحديث.

(**الطعن في النسب**) يعني: القدح في أنساب الآخرين، بأن يقال: فلان ليس من آل فلان، وإنما من فلان، أو التنقص بهم بالطعن في أنسابهم، وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**اثنتان في الناس هما بهم كفر**) يعني: يدل على كثرة ذلك في ما يحدث بينهم، أو في نفوسهم من استعلاء بعضهم على بعض بالنسب .

(**والنياحة على الميت**) هذا هو الشاهد يعني: رفع الصوت الجزع بسبب الموت، فدل على أن عدم الصبر على ما يحدث من الأقدار نوع من الكفر، لكن كفر دون كفر .

ولهما : عن ابن مسعود مرفوعا : «ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ».

(**ولهما : عن ابن مسعود مرفوعا : ليس منا**) يعني ليس من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولا من هدي أصحابه أيضاً (**من ضرب الخدود**) بسبب مصيبة، وسبب عدم الصبر عليها.

(**وشق الجيوب**) يعني: شق الثياب، ضرب الخدود، وشق الجيوب، هذه من أفعال التسخط.

(**ودعا بدعوى الجاهلية**) إما أن يكون دعا بدعوى الجاهلية عند وفاة الميت، بأن يندب ويتجزع عليه في الطرقات والأسواق، مثل يسار في الأسواق، مات فلان وفلان، ويصرخون وهكذا، أو دعا بدعوى الجاهلية هي التنادي بالعشائر والقبائل ونحو ذلك، وكلا المعنين صحيح .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أراد الله بعبده الخير ؛ عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر ؛ أمسك عنه بذنبه ، حتى يوافى به يوم القيامة».

هنا يذكر بأن ما يصيب المسلم هو خير له، فلا يحزن ولا يجزع، والدنيا دار ابتلاء، وفي الآخرة الجزاء (**وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : إذا أراد الله بعبده الخير ؛ عجل له العقوبة في الدنيا**) يعني: إذا فعل ذنباً يؤخذ عليه في الدنيا، بمصيبة مثلاً، أو بحزن أو بهم على قدر ذنبه، الله ﷻ هو العليم الحكيم، فدل على ما يحدث للعبد هو تكفير لخطاياه فليصبر .

(**وإذا أراد بعبده الشر**) يعني إذا أراد به العقوبة (**أمسك عنه بذنبه**) يعني: لم يعاقبه في الدنيا (**حتى يوافى به يوم القيامة**) حتى يقدم على ربه بذلك الذنب فيعاقبه ربه عليه، فدل على ما يصيب المرء عليه أن يرضى به وأن يسلم، وسيجد العوض الكثير، الله ﷻ ذكر أن من أسباب دخول الجنة الصبر، قال ﷻ ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[1] بالصبر وقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2] .

---

(١) سورة الإنسان: ١٢ .

(٢) سورة البقرة: ١٥٣ .

وقال النبي ﷺ : «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط» [حسنه الترمذي].

هنا يذكر عاقبة الصبر الحميدة، وهو رضى الله ﷻ عن العبد، إذا رضي بما يحدث له (**وقال النبي ﷺ : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**) يعني: إن عظم الثواب على قدر المصيبة التي يصاب بها العبد، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**وإن الرجل ليصاب بالمصيبة حتى يوم القيامة وليس عليه خطيئة**» يعني: أن المصائب إن صبر العبد عليها تحط الأوزار حطاً، والله ﷻ هو المتصرف في أمور خلقه، يبتلي كل عبد على ما يريد سبحانه، والله يقول ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم** ﴾[1] قسم من الله ﷻ يعني: والله لنبلونكم، فالجميع مبتلى، وقال: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾[2] لا يمكن .

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3] فلا بد من تمحيص وتقليب في القلوب؛ لينظر من الصابر الصادق من الكاذب الخاسر .

(**وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم**) مثل ما قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**أشد بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**) وإذا الله ﷻ قوما ابتلاهم ليرفع درجتهم عند الله.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٤١.

(فمن رضي فله الرضا) هذا الشاهد **(فمن رضي)** بما كتبه الله ﷻ عليه **(فله الرضا)** من الله ﷻ يعني: من رضي بما كتبه الله ﷻ عليه الله يرضى عنه ومما يسعى إليه المسلم أن الله يرضى عنه لذلك ذكر عن الصحابة بقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1] وذكر عن أصحاب الجنة ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾[2].

فرضى الله ﷻ عن العبد منقبة كبيرة عظيمة، من أسباب الحصول عليها الرضى بما يحدث من المصائب، والجزع لا ينفع العبد، فالمصيبة حدثت عليك حدثت، إما أن تصبر وتعوض عليها خيراً كثيراً ويرضى الله عنك، وإما أن تتجزع ولا تحصل لا خيراً في الدنيا ولا في الآخرة، سوى الهم والحزن والحسرة وزوال خير كثير من الله لك، فليس لك سوى الصبر والدعاء بأن الله يصبرك. **(ومن سخط فله السخط)** يعني: من سخط على القضاء والقدر الله ﷻ يسخط عليه، وهذه هي عقوبة من لم يرضى بالقضاء والقدر؛ لأن الرضى بالقضاء والقدر ركن من أركان الدين، من أخلى به سخط الله ﷻ عليه، وذلك في حديث عمر بن الخطاب قال: **(وأن تؤمن بالقدر خيره وشره) [حسنه الترمذي]**.

ويكون المصنف رحمه الله بهذا قد انتهى من هذا الباب ويليه باب الرياء .

---

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

(٢) سورة المجادلة: ٢٢.

باب
ما جاء في الرياء

أي من التحذير منه، وأنه شرك بالله ﷻ، والرياء شرك في النية والمقاصد والإرادات، وهو أقبح أنواع الشرك الأصغر، والرياء ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : أن يعمل الشخص عبادة من أجل رجل آخر، يعني: لا يريد أن يفعل تلك العبادة، وإنما فعلها من أجل ذلك الرجل، فهذا -والعياذ بالله- شرك أكبر؛ لأنه صلى من أجل الرجل مثلاً، ومثل لو أن رجلا لا يريد الحج لكن قال سوف أحج من أجل فلان لأمدح هذا، ما حج لله وإنما حج لمخلوق، فهو شرك أكبر .

القسم الثاني : أن يفعل العبادة لله، لكن يزينها من أجل الناس، هذا هو الشرك الأصغر؛ لذلك قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما سئل عنه قال : «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته**» فقط التزين شرك أصغر، أما فعل عبادة ابتداء من أجل مخلوق، فهو شرك أكبر والعياذ بالله .

القسم الثالث : أن يصلي الشخص وتتوارد عليه الخطرات من الشيطان، بأن يزين عبادته، وهو يدفعها وهذا لا يأثم عليه العبد؛ لأنه يدفع تلك المعاصي

عن قلبه .

القسم الرابع : أن يعمل الشخص عملاً صالحاً لله، ولا يريد مدحاً ولا ثناء من أحد، ثم يسمع بعد عمل صالح ثناء من الآخرين، هذا لا يضره إذا لم يدخله العجب أو الفخر، يعني: أن مدح الناس لك بعد العمل الصالح لا يضرك في عملك .

ومدح الناس للإنسان قد يضره؛ لذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**احثوا في وجوه المداحين التراب**» وفي حديث الآخر: «**لما سمع رجلاً يمدح رجلاً قال: لقد قصمت عنق صاحبك**» والمرء ينتفع بالنقد، ولا ينتفع بالمدح، والذي يحمد مدح الله للعبد، أما مدح الناس لك فليس مطلباً شرعياً، فأنت اعمل لله مدحوا أم ما مدحوا، لا تنظر إليهم، وإن مدحوا ادفع قلبك من تأثير كلماتهم عليك .

والمصنف رحمه الله ذكر في هذا الباب نصوصاً في الرياء، النص الأول لبيان أن الرياء شرك؛ لذلك قال: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1] .

ثم بعد ذلك، ذكر سبب عدم قبول الله عز وجل للعمل الذي خالطه الرياء، وهو أن الله سبحانه (**أغنى الشركاء عن الشرك**) أي: فهو الكبير المتعال، والشرك الأصغر ينقسم إلى قسمين :

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.

القسم الأول : شرك خفي، يعني غير ظاهر في القلب، وهو شرك النية، ويدخل فيه الرياء، وما سيأتي من الباب القادم وهو (**إرادة الإنسان بعمله الدنيا**) .

القسم الثاني : ظاهر، والشرك الأصغر الذي يخصنا، هنا الرياء ينقسم إلى قسمين: إما طلب المرآة، يعني: بالبصر ليراه الناس، وإما التسميع، يعني: يفعل شيئاً من أجل يسمعه الآخرين، مثل شخص يحسن تلاوته بالقرآن العظيم من أجل أن يمدحه الناس، وإما إذا كان يحسن تلاوة القرآن العظيم من أجل أن يتدبر هو وغيره كلام الله فلا بأس، لذلك قال ابن مسعود للنبي ﷺ (**لو علمت أنك تستمع إلى قراتي البارحة لحبرته لك تحبيرا**) مما يزيد في التدبر في القرآن العظيم .

وذكر المصنف رحمه الله النص الثالث؛ لبيان أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لخطورة الرياء وخفائه وإفساده للعمل، خافه على أصحابه أشد من خوفهم من المسيح الدجال عليهم؛ لخطورته؛ لذلك قال ابن الجوزي رحمه الله: (**والإخلاص عزيز**) وقال بعض أهل العلم: (**شرك النية هو البحر الذي لا ساحل له**) والشيطان يتخبط الصالحين من هذا الباب، باب الرياء، وفي صحيح مسلم النبي ﷺ أخبر أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاثة: وهم من أعبد الناس، المجاهد، والمتصدق، وقارئ القرآن، كما سيأتي في الباب القادم إنشاء الله .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[1] **الآية.**

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ وما أعده الله له من الجنة ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ يعني: لا يصرف قلبه عن إرادة غير الله سبحانه، وسبب خطورة هذا الباب، أن العمل صالح تلاوة قرآن صلاة صدقة، فإذا جاهد الشخص نفسه في اقتفاء النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يبدأ الشيطان يتخطفه من باب النية بالرياء، وحب السمعة والثناء، وغير ذلك، فجلت هذه الآية الأولى على أن الرياء شرك، والله ﷻ لا يقبله ويرد، والرياء إذا خالط العمل بالتزين تفسد تلك العبادة، ويعاقب عليها، مثل لو أن شخصاً يصلي التراويح ويزين صلاته، تفسد تلك التراويح، تبطل ولا ترفع، ويعاقب الشخص عليها؛ لأنه فعل شيئاً غير مشروع، وعدم الإخلاص لله ﷻ، يعني: أن الرياء يبطل العمل الذي قارنه، فلو أن شخصاً تصدق بمئة ألف ريال، يقصد بذلك الرياء، هذه صدقة تبطل، لا تبطل صدقاته السالفة .

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.

وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعا : " قال تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري ؛ تركته وشركه " رواه مسلم .

(**وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعا : قال تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك**) وهذا من جبروت الله، لا يرضى سبحانه أن يجعل معه، وهو العظيم الكبير الولي القدوس، لا يرضى أن يصرف العمل لغيره معه، وهو يقول سبحانه: إذا عملت عملا من أجلي ومن أجل غيري، فأنا أرده أعطيه غيري، وغيري لا يملك لا جنة حتى يثاب عليها، فالرائي خاسر؛ لأن قلبه ذهب إلى فقير مثله، بل قد يكون أفقر وترك الغني، ذلك الله يقول (**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**) كيف؟ (**من عمل عملا أشرك فيه معي غيري ؛ تركته**) تركت صاحب العمل (**وشركه**) ما عمله من عمل، يعني: أن العامل وعمله بائس، ومن أخلص عمله لله كوفئ عليه، الله يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

فساق المصنف رحمه الله هذا الحديث؛ لبيان لماذا يرد الله ﷻ عمل المرائي؛ لأنه هو الغني .

---

(١) سورة النحل: ٩٧.

وعن أبي سعيد مرفوعا : «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قلنا: بلى ، قال : الشرك الخفي - يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته ؛ لما يرى من نظر رجل - » [رواه أحمد] .

(**وعن أبي سعيد مرفوعا : ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**) انظر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خاف على الصحابة من الشرك الأصغر وهو الرياء، أشد من خوفهم عليهم من المسيح الدجال، الذي أمرنا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يستعاذ منه دبر كل صلاة قبل السلام؛ لشدة فتنته، وكان في صحيح مسلم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عظم أمر الدجال وخفض فيه ورفع؛ حتى قال بعض الصحابة: حتى ظننا أنه في داخل هذا النخل، يعني: سيخرج عليهم الآن، وفي الحديث الصحيح (**ما من نبي إلا حذر أمته المسيح الدجال**) لشر فتنته وهو حي الآن، كما في صحيح مسلم والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ خاف على أمته الشرك الأصغر أشد من فتنة المسيح الدجال؛ لذلك قال في تفسير العزيز الحميد حفيد المصنف قال: (**الرياء أخوف من الصالحين من المسيح الدجال**).

فإذا قيل كيف أبعد عن نفسي ذلك الذنب الذي قد اقترفه وأنا لا أشعر؟ نقول: بالدعاء بالإخلاص ادعوا ربك (**اللهم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل**) باستمرار .

(**قلنا : بلى ، قال : الشرك الخفي**) يعني: خاف النبي ﷺ عليهم الشرك الخفي، لما ذكر النبي عليه ﷺ لهم الشرك الخفي، فسره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما هو الشرك الخفي: (**يقوم الرجل فيصلي**) لله، لكن يحصل الشرك الخفي (**فيزين صلاته**) التزين: هو الشرك الخفي -والعياذ بالله- وسمي خفياً؛ لخفائه في القلب؛ لأن الناس لا يعلمون هل هذا يصلي لله أو مرائي، فهو خاف عليهم قصده.

(**لما يرى من نظر رجل**) يعني: يزين صلاته من أجل أن رجلاً ينظر إليه -والعياذ بالله-.

ويكون المصنف رحمه الله بهذا قد ختم باب الرياء، ويليه بإذن الله باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.



باب
من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

(**باب من الشرك**) يعني: باب من أنواع الشرك.

(**إرادة الإنسان بعمله**) الصالح مما جنسه جنس القربة والطاعة.

(**الدنيا**) يعني: يريد بتلك العبادة الدنيا، ومثال ذلك: مثل أن يقرأ شخص القرآن ويريد بذلك مالاً، لا ابتغاء وجه الله، ومثل من يطلب العلم ويريد به جاهاً، ولا يريد بذلك التقرب من الله ﷻ، فهذا نوع من أنواع الشرك في النية والقصد؛ لأنه صرف نيته إلى غير الله ﷻ

والفرق بين هذا الباب والباب السابق (**باب الرياء**): أن باب الرياء يقصد به المدح والثناء فقط، لا يرجو بذلك مالاً ولا جاهاً، وأما هذا الباب فيقصد به مالاً أو جاهاً أو منصباً ونحو ذلك، وبهذا فإن الذي يريد بعمله الذي فيه طاعة شيء من الدنيا، أعقل من الذي يرائي في عمله؛ لأن الذي يعمل شيء من أجل الدنيا يحصل شيئاً من عاجلاً، أما المرائي فلا يحصل شيئاً، وكلاهما خاسر؛ لأن جميع أعمال هذا وذاك حابطة، كما سبق في باب الرياء على التفصيل، وهنا من أراد بقصده الديني أمراً دنيوياً وقع في الشرك؛ لأن الواجب صرف العبادة لله وحده جلا وعلا .

والمصنف رحمه الله ذكر آية وحديثاً في هذا الباب. الآية ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾[1] ساقها لبيان أن من أراد بعمله الدنيا، فإن عمله حابط؛ لأن وقع في الشرك ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وما حبط إلا من أجل الشرك .

وساق الحديث (**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة...**) لبيان عقوبة من يعمل العمل الديني من أجل الدنيا؛ لبيان عقوبته في الدنيا، وهي التعاسة والانتكاس .

ففي الآية الأولى عقوبته في الآخرة عمله يحبط، والحديث عقوبته في الدنيا أنه تاعس ومنتكس، وقدم عقوبة الآخرة على الدنيا من باب تقديم الآية على الحديث، وأعقبه المصنف رحمه الله حديث أبي هريرة بعد الآية؛ لأن الآية مطلقه، لكنها مقيدة بآية الإسراء لمن يريد، وبين أن الله عز وجل جعل له الانتكاس في الدنيا، كما سيأتي، والواجب على المسلم إذا عمل أي عمل أن يجعل نيته خالصة لله عز وجل ، إذا صرفت لغير الله وقع في الإثم العظيم .

---

(١) سورة هود: ١٥.

وقوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾[1] **الآيتين.**

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ لطلب رئاسة ونحو ذلك.

﴿ وَزِينَتَهَا ﴾ من المال وغير ذلك.

﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ يعني: نعطيهم ما يريدون في الدنيا، وهذه الآية مطلقة، وقيد العطاء لهم بما أرادوه في الدنيا بمشيئة الله ﷻ، كما في آية الإسراء: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾[2] فطالب الدنيا بالدين قد يعطيه الله ﷻ ما قصده من مقصد قبيح في الدنيا، وقد لا يعطيه إياه؛ لذلك قال ﴿ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ وهنا ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ يعني: نعطيهم مقصدهم كما يريدون تماماً، لكن مقيد بإرادة الله، فقد يحرم من ذلك؛ لذلك ساق المصنف رحمه الله الحديث الذي بعده إشارة إلى أنه إن أعطي فهو تاعس ومنتكس ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾ -والعياذ بالله- وإن كانوا يعملون أعمال صالحة.

---

(١) سورة هود: ١٥.

(٢) سورة الإسراء: ١٨.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ من الأعمال الصالحة.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يعني: عملهم باطل وليس بحق، ولم يسلكوا الطريق السوي، وقوله ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ﴾ دل أن ذلك شرك، وفي الصحيح لما سمع معاوية ﷺ هذه الآية بكى، قال سمعت النبي ﷺ يقول: أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، ثلاثة: المتصدق، والمجاهد، وقارئ القرآن، فيأتي قارئ القرآن يقول: يا رب قرأت القرآن فيك، قال: بل قرأته ليقال قارئ، يعني: يمدح، قال وقد قيل، ثم يسحب على وجهه إلى النار -والعياذ بالله- ويأتي المتصدق، ويقول: يا رب أنا تصدقت ابتغاء وجهك، فقال: تصدقت ليقال فلان متصدق، وقد قيل، يعني: يقال الناس أنك متصدق، ثم يسحب على وجهه إلى النار -والعياذ بالله- ويأتي المجاهد يقول: يا رب قاتلت فيك، فيقول الرب: بل قاتلت ليقول فلان جريء، فقد قيل، ثم يسحب على وجهه إلى النار -والعياذ بالله- .

وانظر إلى هذه الأعمال العظيمة، جهاد نفقة، وتلاوة قراءة قرآن عظيم، ومع ذلك سحبوا على وجههم إلى النار، بل قال النبي ﷺ **(إن أول من تسعر بهم النا يوم القيامة ثلاثة)** يعني: هؤلاء قبل الزناة، قبل السراق، قبل أكلة الربا؛ لأنهم اشتروا الدنيا بالدين، فعقبوا بذلك العقاب الأليم -والعياذ بالله-، فيجب على المسلم أن يخلص نيته لله لا يريد من الدنيا شيئاً، وإن أتاه شيء منها فهو تبع، ولا يكون قصده ذلك، فإن أتاه منها مدح أو ثناء، فالرسول ﷺ قال: **(تلك عاجل**

بشرى المؤمن) وإن سيق إليه رزق بسبب تقواه وصلاحه، فهذا تبع لما قام به من الطاعة، لكن لا يجعل عمله للطاعة ابتداء من أجل ذلك المقصد، بل إن بعض أهل العلم قال: **(من يخرج زكاته من أجل تطهير المال فحسب يقع في هذا الوعيد في هذه الآية)** لأن الواجب أن يخلص هذا العمل ابتغاء وجه الله، لله، ثم يأتي التبع من ذلك من تطهير المال، وتزكية النفس، والمضاعفة في العطاء من الله ﷿ ، لكن أن يجعل القصد ليتطهر مالي ويزيد، قال: يدخل في ذلك الوعيد -والعياذ بالله- والنية في تحولها وتقلبها أمر يفتن به الصالح، فلما كان يكثر من العمل الصالح يتخبطه الشيطان بنيته؛ ليفسدها أو ليوقع فيها ما يوقع.

في الصحيح : عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، إن أعطى رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع ».

(**في الصحيح : عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : تعس**) يعني: سقط (**عبد الدينار**) يعني: الذي همه سوى الدينار، والدينار كناية عن الذهب، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دعا بأن من يعمل من أجل الدنيا بأن يكون ساقطاً، بل كما سيأتي أنه كلما قام دعى عليه أن يسقط تعس وانتكس.

(**تعس عبد الدرهم**) إشارة إلى من يسعى وراء الدنيا بالفضة، والفرق بين الأول والثاني، الأول إشارة إلى التجار ممن يتعامل بالذهب، وتعس عبد الدرهم إشارة إلى من هو أدنى منه، وهم من يتعاملون بالفضة، يعني: سواء كان اللاهث خلف الدنيا في مال كثير أو قليل فهو تاعس، بل سماه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عابد للدينار، ويدل هذا الحديث إلى جواز تسمية المسلم بأنه عابد للدينار، كما سماه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإن كان عبادته للدينار صرفته عن الله بالكلية، فهو وصف

حقيقي له، وإن ألهته فهو إشارة إلى أنه يلهث خلف ذلك .

(**تعس عبد الخميصة**) كساء معلم، يعني: مرسوم عليه أعلام مرسومة، دعا النبي عليه الصلاة السلام من يهتم بلبسه فقط ولا يجعل هم الآخرة .

(**تعس عبد الخميلة**) يعني: الثوب الذي له أهداب، يعني أطراف متدلية، يعني: تعس من كان عابداً لملابسه سواء كان فقيراً ممن يلبس الخميصة، أو كان غنياً ممن يلبس الخميلة، والخميلة لباس أعلى درجة من الخميصة.

(**إن أعطى**) يعني من الدنيا (**رضي**) بها فيرضى عن عطاء البشر، ويلهث خلف ما يعطونه له (**وإن لم يعط**)من الدنيا (**سخط**) فجعله همه غير الله ﷻ، لم ينظر إلى رضى الله ولا إلى سخطه، وهذا هو الشاهد، يعني: من أراد بعمله الدنيا يرضى من أجلها عن الناس، ويسخط على الناس من أجلها في الطاعة والقربة، سواء أعطوه أو منعوه، هذا -والعياذ بالله- يكون محباً لغير الله وموالياً لغير الله، فجعل الدنيا في قلبه .

(**تعس وانتكس**) هذا دعاء عليه آخر، يعني الأول من كان همه الدنيا ولا ينظر إلا الرضى فيها من الناس، يا رب اسقط، ثم تعس وانتكس يا رب إذا قام فأسقطه مرة أخرى على وجهه، والعياذ بالله .

(**وإذا شيك فلا انتقش**) يعني: يا رب لو دخلت فيك شيك، إشارة إلى الشوكة، يعني يا رب إذا دخلت الشوكة في جسده، لا تجعله يخرج شوكته التي

دخلت فيه، وفي لفظ (**فلا انتُقش**) يعني: يا رب إذا دخلت الشوكة فيه، فلا تجعل أحد ينتقشها منه، بل اجعلها في جسده معذباً بها .

(**طوبى**) قيل شجرة في الجنة، وقيل طوبى هنيئاً وبشرى (**لعبد أخذ بعنان فرسه**) يعني النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما ذكر عباد الدنيا، ذكر بعد ذلك من كان همه الآخرة من عباد الله الصالحين فقال: (**طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه**) يعني: يجاهد (**في سبيل الله**) .

(**أشعث رأسه**) يعني: هذا كناية عن أن الغبار وهو يسير للجهاد في سبيل الله قد وصل إلى رأسه.

(**مغبرة قدماه**) في المشي في سبيل الله، يعني: عندنا هنا القدم مغبرة، والرأس أشعث، وأخذ بعنان الفرس (**إن كان في الحراسة كان في الحراسة**) يعني: إن جعل في حراسة الجيش كان معهم ويحرسهم (**وإن كان في الساقة**) يعني: ساقة الجيش في وسطهم (**كان في الساقة**) يعني: كان وسطهم (**إن استأذن لم يؤذن له**) لأنه عبد تقي ما يعرف، لا يريد إلا الآخرة، لا يريد شيئاً من الدنيا.

وفي صحيح مسلم: (**إن الله يحب العبد التقي الخفي**) يعني: إن استأذن عند وجهاء لم يأذن؛ لأنه لا يعرف، فلم يتطلع إلى الدنيا.

(**وإن شفع لم يشفع**) يعني: إذا كتب شفاعة لأحد ممن له جاه لا يقبلون شفاعته؛ لأنه لا يعرفونه؛ فهو متخفي بالطاعة مخلصاً لله ﷻ .

فدل على أن من أراد بعمله الدنيا خسر الدنيا والآخرة، والمخلص هو الذي يفلح، وثمرة إخلاص العبد تظهر بعد وفاته، فمن مات مخلصاً أحيا عمله الصالح بعد وفاته، من صدقاته الجارية، أو من ذريته المباركة، وأما غير المخلص تموت أعماله بموته، وهذا جزاء معجل عليه، أنه من حين يوسد في التراب جميع ما عمل من أعمال صالحة لغير الله يزول أثرها ونفعها، والعياذ بالله .



باب
من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه ؛ فقد اتخذهم أربابا

مقصد المصنف رحمه الله من وضع هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لبيان أن الطاعة المطلقة لله، فهو الذي يطاع وإن أطيع غيره سبحانه وتعالى في التحليل والتحريم، وقع في الشرك، والذي يسميه العلماء شرك الطاعة، تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله، طاعة من يفعل ذلك ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أن يعتقد صحة ما شرعه بتحليل أو تحريم، مثل لو أن أحداً من العلماء قال: إن شرب المسكر القليل ليس بمحرم، فقام شخص وقال: ما دام قال القول هذا العالم الفلاني، فأنا آخذ بقوله؛ حتى لو أتت النصوص، فهنا اعتقد تحليل ما حرم الله، فهذا يقع في الشرك؛ لأنه أطاع واتبع مع الله غيره .

القسم الثاني : أن يطيع ما حرم فيما حلل، أو العكس، لكن يعتقد بطلان تشريعهم، وإنما يتبعهم ويفعل ذلك اتباع لهواه وشهواته، فمثلاً في المثال السابق يقول: أعلم أن قول العالم الفلاني خطأ، لكن سأشربه وأضع ذلك في ذمته، فهنا يعتقد بطلان ما قالوا، لكن يتبعهم من أجل رغبته وهواه، وهذا لا يصل إلى الشرك، وإنما هو محرم .

لذلك المصنف عقد هذا الباب؛ لبيان من اعتقد تحليل ما حرموا أو تحريم ما حللوا، وإذا كان الشخص جاهلا في المسألة لا يعلم حلها أو حرمتها؛ لأنها من النوازل، فاتبع العالم التقي، فهنا هذا أمر مشروع، الله يقول ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1].

والمصنف رحمه الله ذكر هنا أثرين وحديثا . الأثر الأول قول ابن عباس يقول: **(يوشك أن تنْزل عليكم حجارة من السماء، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر! .)** لبيان التغليظ فيمن قلد غيره في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، يعني أن هذا أمر منكر .

ثم بعد ذلك ذكر قول أحمد بن حنبل: **(عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته... إلى الشاهد، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك)** لبيان عقوبة من اتبع ما أحل الله، أو العكس، وهو انتكاس قلبه والعياذ بالله.

ثم بعد ذلك عدي بن حاتم؛ لبيان أن اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً ليس المقصود وهو عبادتهم والسجود والركوع، وإنما طاعتهم بما يشرعونه؛ لذلك قال عدي: **(إنا لسنا نعبدهم ، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم)** يعني المصنف تدرج لك من الأدنى إلى الأعلى، تغليظ من ذلك قد تأتيه عقوبة، وهي انتكاس القلب، وعدم معرفة الحق من الباطل، ثم بين لك أن من فعل ذلك وقع في الشرك، والعياذ بالله.

---

(١) سورة التغابن: ١٦.

وقال ابن عباس : " يوشك أن تنْزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ! " .

(**وقال ابن عباس : يوشك**) يعني يقرب (**أن تنْزل عليكم حجارة من السماء**) لفعلكم أمراً منكراً، وهو اتباع الآخرين تقليداً مع وجود النصوص .

(**أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر!**) يعني: هذا في مسألة المتعة في الحج، وكان ابن عباس يرى المراد بالمتعة يعني التمتع في الحج وليس متعة النكاح، وإنما التمتع، لأن من النسك التمتع، وكان أبو بكر وعمر بل والخلفاء الأربع يرون الإفراد أفضل، وكان ابن عباس يرى أن التمتع أفضل، فكان يقول لهم ابن عباس النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقول: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة**» يعني تمتعاً، فكانوا يقولون أبو بكر يقول كذا وكذا أن الإفراد أفضل، فقال ابن عباس (**أقول**) لكم (**قال رسول الله ﷺ**) كذا أن التمتع أفضل .

(**وتقولون : قال أبو بكر وعمر!**) كذا فانظر أن القول الآخر، وهو قول أبو بكر وعمر في مقابلة قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ اللذين أمر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالاقتداء بهما، ومع ذلك ابن عباس يقول :

(**يوشك أن تنْزل عليكم حجارة من السماء**) لما قدمتم قول أبي بكر وعمر

على قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فما ظنك بمن يقدم قول غير أبي بكر وعمر على قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، الشأن أعظم .

وقال أحمد بن حنبل : " عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ الآية ، أتدري ما الفتنة؟ الفتنة : الشرك ؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ ؛ فيهلك " .

(**وقال أحمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته**) يعني: يعرفون الحديث ويأتيهم الحديث صحيح، ومع ذلك يقلدون غيرهم.

(**يذهبون إلى رأي سفيان**) يعني: يعطيهم الحديث ويقولون سفيان ابن عيينة قال كذا وكذا.

(**والله تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾**) يأتيهم أمر الله عَزَّوَجَلَّ ويخالفونه بقول غيره، وإذا كان الشخص لا يصل إلى مرتبة الاجتهاد أو المسألة، المشكلة عليه، فله أن يقلد، لكن إذا كانت المسألة واضحة عنده بالنص، فيحرم عليه أن يقلد غير الناس، وإذا كان يجهل أيهما النص، أما العالم الآخر عند نص آخر قد أجهله، نقول: إذا كان هو أعلم منك فتقلده، إذا كنت خفيت عليك الحجة.

(**أتدري ما الفتنة؟**) في الآية ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (**الفتنة : الشرك**) يعني: من يقدم قول غير النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على قوله، فهذا شرك في الاتباع والتشريع، وهو شرك الطاعة، كما سبق.

(**لعله إذا رد بعض قوله**) يعني: إذا وقع في ذلك الشرك بتقديم طاعة غير الله ورسوله على طاعته في التشريع والطاعة.

(**أن يقع في قلبه شيء من الزيغ**) يعني: من الضلال والشرك.

(**فيهلك**) بذلك .

عن عدي بن حاتم ﵁ **: أنه سمع النبي** ﷺ **يقرأ هذه الآية :** ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(١) **الآية، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ فقلت : بلى ، قال: فتلك عبادتهم».** [**رواه أحمد، والترمذي وحسنه**] .

(**عن عدي بن حاتم** ﵁ **: أنه سمع النبي** ﷺ **يقرأ هذه الآية**) يعني هنا يسوق الآية؛ لبيان أن ما ذكره الله ﷻ من اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً ليس في عبادتهم بالركوع والسجود، وإنما بالطاعة في التحليل أو التحريم، والعياذ بالله ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾ جمع رب، يعني: اتخذ ذلك النصراني الراهب رباً، أو اتخذ الحبر رباً ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ ﴾ العلماء ﴿ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ ﴾ العباد ﴿ مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فمنهم من يتبع العالم، ومنهم من يتبع العباد عند النصارى.

(**فقلت له : إنا لسنا نعبدهم**) يعني: ما نركع لهم ولا نسجد، فكيف أتى هذا الوصف للنصارى، وهذا قبل إسلامهم ﵁ .

(**قال: أليس يحرمون ما أحل الله**) يعني: شيء حلال يقولون هو حرام.

---

(١) سورة التوبة: ٣١.

(**فتحرمونه**) يعني: تعتقدون تحريمه ولو أن الله ﷻ أباحه طاعة لأولئك الأحبار والرهبان.

(**ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟**) يعني: ما هو حرام، يجعله الأحبار والرهبان يفتونهم فيجعلونه حلالاً، قال الرسول ﷺ تلك عبادتهم.

(**فقلت: بلى ، قال: فتلك عبادتهم**) لأن العبادة تنقسم إلى أقسام، من أنواع العبادة عبادة الطاعة .



باب قول الله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾[1] **الآيات**

مراد المصنف رحمه الله بهذا طاعة المخلوقين، واعتقاد صحة ما يشرعونه في التحكيم.

والفرق بين هذا الباب والباب السابق: أن الباب السابق طاعتهم في الحلال والحرام، وهنا طاعتهم بالتحكيم في القضاء .

والمصنف رحمه الله ذكر عدة آيات وأحاديث . الآية الأولى التي بوب عليها المصنف ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ وهم المنافقون كما سيأتي ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ ساق الآية الأولى هذه؛ لبيان من تحاكم إلى الطاغوت لم يكفر بالطاغوت، فكان في ذلك قدح في توحيده .

ثم بعد ذلك ساق الآية الثانية ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[2] لبيان أن تحكيم شرع غير الله من خصال المنافقين ومن أعمالهم .

---

(١) سورة النساء: ٦٠.

(٢) سورة البقرة: ١١.

ثم الآية الثالثة ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾(١) لبيان أن الأرض تفسد بعدم تحكيم غير الله؛ لأنه لا يعرف الخلق إلا الخالق سبحانه .

ثم بعد ذلك ساق آية ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾(٢) لبيان وجوب الإنكار على من طلب التحاكم إلى غير شرع الله، كما سيأتي ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري .

ثم بعد ذلك ساق حديث عبدالله بن عمرو «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**» لبيان أن الرجل لا يكون كامل الإيمان، إذا قدم هواه على شرع الله ﷻ .

ثم بعد ذلك ساق الحديث الطويل في تحاكم المنافق والأنصاري؛ لبيان عقوبة من طلب التحاكم إلى غير شرع الله، وهو القتل إذا كان الإمام، فالإمام إذا كان عند أحد من الرعية ويقول له: أريد الشرع وإنما أريد غير شرع الله -والعياذ بالله- فالإمام أن يعزره بالقتل كما سيأتي .

وشرع الله ﷻ في التحاكم هو الفطرة التي فطر الناس عليها، ولا يرضي الخلق سوى شرع الله سبحانه وتعالى في التحاكم والتقاضي، فالله شرع بقطع يد السارق، وهو

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

(٢) سورة المائدة: ٥٠.

الذي يصلح البشر، وشرع الله ﷻ قتل من قتل نفساً بشروطها، ولا يصلح البشر إلا هذا، وشرع الرجم للمحصن؛ لأنه لا يصلح الشرع للبشر إلا هذا؛ لأن الزاني المحصن قد بدل نعمة الله من الحلال وذهب إلى الحرام، ومن يذهب إلى الحرام من الزنا يغلب عليه عدم التوقف في الزنا، يسير عليه باستمرار، فأتى الشرع بقتله بالرجم وهكذا؛ لذلك شرع الله أعدل، وهو سبحانه أعلم بخلقه، فهو الذي خلقهم، ويعلم ما الذي يصلح لهم، وما الذي لا يصلح معهم، ومن حكم شرع الله رضي الناس عنه، بل إن الناس لا يرضون إلا بالشرع، وإذا حل الشرع في بلدة، حل فيها الأمن والأمان، بتحكيم شرع الله فيه، فالبلدة التي يقتل فيها القاتل يقل فيها القتل، والذي لا يقتل فيه القاتل يكثر فيها القتل؛ لأنهم لم يحكم شرع الله، وهكذا .

باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾[1] **الآيات.**

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني: هم المنافقون يأتون إلى النبي ﷺ ويقولون: نؤمن بك، ونحن نؤمن بالكتب السابقة وبالرسل السابقين، وهم في حقيقتهم غير مؤمنين، أي منافقين ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ وهو غير شرع الله ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ بما لم يشرعه الله ﷻ ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ فدل على أن تحكيم غير شرع الله ضلال بعيد وهلاك مبين .

---

(١) سورة النساء: ٦٠.

وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[(١)] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ يعني: المنافقين ﴿ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بما تأتون به من تشريع ومنكرات ﴿ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ يعني: أن من صفات المنافقين طلب تحكيم غير شرع الله.

---

(١) سورة البقرة: ١١.

وقوله : ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾[1] .

﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ والأرض صلاحها بالعدل، وفسادها بالظلم، وشرع الله هو أعدل الشرائع ولا يعدلها شيء، وشرع غير الله هو الظلم؛ لذلك قال سبحانه: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ بالعدل والتوحيد، فمن الإفساد فيها والفساد تحكيم غير شرع الله .

---

(١) سورة الأعراف: ٥٦.

وقوله : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[(١)] .

﴿ أَفَحُكْمَ ﴾ يعني هذا استفهام إنكاري، يعني: أرضوا بحكم غير الجاهلية ويبغون ذلك، فدل على وجوب إنكار من طلب التحاكم إلى غير شرع الله، ولو قال شخص: فلان سرق، لكن لا تقم فيه حد القطع، اعطيه عقوبة أخرى، ينكر عليه، نقول يحكم شرع الله.

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ووصف الله ﷻ ذلك بأنه من أعمال الجاهلية، يعني من طلب غير شرع الله ما يشرعونه من جهل وضلال، وشرع الله هو العلم والنور سبحانه وتعالى.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ يعني: من أحسن من حكم الله .

---

(١) سورة المائدة: ٥٠.

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به». قال النووي : حديث صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

(**عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم**) الإيمان الكامل.

(**حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**) يعني: حتى يقدم محاب الله ﷻ على محابه، ومن كره ما شرعه الله لم يكن مؤمناً الإيمان الواجب، بل لو اعتقد صحة ما شرعه، وقع -والعياذ بالله- في الكفر (**قال النووي : حديث صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .**) يعني للمقدسي .

وقال الشعبي : " كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود : خصومة ، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد – عرف أنه لا يأخذ الرشوة – . وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود – لعلمه أنهم يأخذون الرشوة – . فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه ؛ فنزلت : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[1] " الآية .

هنا تفسير الآية الأولى الذي بوب عليها المصنف ﴿أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ لبيان سبب نزول تلك الآية، وساقها المصنف؛ لبيان أن للحاكم أن يعزر ولو بالقتل من طلب غير شرع الله .

(**وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود : خصومة ، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد – عرف أنه لا يأخذ الرشوة – .**) لأن اليهود أصحاب علم، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيحكم بالعدل، واليهودي علم أن الحق معه، فطلب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليحكم بينه وبين ذلك المنافق .

(**وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود – لعلمه أنهم يأخذون الرشوة – .**) لأن ليس عنده حق، فطلب التحاكم إلى أهل الباطل؛ ليعطيهم مالاً ليحكموا له .

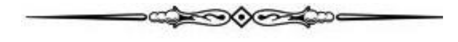
---

(١) سورة النساء: ٦٠.

(**فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه**) يعني: قالوا لا نأتي إلى النبي ﷺ ولا اليهود، نأتي إلى أحد الكهان (**فنَزلت** : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ **الآية** .) يعني في ذم ذلك الذي يدعي الإسلام وهو المنافق، كيف يطلب التحاكم إلى غير شرع الله .

وقيل : " نزلت في رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي ﷺ . وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ : أكذلك؟! قال : نعم ، فضربه بالسيف ؛ فقتله " .

(**وقيل : نزلت في رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي ﷺ . وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف**) اليهودي، وكان ممن يهجو النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وندب إليه من يقتله في بني قريظة، فقتله في المدينة (**ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة**) يعني واحد قال نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، والآخر يقول نتحاكم إلى الرسول ﷺ (**فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ : أكذلك؟!**) يعني هل أنت طلبت غير شرع الله وتركت النبي ﷺ وطلبت التحاكم إلى اليهودي؟ (**قال : نعم ، فضربه بالسيف ؛ فقتله**) لأنه طلب غير شرع الله .



باب
من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

أي بيان حكم (**من جحد شيئاً من الأسماء والصفات**) وهو الكفر بالله العظيم -والعياذ بالله-، والمقصود بجحود أسماء الله وصفاته، إما أن تجحد الأسماء والصفات كلية، كما ذهب إليه الجهمية، فينفون عن الله ﷻ أسمائه وصفاته، أو إثبات أسماء ونفي الصفات عنه، كما هو مذهب المعتزلة، أو إثبات بعض صفات الله ﷻ ، وإثبات الله الأسماء كالأشاعرة، فإنهم يثبتون السمع والبصر والإرادة والقدرة والحياء، ومذهب أهل السنة والجماعة: إثبات جميع الأسماء، وإثبات جميع الصفات مما جاء به الكتاب أو ثبتت به السنة .

ولما كان جحد الأسماء والصفات قادحاً في التوحيد قدحاً عظيماً بوب عليه المصنف، والمصنف أيضاً بوب هذا الباب ليكون كتابه شاملاً لجميع أنواع التوحيد، فهنا في باب الأسماء والصفات، وذكر ؒ آية وأثرين، سبب نزول الآية الأولى قال: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[1] ساق هذه الآية لبيان أن جحود الأسماء والصفات كفر بالله العظيم .

---

(١) سورة الرعد: ٣٠.

ثم بعد ذلك ساق قول علي ﷺ **(حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولهُ؟!)** لبيان وجوب تعليم الناس الأسماء والصفات، والنهي عن تعليمهم جحد أي صفة من صفات الله ﷻ؛ لأن إثبات الصفات موافق للفطرة .

ثم بعد ذلك ساق قول ابن عباس؛ لبيان أن من لم يؤمن بصفات الله ﷻ فهو هالك؛ لذلك قال: **(ويهلكون عند متشابهه)** .

ثم بعد ذلك لما وضع لك ما سبق ذكر سبب نزول الآية ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لبيان أنها نزلت في نفي صفة واحدة من صفات الله ﷻ، والله تعالى ذكر بأنهم كفار .

وقول الله ﷻ : ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾[1] الآية.

يعني: كفار قريش سبب نزولها، كما في آخر الباب، وذلك النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما قال في الصلح: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: لا نعرف ما الرحمن، فنزلت ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ وليس جميع كفار قريش يجحدون أسماء الله وصفاته، بل بعض منهم وهؤلاء البعض يجحد بعض الأسماء كالرحمن، ومع هذا ذكر الله ﷻ بأنهم كفار، والكفر بصفة واحدة كفراً بجميع الصفات، فلما كفروا بإثبات اسم من أسماء الله وهو الرحمن، ذكر الله ﷻ بأنهم كفار؛ لذلك قال: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فإثبات صفة ليس كفراً، بل هو تعظيم الله ﷻ .

---

(١) سورة الرعد: ٣٠.

في صحيح البخاري : عن علي قال : «حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولهُ؟! ».

(**في صحيح البخاري : عن علي قال : حدثوا الناس بما يعرفون**) وذلك أن القصاص والوعاظ في عصره كثروا بذكر القصص التي لا أصل لها، أو التي تصدهم عن الكتاب والسنة، أو ما فيه جحد بصفات الله، فقال لهم علي: (**حدثوا الناس بما يعرفون**) يعني: بما يعرفونه من تعظيم الله ﷻ من إثبات أسماء الله وصفاته، وإياكم أن تبينوا وتذكروا لهم جحد أي صفة من صفاته.

(**أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولهُ**) يعني: إذا جحدتهم شيئاً من صفات الله ﷻ فكيف يقول العامة؟ كيف نعبد عدم ليس له أسماء ولا صفات، فمما يعرفه الناس فطرة أن الله هو الكامل في أسمائه وصفاته ﷻ ، وأن أسماؤه حسنى، وأن صفاته علا، فإذا جنحوا عنه غير هذا المنهج السوي يكذبون الله ورسوله في عدم إثبات صفات الله ﷻ ، وليس المقصود من قول علي: لا تتحدثون عن صفات الله، لا . بل بينوا لهم ما فيه تعظيم الله ﷻ ، وإياكم أن تحدثهم بما فيه جحد لصفات الله؛ لذلك لما كفار قريش أنكروا الرحمن بسبب جهلهم وعتوهم .

وروى عبد الرزاق : عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس: أنه رأى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات ؛ استنكارا لذلك ، فقال : " ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه " انتهى .

(**وروى عبد الرزاق : عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أنه رأى رجلا انتفض**) يعني ارتعد وخاف (**لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات ؛ استنكاراً لذلك**) يعني: مثل كأن ينكر أن الله يسمع، أو أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فارتعد وخاف لأنه يجهل تلك الصفة، ولم يعلم صفات الله ﷻ ؛ لذلك تعليم صفات الله واجب للجميع، حتى لعامة الناس؛ لأن الله ذكر في القرآن الله قال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1] فهذه أسماء ويتلوها العامة، فيجب علينا أن نفسر ما تدل عليه مما تستلزمه من الصفات، ولا يقول الشخص أن هذا الأمر، يعني: تعليم أسماء وصفاته مما لا يخبر به العامة، لا، يخبرون به العامة ويعلمون به؛ لأنه أتى به القرآن، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في الصحيح

---

(١) سورة الحشر: ٢٣-٢٤.

سأل جارية صغيرة وهي امرأة (**أين الله؟ قالت في السماء**) فانظر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعلم حتى الصغار، بل حتى النساء يعلمهم صفات الله التي جحدها فيما بعد كبار من يدعي المعرفة من جحود، أن الله ﷻ في السماء، ويقولون: هو في كل مكان -والعياذ بالله-؛ لذلك لو كان الشخص عنده ولد صغير أو أخ صغير يسأله أين الله؟ ويقول له: في السماء، ويشير إلى العلو وهكذا، وهذا من تعليم الصبيان توحيد الله ﷻ، ويقول له: من ربك؟ ربي الله، هذا تعليمه العقيدة .

(**فقال : ما فرق هؤلاء؟**) يعني: ما بال هؤلاء، مالذي أصاب هؤلاء يجحدون صفات الله، وهي ثابت في الكتاب والسنة.

(**يجدون رقة**) يعني: تسليماً وإيماناً.

(**عند محكمه**) بغير الصفات ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1] .

(**ويهلكون عند متشابهه**) فيما يزعمون أن صفات الله من المتشابه، ويقولوا: لا نؤمن بها، وإنما هي ألفاظ لا مدلولات لها -والعياذ بالله- يعني: يقولون: الله سميع بلا سمع، تعالى عن ذلك، بصير لكن لا يبصر، وغير ذلك من أقوال الضلالة (**انتهى**) .

(١) سورة البقرة: ٤٣.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن ؛ أنكروا ذلك ؛ فأنزل الله فيهم : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ .

(ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن ؛ أنكروا ذلك) لجهلهم فيجب تعليم الناس أمور العقيدة، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في الترمذي قال لابن عباس: «**يا غلام** – وهو صغير عمره عشر سنوات – **إني أعلمك سنوات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك** - **هذه من أعظم الصفات وهو غلام صغير- إذا سألت فسأل الله** – هذه عقيدة – **وإذا استعنت فاستعن بالله** – هذه عقيدة – **واعلم أن الأمة لو اجتمعت إلى آخره ...** – هذه عقيدة – **بأن الله هو القوي القادر القهار وهو غلام)** فلا يونف ويستنكر من تعليم الصغار أو النساء صفات الله؛ لأنها مذكورة في كتاب الله، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ علم ابن عباس وهو غلام أمور العقيدة، وعلم الجارية الصغيرة أمراً عظيماً من أمور العقيدة، فقال «**أين الله؟ قالت: في السماء، قال: اعتقها فإنها مؤمنة**» وما قالت في السماء إلا لأنها علمت من قبل، فعرفت كيف الجواب، فدل على أن الصحابة ﷺ يعلمون أبناءهم وبناتهم العقيدة .



باب قول الله عز وجل

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[(١)]

ساق المصنف رحمه الله هذه الآية لبيان وجوب شكر النعم، ووجوب نسبة النعم إلى الله عز وجل ، وأن عدم شكر النعم أو عدم نسبتها لله من الكفران بالله العظيم، وهو الذي يسمى كفر النعمة، ولذلك لما ذم الله عز وجل المشركين بأنهم يجحدون النعم بعد أن ذكر سبحانه النعم في سورة النحل: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾[(٢)].

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ بعدم نسبتها إلى غير الله، أو بجحودها البتة، أو عدم شكرها، وجحود النعم ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : أن يجحد المرء أن هذه النعم من الله -والعياذ بالله- كأن يقول: ما حل بنا من نعم بسبب الولي الفلاني، أو النجم الفلاني أو غير ذلك .

القسم الثاني : أن ينسب هذه النعم إلى غير الله، كأن ينسبها إلى النجم

---

(١) سورة النحل: ٨٣.

(٢) سورة النحل: ٨١-٨٣.

الفلاني مثلاً، أو إلى فلان وفلان هو الذي فعل لي وأعطاني، وينسى أن المنعم هو الله وحده، وهذا كفر أصغر .

القسم الثالث : أن يعلم العبد بأن هذه النعم من الله، وأن ساق النعم إليك هو سبب، ويشكر الله على ما أنعم، والسبب يشكر لما قام به من سبب، مع عدم تعلق القلب به، وهذا هو نهج عباد الله الصالحين، والله ﷻ يقول: ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ** ﴾[1] وقال: ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ** ﴾[2] فالعبد الشاكر هو الذي ينسب النعم لله ويشكر الله ﷻ عليها، وهذا هو النهج السديد .

والمصنف رحمه الله ذكر هنا في هذا الباب أنواعاً من نسبة النعم إلى غير الله، فذكر تفسير مجاهد للآية، منها بنسبة النعم إلى غير الله، أن تنسب النعم لكسب الآباء وخلفوه لك بالإرث، أو ينسب إلى الأشخاص الأحياء، وهو تفسير عون بن عبدالله **(لولا فلام لم يكن كذا)** أو تنسب النعم إلى الآلهة من القبور والأولياء والصالحين، وهو تفسير ابن قتيبة **(هذا بشفاعة آلهتنا)** .

ثم بعد ذلك ساق قول شيخ الإسلام رحمه الله: في أن نسبة النعم إلى غير الله ليست خاصة بهذه الثلاثة، بل في جميع الأمور، لجميع من ينسب إلى غير الله يدخل في هذا الوعيد؛ لذلك قال: **(يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره)** ثم

---

(١) سورة النحل: ٥٣.

(٢) سورة النحل: ١٨.

بعد ذلك مثل المصنف للفظ العام، مثل أن يقول: (**كانت الريح طيبة**) فلم نغرق في البحر (**والملاح حاذقاً**) يعني: كان الملاح يقود السفينة فلم نغرق، فنسب النعم إلى غير الله، ومن ذلك لو حصل ما يتسبب إلى حادث، فلم يحصل تلك الحادث، فيقول الشخص: هذا لأن السيارة هذه قوية، أو أن مكابحها قوية ونحو ذلك، وينسب النعم والفضل إلى غير الله .

قال مجاهد ما معناه : " هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي " .

(**قال مجاهد ما معناه**) في تفسير الآية ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ من أنواع النكران (**هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي**) يعني نسي نسبة هذه النعم لله ﷻ ، والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾[1] من الذي أغنى آباءك؟ هو الله، فغيرك فقير لم يرث بسبب أن ضرر الإرث، فقد لا يكون ورث من آبائه شيئاً، وأنت ورثت، لكن من أغنى آباءك؟ هو الله. فيجب أن تنسب النعم إلى الله، وقد يكون آباؤك أغنياء، لكن يتسلط على المال من يسلبوه منك فلا يصل إليك، فالذي أغدق عليك وأنعم هو الله، فيجب أن يشكر الله ﷻ؛ لذلك أول آية في كتاب الله ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2] والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صحيح مسلم يقول: «**الحمد لله تملأ الميزان**» ومن شكر نعم الله ونسبها له زادت تلك النعم، ومن شكرها مع نسبتها لله، التحدث بها، بأن يقول الشخص الحمد لله، الله أعطانا مالا، والحمد لله، الله أعطانا أمناً ورخاءاً، وهكذا، والله يقول: ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾[3] .

فإذا قال شخص: لو حدثت بالنعم أخشى أن أصاب بالعين ونحو ذلك،

---

(١) سورة الذاريات: ٥٨.

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

(٣) سورة الضحى: ١١.

أو أريد أسير في عملي على الكتمان، نقول: لا يلزم التفصيل، وإنما تقول: الحمد لله الله أعطاني مالاً كثيراً أو خيراً كثيراً، ولا تقول كم هو، وتقول: الله أعطاني عافية، ولا تفصل تقول: لم أذهب إلى الطبيب من سنوات ونحو ذلك، لكن من شكرها التحدث بها، وكذلك أن تستعمل في طاعة الله ﷻ ولا تستعمل في معصية .

وقال عون بن عبد الله : " يقولون : لولا فلان ؛ لم يكن كذا " .

(**وقال عون بن عبد الله : يقولون**) يعني: من أنواع نكران النعم (**لولا فلان ؛ لم يكن كذا**) يعني لولا فلان لم أتوظف وأصبحت فقيراً، لولا فلان لم أقبل في الجامعة ولم أكمل دراستي، نقول: لا. قل: لولا الله وحده ثم فلان، أو تقول الله ﷻ ساق لي فلان لخدمتي، لكن لا تنسى الله، والله ﷻ ذكر القاعدة العظيمة في كتابه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[1] .

وقال قتيبة : " يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا " .

(**وقال قتيبة : يقولون**) يعني: المشركون إذا أتتهم نعمة (**هذا بشفاعة آلهتنا**) بسبب أننا دعونا المعبودات من دون الله، فهذا يقول: هذا بسبب أنني دعوت القبر الفلاني، وكذاك يقول: دعوت النجم الفلاني، وهذا يقول: دعوت الولي الفلاني -والعياذ بالله-، فهذا طفران النعم على التفصيل السابق، منها ما يكون كفر أكبر، ومنها ما يكون كفر أصغر .

---

(١) سورة النحل: ٥٣.

وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : أن الله تعالى قال : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ... " الحديث وقد تقدم – : " وهذا كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به . قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقا " . ونحو هذا مما هو جار على ألسنة كثير .

(وقال أبو العباس) يعني: شيخ الإسلام رحمه الله **(بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : أن الله تعالى قال : " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ... الحديث وقد تقدم)** يعني لما نزل المطر، فبعضهم نسب النعم إلى الله، وبعضهم نسب النعم إلى الكوكب، منهم من قال: **(مطرنا بفضل الله ورحمته ومنهم من قال مطرنا بنوء كذا وكذا)** فقال الرسول ﷺ **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»** بسبب نسبة النعم منهم من آمن ومنهم من كفر، فمن نسبها لله آمن، ومن نسبها لغير الله كفر –والعياذ بالله– .

(وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره) سواء لأشخاص أو آلهة أو بسبب الإرث أو الهبة أو الوقف، ونحو ذلك عام.

(ويشرك به) في نسبة النعم إما لغير الله بالكلية، أو أن ينسى أن الله هو المنعم، ويجعل الذي هو السبب .

(**قال بعض السلف**) هذا من قول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله لأنه جعل كثير ينتهي قول شيخ الإسلام (**هو كقولهم : كانت الريح طيبة**) فلم نغرق (**والملاح**) مثل: قائد السفينة (**حاذقا**) يعني: جيداً في القيادة (**ونحو هذا مما هو جار على ألسنة كثير**) هذا من هنا يبدأ قول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله .



باب قول الله تعالى:
﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١)

ساق المصنف رحمه الله في هذا الباب ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لبيان أن ألفاظ تقدح في التوحيد من ألفاظ الشرك بالله عز وجل، من الحلف بغير الله أو التشريك في المشيئة، كما سيأتي، أو التشريك في الإنعام أو الضر.

(لولا الله وفلان) فهذا في الإنعام أو في الضر والتشريك فيه **(أعوذ بالله وبك)**.

والمصنف ساق قول ابن عباس أولاً في بيان جملة من ألفاظ الشرك مما سبق من الحلف بغير الله **(والله وحياتك)** أو نسبة دفع الضر لغير الله **(لولا كلبة هذا لأتى اللصوص)** أو **(لولا البط في الدار لأتى اللصوص)** وكذلك **(أعوذ بالله وبك)** ثم بعد ذلك ساق حديث عمر، في أن من ألفاظ الشرك الحلف بغير الله، ومن أيضاً ألفاظ الشرك التشريك في المشيئة **(ما شاء الله وشئت)**.

فالمصنف رحمه الله استدل بهذه الآية وهي الواقعة في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر، وهذا تفسير ببعض أنواع الآية، وهذا نهج الصحابة رضي الله عنهم، كما هنا

---

(١) سورة البقرة: ٢٢.

ابن عباس فسرها من معانيها الشرك الأصغر، وإن كانت نزلت في الشرك الأكبر .

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لا في الحلف ولا في المشيئة، ولا في نسبة النعم أو دفع الضر مع الله غيره .

قال ابن عباس في الآية : " الأنداد : هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلانة وحياتي. وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيه فلانا ، هذا كله به شرك " رواه ابن أبي حاتم .

(**قال ابن عباس في الآية : الأنداد : هو الشرك**) وصف الشرك.

(**أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء**) يعني حجر أسود.

(**في ظلمة الليل**) يعني: نملة صغيرة سوداء تسير على حصاة سوداء في ظلمة الليل البهيم، هل ترى هذه النملة ؟ لا ترى، وإن رأيت بمشقة، كذلك الشرك قد يقع فيه الشخص ولا يعلم، ومن تلك الألفاظ ما مثل به ابن عباس رضي الله عنه من الشرك الذي يقع فيه الإنسان وهو لا يشعر.

(**وهو أن تقول**) يعني المرأة. (**والله وحياتك يا فلانة**) يعني: امرأة تخاطب امرأة، واللفظ هنا الحلف بغير الله، والله وحياتك، يعني الحلف بحياة الآخرين من

المخلوقين، وهذا شرك، أما الحلف بحياة الله، فيجوز؛ لأن الله هو الحي الله يقول: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ﴾[1] فالاسم الحي، والصفة الحياء، فيجوز أن تحلف بكل صفة من صفات الله، فيجوز أن تقول ووجه الله، وقدم الله، ويد الله وكذا، وحياة الله، وأما الحلف بالمخلوقين فلا يجوز، لا بذواتهم ولا بأسمائهم ولا بصفاتهم، وهنا حلف بصفة من صفة مخلوق وهي الحياء؛ لذلك قال: **(والله وحياتك يا فلانة)** فهذا نوع من أنواع الشرك، فإذا قال شخص رجل يحلف بغير الله وهو لم يقصد ذلك، مثل لو شخص قال: والنبي؛ يقول هذا لا يجوز الحلف بالنبي، قال: لم أقصد ذلك، نقول: هذا أعظم إثماً، فكون اليمين بمخلوق من مخلوقات الله تجري على لسانك بلا قصد، هذا يدل على تعظيمه في قلبك له، فحلفه بك أعظم مما حلفت به بغير استمرار -والعياذ بالله-، فلو أن شخصاً يقول: والله كل ما تكلم أحياناً يقول والله، نقول: هذا يعظم الله في قلبه، لا يعرف إلهاً سوى الله، وشخص يقول: والنبي أو الولي الفلاني أو فلان أو فلان، نقول: هذا يدل معظم له في قلبه كتعظيم الله، فيجري على لسانه كما يجري يمين الله ﷻ على الموحد، أي: أن الحلف بغير ولو لم يقصد الحالف الحلف به فهو شرك، وهذا تفسير ابن عباس، وكما سيأتي في حديث عمر **(من حلف بغير الله فقد كفر أو شرك)** .

(والله وحياتك يا فلانة وحياتي) سواء تحلفين بحياتك أو أحلف بحياتك،

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

مثل الحلف بالنعمة، أو ورأس أبي أو بأولادي وهكذا.

(وتقول : لولا كليبة) تصغير الكلب، وهذا شرك في اللفظ في نسبة دفع الضر إلى غير الله، فيقول القائل: لولا هذا البهيم لما انسرق الدار، ونسي الله، فهذا -والعياذ بالله- من الشرك الأصغر؛ لذلك قال: **(لولا كليبة لأتانا اللصوص)** مثل لو شخص يقول: الباب محرز قوي جداً، لولا الباب لأتى اللصوص، قل: لولا الله ثم الباب ما في بأس، لكن لا تنسى الله سبحانه، فكم من دار محرز سرق وكم من دار لا باب له لم يسرق، فالحافظ هو الله سبحانه، فانسب له النعم وحده تشرف عند ربك، وكل ما مدحت الله كثيراً وأثنيت عليه الله يحبك، فدائماً اجعل ثناء الله على لسانك، الله أعطانا، والله منحنا، والله رزقنا، تحمد عند الله، وتشكر الله، يقول: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي ﴾[1] يعني لو أن شخصاً، ولله المثل الأعلى لو أعطيته شيئاً ويقول جزاه الله خيراً، فلان أعطاني وفي كل مجلس يقول: جزاه الله خيراً أعطاني، ألا تقول أن ذلك الرجل يشكرني كثيرا ؟ وإلا شخصاً تعطيه ويجحدك، فالله ﷻ يحب من ينسب النعم إليه، بل أمر بذلك ﷻ ويذم من ينسب الإنعام إلى غيره.

(ولولا البط في الدار لأتى اللصوص) كذلك نسبة دفع الضر إلى الطيور والبهائم، هذا من أنواع الشرك، مثل شخص يقول: لولا المكيف لهلكنا، قل لولا الله ثم المكيف، فكم من شخص عند المكيف وهلك .

---

(١) سورة البقرة: ١٥٢.

(**وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت**) -والعياذ بالله- تشريف المشيئة يعني: الله شاء وأنت شئت مثل مشيئة الله ﷻ، وهذا لا يجوز، من أنواع الشرك، ومشيئة الخلق ضعيفة، وهي دون مشيئة الله، ولا يشاء الخلق إلا إذا شاء الله، كما قال ﷻ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] يعني: لو شخص أعطاك وظيفة فتقول له: جزاك الله خيراً، الله شاء وأنت شئت وأعطيتني هذه الهدية، نقول: لا . الله شاء ثم أنت شئت سبب، ولولا الله لم يأذن بمشيئتك لم تشأ شيئاً .

(**وقول الرجل : لولا الله وفلان**) كذلك في العطاء في جلب النفع، مثل شخص يقول: لولا الله والطبيب لكان مات، هذا من أنواع الشرك، لكن تقول لولا الله ثم الطبيب، وكم من مريض أتى طبيب ومات، بل قد يميته الطبيب ،وكم من شخص لا يأتيه طبيب من المرضى ويتعافى، فالله ﷻ هو المنعم وحده؛ لذلك الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2].

(**لا تجعل فيه فلانا**) يعني: لا تقل: لولا الله وفلان ما شاء الله وشئت.

(**هذا كله به شرك**) فدل على أن الألفاظ السابقة من أنواع الشرك التي تقدح في التوحيد، فساق المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب الوحيد؛ لبيان ألفاظ تخفى على بعض الناس تقدح في التوحيد.

---

(١) سورة الإنسان: ٣٠.

(٢) سورة سبأ: ١٣ .

وعن عمر بن الخطاب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله؛ فقد كفر، أو أشرك» [رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم].

هنا قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أن تلك الألفاظ شرك، الآن ذكر لك قول عام وألفاظ وأمثلة من قول ابن عباس، ثم بدأ يستدل ببعض أقوال ابن عباس من السنة، فقال: (**من حلف بغير الله؛ فقد كفر، أو أشرك**).

(**وعن عمر بن الخطاب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: من حلف بغير الله؛ فقد كفر، أو أشرك**) ولو لم يقصد الحلف، فدل على أن الحلف بغير الله -والعياذ بالله- شرك، مثل الحلف بالأمانة بالكعبة بالنبي بالنعمة، ورحمة أبي، ورأس أبي، -والعياذ بالله- كله من ألفاظ الشرك؛ لأن لا يحلف إلا بالمعظم، ولا أعظم من الله ﷻ.

فلما ابن عباس ذكر (**وهو أن تقول والله يا فلانة وحياتك وحياتي**) وقال في آخره (**هذا كله به شرك**) ساق المصنف لبيان حديثاً من السنة لما قال ابن عباس، وهذا من بديع تصنيف المصنف ﵀، يذكر لك أحكام ولا يسوق من كلامه ولا حرفاً واحداً، يعطيك أقوال الصحابة وأحاديث، لكن تأخذ منها الكم الهائل من أمور العقيدة العظيمة النافعة، ولا يسوق ولا حرفاً من كلامه ولا استنباط وإنما رتبها لك وأنت تستنتج وتستنبط ﵀.

وقال ابن مسعود : " لأن أحلف بالله كاذباً، أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً" .

يعني يؤكد لك أن الحلف بغير الله شرك، وأن الصحابة فهموا ذلك فهماً واضحاً، فقال: (**وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كاذبا ، أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا**) يعني اليمين الغموس أخف إثماً، رغم أنها تغمس صاحبها في النار، أخف إثماً من الشرك الأصغر، فلو أن شخصاً قال: والله ما ذهبت إلى فلان، وهو يكذب ذهب، وإذا شخص آخر ما ذهب، وقال: والنبي ما ذهبت، والذي حلف بغير الله صادق، نقول: هذا أشرك، إثمه أعظم من الذي حلف بالله وهو كاذب، فدل على أن الشرك بالله ذنبه أعظم من اليمين الغموس، اليمين الغموس أن يحلف على أمر ماضي عالم متعمد، أما اليمين المستقبلة فتسمى يمين مكفرة .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » [رواه أبو داود بسند صحيح] .

(وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان) كذلك لما ذكر قول ابن عباس السابق **(لولا أنت وفلان)** أو **(ما شاء الله وشئت)** ذكر الحديث للاستدلال عليه، يعني: ذكر حديثا بثبيت ما ذكره ابن عباس رضي الله عنه وهو التشريك في المشيئة.

(ما شاء الله وشئت) ومثله أنا بالله وبك، أو أنا في وجه الله ووجهك، هذا -والعياذ بالله- كله من ألفاظ الشرك، لا يجوز تسوية المخلوق بالخالق بحال أبداً.

(ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان) تقول: ما شاء الله ثم شاء فلان، ما في بأس، مثل: شاء الله عز وجل ثم شاء فلان بأن زوجني ابنته.

وعن إبراهيم النخعي : " أنه يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك . ويقول : لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا : لولا الله وفلان " .

(**وعن إبراهيم النخعي : أنه يكره**) المراد يكره عند السلف أي يرى التحريم وجاء في القرآن الكراهة بمعنى التحريم الله ﷻ لما ذكر مناه كثير قال ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾[1] (**أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك**) يعني: لا يجوز أن يقول ذلك، وإنما يقول: أعوذ بالله ثم بك، فالمجير هو الله وحده، وإذا كان هناك أحد تسبب في إجارتك من المخلوقين، تقول ثم بك (**ويجوز أن يقول : بالله ثم بك**) يعني: يرى جواز بالله ثم بك؛ لأنه أتى ب(**ثم**) ثم تفيد الترتيب والتراخي يعني: الله أولاً، ثم بعد ذلك يأتي ما قدمه المخلوق لك (**ويقول : لولا الله ثم فلان**) يعني لا يقول الله وفلان الله ثم فلان (**ولا تقولوا : لولا الله وفلان**) كل ذلك من ألفاظ الشرك، لولا الله وفلان ما شاء وشئت وهكذا.

---

(١) سورة الإسراء: ٣٨.

باب
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

الله ﷻ هو المعظم في القلوب، وإن حلف به فليرض من حلف بالله سبحانه من أجل المحلوف به، وهو الله تعالى، ومن لم يعظم المحلوف به، فهذا قدح في التوحيد، والمحلوف به هو الله ﷻ ، فمن تعظيم الله ﷻ الرضى بمن حلف به وهو الله ﷻ ، ولما كان تعظيم الله ﷻ في القلوب من التوحيد فما ضاد ذلك من عدم التعظيم قدح في التوحيد؛ لذلك ساق المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد .

والمقصود (**فيمن لم يقنع بالحلف بالله**) سواء في حال الخصومات، فإذا حلف المدع عليه اليمين ولم يقنع المدعي بالحكم لما حلف اليمين، فهذا وعيد شديد لمن لم يقنع بمن حلف بالله؛ لذلك قال: (**ومن لم يرض فليس من الله**) أو أن تكون اليمين في غير الخصومات، كأن يحلف رجل لآخر، بأن يقول له: زرتك، والآخر يقول: لا أنت ما زرتني، فيحلف بالله العظيم أنه زارك، فأنت ترض بما قال، ولو حلف لك بأنه أعطاك مئة ريال في غير الخصومات عند غير القاضي، فحلف بذلك، فرضي بما حلف به تعظيماً لله.

وفي صحيح مسلم: لما حلف رجل لعيسى عليه السلام بخلاف ما رآه عيسى فقال عيسى عليه السلام : آمنت بالله وكذبت بصري، يعني: ما دام أنك حلفت فأنا أرض بما

حلفت به تعظيماً للمحلوف به، يعني: إذا حلف لك أي شخص بأي أمر ترض تقول: ما دام أنك حلفت الأمر انتهى؛ تعظيماً لله ﷻ، ولو حلف لك شخص ولم ترض بيمينه، فليس هذا من تعظيم الله، وهذا قدح في التوحيد، حتى ولو تعلم أنه كاذب، ترض، تقول: ما دام حلفت رضيت .

عن ابن عمر ﭭ **أن سول الله** ﷺ **قال : «لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله »** [رواه ابن ماجه بسند حسن] .

(**عن ابن عمر** ﭭ **أن سول الله** ﷺ **قال : لا تحلفوا بآبائكم**) النهي ليس بالآباء فحسب، بل بغير الله عموماً، فهذا لفظ ليس حصراً على الآباء بل الحلف بالآباء أو بالكعبة والأمانة ونحو ذلك.

(**من حلف بالله فليصدق**) يعني: من أراد أن يحلف بالله فليصدق، من كان كاذباً في يمينه -فالعياذ بالله- هي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار، وليس لها كفارة؛ لعظم إثمها، فليس لها سوى التوبة.

(**ومن حلف له بالله فليرض**) هذا الشاهد، تقول: آمنت بالله الذي قلته صحيح، حتى ولو تعلم أنه كاذب، أو رأيت خلاف ذلك ببصرك أو سمعت بسمعك خلاف ذلك فارض، تعظيماً لله، وهذا من تعظيم الله في القلب ﷻ .

(**ومن لم يرض فليس من الله**) هذا الوعيد يدل أن فيه قدح في التوحيد، ومن لم يرض بما حلف بالله (**ومن لم يرض فليس من الله**) وهذه اللفظة تجرى على ظاهرها أشد في الوعيد والترهيب.

والمصنف لم يذكر سوى هذا الحديث لبيان أن من لم يرض بما حلف له بالله فهو قدح في توحيده .

باب
قول : ما شاء الله وشئت

أي تشريك في المشيئة وهذا ينقسم أي نسبة المشيئة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يقول الشخص ما شاء الله وشئت، يشرك مشيئة المخلوق مع مشيئة الخالق، كأن يقول الشخص ما شاء الله وشئت في إعطائي هذا المال، يعني: أو تقول هذا بمشيئة الله ومشيئتك، وهذا -والعياذ بالله- شرك، فإن كان المتلفظ يقصد أن مشيئة المخلوق مساوية لمشيئة الخالق فهو شرك أكبر، وإن كان لا يقصد ذلك فهو شرك أصغر؛ لأن هذا اللفظ من ألفاظ الشرك الأصغر.

القسم الثاني : أن يقول: ما شاء الله ثم شئت، يعني: يأتي بحرف العطف ثم، وهي للترتيب والتراخي، يعني الله ﷻ هو الذي شاء أولاً، ثم أنت بعد ذلك شئت بعد مشيئة الله، فهذا اللفظ لا بأس به، يجوز .

القسم الثالث : أن يقول الشخص: ما شاء الله وحده، هو الذي أنعم علي بهذه النعم، وهو الذي رزقني هذا المولود، وهذا اللفظ أكمل الألفاظ، والمراد بالمشيئة هنا يعني: الإرادة، يعني: هذا بإرادة الله ثم إرادتك، مثل لو شخص حملت زوجته ثم ولدت، فلو قال شخص: هذا بمشيئة الله وبمشيئة زوجتي التي أتت بالمولود، هذا شرك، ولو قال شخص: هذا بمشيئة الله ثم بمشيئة زوجتي هي

التي حملت بهذا المولود وتعبت فيه، نقول: هذا يجوز؛ لأنه متراخي عن مشيئة الله، ولو قال شخص: هذا بمشيئة الله وحده، وزوجتي هي فقط سبب، هذا اللفظ أكمل الألفاظ .

والمصنف رحمه الله ذكر ثلاثة أحاديث في هذا الباب، الحديث الأول حديث قتيلة؛ لبيان أن لفظ ما شاء الله وشئت من الشرك؛ لذلك في الشاهد قال: (**إنكم تشركون**) فساق الحديث الأول لبيان أن هذه اللفظة شرك .

ثم بعد ذلك ساق حديث ابن عباس؛ لبيان لماذا كانت شركاً علل بذلك (**أجعلتني لله ندا**) يعني هذا فيَّ مضاها مع الله .

ثم بعد ذلك ساق حديث الطفيل؛ لبيان اللفظ الأكمل، وهو (**لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد**) بل (**ما شاء الله وحده**) .

عن قتيلة : " أن يهوديا أتى النبي ﷺ ، فقال: إنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت" رواه النسائي وصححه.

(**عن قتيلة : أن يهودياً أتى النبي ﷺ ، فقال : إنكم تشركون**) هذا يدل على أن اليهود عندهم علم، لكن لا يعملون بعلمهم، والله قال عنهم: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[١] يعني يعرفون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأن هذا هو محمد ورسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومع ذلك مثل ما يعرف الرجل ابن هذا خالد صالح، ومع ذلك يكفرون به، فهم عندهم علم، والله يقول: ﴿ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾[٢] ويدل هذا الحديث أيضاً على أن اليهود يعرفون الشرك فهو قال: (**إنكم تشركون**) ويدل هذا الحديث أيضاً على أن بعض المشركين يعرف أن هذا العمل عمل شرك، لكنه لا يجتنبه، هذا اليهودي يعلم أنه شرك، يقول للصحابة أنه شرك، وهو واقع في شرك أعظم منه .

(**تقولون : ما شاء الله وشئت**) ويدل هذا الحديث أيضاً على أن اتباع الهوى من الأعداء يخرج ما عند الآخرين من معايب، فهذا اليهودي أخرج لفظة شركية من ألفاظ الشرك الأصغر، وقال أن الصحابة وقعوا فيه، ما هذه اللفظة (**تقولون :**

---

(١) سورة البقرة: ١٤٦.

(٢) سورة الجاثية: ١٧.

ما شاء الله وشئت) فدل أيضاً على أن الشرك الأصغر قد يخفى على بعض المسلمين، كما نبه هذا اليهودي على تلك اللفظة، ويدل أيضاً على أن تحريم بعض ألفاظ الشرك الأصغر أتت متأخرة، كما سيأتي بإذن الله، في حديث الطفيل، ويدل أيضاً أن اليهود يثبتون صفة من صفات الله وهي المشيئة، ما شاء الله وشاء محمد، يعني: ما وقع من خير وفضل ورزق ودفع ضر هو بمشيئة الله وإرادته وإرادة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وهذا اللفظة شركية.

(وتقولون : والكعبة) يعني: تحلفون بغير الله، تقولون: والكعبة، وإن كانت الكعبة معظمة عند المسلمين بالتوجه إليها في الصلاة، لكن لا تعظم فوق ما جعلها الشرع قبلة للمسلمين، فلا تجعل لله ندا.

(فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة) يعني: يحلف برب الكعبة وهو الله ﷻ ، يعني: لا يحلفون بغير الله، ويدل هذا الحديث أيضاً على وجوب إنكار تلك الألفاظ لأن النبي ﷺ أمرهم أن يقولوا: ورب الكعبة، وكذا من سمع لفظاً شركياً لا يقتصر على النهي عنه، بل يبين الصواب، فلما كانوا يحلفون بالكعبة، قال النبي ﷺ قولوا: ورب الكعبة، وكذا إذا سمعت رجلا يقول والنبي، قل له: قل ورب النبي، تصحح له تلك اللفظة الشركية.

(وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت) هذه اللفظة الصحيحة بدل اللفظة الشركية السابقة، ما شاء الله وشئت [**رواه النسائي وصححه**] .

وله أيضاً : عن ابن عباس ﭬ أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ، فقال : «جعلتني لله ندا؟! قل : ما شاء الله وحده».

يذكر هنا لماذا نهي عن تلك اللفظة؟ وهي أن في ذلك مساواة المخلوق بالخالق (**وله أيضاً : عن ابن عباس ﭬ أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت**) يعني: بهذا بمشيئة الله ومشيئتك وهذا غير صحيح لأن الله يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1] مشيئة العبد تحت مشيئة الله، ومشيئة الله نافذة، ومشيئة العبد ضعيفة لا تقع إلا إذا شاء الله وقوعها.

(**فقال : أجعلتني لله ندا**) يعني: جعلتني مضاهياً لله وأنا مخلوق، فهذا لفظ شرك، فقوله: (**أجعلتني لله ندا**) دل على أنه شرك.

(**قل : ما شاء الله وحده**) تصحيح اللفظة الأكمل، قل: ما شاء الله وحده، لكن ساقها المصنف؛ لبيان المقصد الأول؛ لأن المقصد الثاني سيأتي في حديث الطفيل .

---

(١) سورة الإنسان: ٣٠.

ولابن ماجه : عن الطفيل – أخي عائشة لأمها – قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله . قالوا : وأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا : وأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت ؛ أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ؛ فقال : «هل أخبرت بها أحدا؟» قلت: نعم .قال : فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : «أما بعد ؛ فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أني أنهاكم عنها؛ فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده» .

هنا الآن يذكر الحديث الثالث في اللفظة الأكمل قولوا : ما شاء الله وحده

(**ولابن ماجه : عن الطفيل – أخي عائشة لأمها – قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود**) هذه رؤيا رآه الصحابي نأخذ بها، أن النبي ﷺ أقرها، وكذا الأذان رؤيا رآه الصحابة كعمرو بن عبدالله بن زيد، فنأخذ به؛ لأن النبي ﷺ أقره، فلو أن شخصاً رأى رؤيا وقال: رأيت رؤيا أن عدد ركعات صلاة العصر ثلاثة ركعات، لا نأخذ به، نقول: التشريع انتهى، فهنا النبي ﷺ أقر تلك الرؤيا، والإقرار من التشريع، وإقرار النبي ﷺ من التشريع.

(**قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود**) يعني: مررت بمجموعة من

اليهود.

(**فقلت : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله**) يعني: أنتم القوم الممدحون، فعندكم علم، وأتاكم أنبياء كثر، كما قال ﷻ ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[1] فالله ﷻ فضلهم، لكن لم يعملوا بعلمهم فذموا.

(**إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله**) يعني: ما أحسنكم لولا وقع الشرك فيكم، فرد عليه اليهود، وهذا في الرؤيا .

(**قالوا : وأنتم القوم**) يعني الصحابة.

(**لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد**) يعني: تقعون في الشرك بهذه اللفظة، يعني: أن اليهود يعلمون أن هذه اللفظة شرك .

(**ثم مررت بنفر من النصارى ، فقلت : إنكم أنتم القوم**) يعني الممدحون وأنتم قبل هذه الأمة، وأتاكم نبي في خلقه آية من آيات الله لا أب، فيمدحهم أنتم القوم الممدحون.

(**لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله**) يعني: لكن وقعتوا في الشرك .

(**قالوا**) يعني النفر من النصارى في الرؤيا يقولون لهذا الصحابي: (**وأنتم القوم**) يا هذه الأمة (**لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد**) فدل حتى

(١) سورة يونس: ٩٣.

النصارى وهم أهل جهل يعملون أن تلك اللفظة لفظة شرك .

(فلما أصبحت ؛ أخبرت بها من أخبرت) يعني من الصحابة.

(ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته) وكان الصحابة يخبرون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن رؤاهم، في صحيح البخاري النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان في كل صلاة صبح يقول: هل رأى أحد منكم رؤيا.

(فقال : هل أخبرت بها أحدا؟ قلت: نعم . قال: فحمد الله، وأثنى عليه) وهذا يدل على مشروعية حمد الله والثناء عليه في بداية الخطب، أو الدروس، أو الكلمات.

(ثم قال : أما بعد) ولم يرد عن النبي ﷺ أنه في الخطبة يقول بعد المقدمة وبعد، وإنما أما بعد **(فإن طفيلا)** راوي الحديث **(رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة)** وهي ما شاء الله وشئت **(كان يمنعني كذا وكذا)** يعني يمنعني أن الله لم يأمرني بنهيكم عن تلك الكلمة، فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يبلغ شيئاً إلا بأمر الله، فلم يبلغ بتبليغ تلك الكلمة **(أني أنهاكم عنها)** وهذا يدل أن بعض ألفاظ الشرك الأصغر أتت متأخرة في النهي عنها، أما الشرك الأكبر فهو أساس الدعوة **(فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا : ما شاء الله وحده)** يعني هذا اللفظ الأكمل .

ويكون المصنف قد انتهى من باب قول: ما شاء الله وشئت .

باب
من سب الدهر ؛ فقد آذى الله

الله ﷻ هو المتصرف في الكون بليله ونهاره، وقره وحره، وما فيه من رزق أو جدب، فكل ذلك بقدرته وقوته وقهره وملكوته ﷻ ، ومن سب شيئاً من أفعال الله، فقد سب الله ﷻ ، ومثال ذلك: ولله المثل الأعلى، لو أن شخص كلما مر على بيتك يسب بناء بيتك وإن كان جميلاً، فهذا سب لصاحب البيت وإيذاء له، وأفعال الله ﷻ تجري بحكمته وعلمه وقدره ﷻ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1] وذكر الدهر، والمراد بالدهر سواء بالزمان من ليل ونهار، أو ما يحدث فيه من حر وبرد، أو ما فيه من خلق مثل خلق الأشجار وأحجار والبهائم وغير ذلك، وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن ينسب تصريف ما في الكون إلى الدهر بسببه، فيسب الدهر فهذا -والعياذ بالله- شرك أكبر .

القسم الثاني : أن يسب الدهر بذم ما فيه من حره وقلة ثماره مثلاً، وغير ذلك، وهذا محرم، ومن أجل ذلك ساق المصنف هذا الباب؛ لأنه ليس من تعظيم

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٣.

الله أن تسب ما خلقه الله من الدهر.

القسم الثالث : وصف الدهر بمدح أو قدح، هذا لا بأس به جائز، فمن وصفه بالذم، كما قال سبحانه ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾[(١)] فوصفت تلك السنين بأنها شداد، فلا بأس، وكما قال سبحانه ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ ﴾[(٢)] فوصف اليوم بأنه نحس، وفي آية أخرى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ﴾[(٣)] وكذا لو قال شخص يوم ممطر يجوز، ويوم بارد يجوز، وهكذا، فوصفه لا بأس به، والذم هو الذي لا يجوز، مثل لو قال شخص ما هذا الحر الشديد الذي أتانا ونحن لا نريد الحر، وما هذا البرد الشديد الذي لا نتحمله ولا نطيقه، من باب الذم له، هذا لا يجوز، وليس من تعظيم الله سبحانه .

والمصنف رحمه الله ذكر آية ثم حديثاً ثم أثراً ثم حديثاً. الآية الأولى ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾[(٤)] لبيان أن نسبة ما يحدث في الكون من إحياء وإماتة للدهر من معتقدات الجاهلية .

ثم بعد ذلك ذكر حديث «**يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر**» فدل على أن سب

---

(١) سورة يوسف: ٤٨.

(٢) سورة القمر: ١٩.

(٣) سورة فصلت: ١٦.

(٤) سورة الجاثية: ٢٤.

الدهر فيه أذية لله . ثم بعد ذلك ذكر حديث «**لا تسبوا الدهر**» وهو النهي عن سب الدهر .

إذن من معتقدات الجاهلية سبب المنع أنه أذية لله، والسبب الثاني: لما كان معتقدات الجاهلية وأنه أذية لله، جاء النص بتحريم تلك اللفظة، ومثل ذلك ما هذه السيول الجارفة التي أتت، وما هذا الفيضان الشديد من باب الذم للدهر، هذا كله لا يجوز، من قوادح التوحيد؛ لأن أفعال تجري على حكمته الباهرة وتدبيره العظيم سبحانه وتعالى .

وقول الله : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ ﴾[1] الآية .

﴿ وَقَالُواْ ﴾ أي: المشركون من مشركي قريش وغيرهم سواء من أهل الكتاب أو من غيرهم من الوثنين.

﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ يعني: أن المدبر لذلك هو الدهر والزمان، ولا مالك لأحد في التدبير سوى الدهر، ولا شك هذا إلحاد، والمصنف ساقه بأن نسبة الأفعال أفعل الدهر معتقدات المشركين، إذن ما دام أن أفعل نسبة الأفعال للدهر من أفعال المشركين، فالمسلم ينسب الأفعال التي تقع في الدهر لله، وإذا كانت لله لا يذمها .

---

(١) سورة الجاثية: ٢٤.

في الصحيح : عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال : «قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدي الأمر ؛ أقلب الليل والنهار ».

(**في الصحيح : عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى**) وهذا يدل على أن الله ﷿ يتكلم ﷻ .

(**يؤذيني ابن آدم**) يعني: بسبب تلك اللفظة المحرمة، وهذه اللفظة أذية لكن لا يستطيع أحداً من البشر أن يضر الله، ولو تكلم ليل نهار، كما قال الله ﷿ في الحديث القدسي (**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني**) ومثل هذه الأذية أيضاً عبادة غير الله، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الصحيح (**لا أحد أصبر على أذىً سمعه من الله يخلقهم ويرزقهم ويعبدون معي غيري**) .

(**يسب الدهر**) يعني ما يحدث في الدهر من أفعال وأحداث، مثل لو قال شخص: ما هذه الزلازل الكثيرة مالذي يحدث، فهذا فيه سب للدهر.

(**وأنا الدهر**) تفسرها اللفظة التي بعدها (**بيدي الأمر**) وهذا يدل على أن الدهر ليس من أسماء الله سبحانه، لو كان من أسماء الله لما نهي عن ذلك، كما سيأتي (**وأنا الدهر بيدي الأمر**) يعني: أنا مالك الدهر.

(**أقلب الليل والنهار**) كما أشاء ﷻ .

وفي رواية : **" لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر "** .

(وفي رواية : لا تسبوا الدهر) فدل على أن الدهر ليس من أسماء الله، ولو كان الدهر من أسماء الله لما نهي عن نسبة الإحياء والإماتة إليه ﴿ **وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾[1] فلو كان الدهر من أسماء الله لقالوا: وما يهلكنا إلا الله، لم يذموا، هذا توحيد لكن ذموا لأن الدهر ليس من أسماء الله **(فإن الله هو الدهر)** وهنا ساق المصنف هذه اللفظة لبيان أنه محرم **(لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر)** يعني مدبر الدهر والمتصرف فيه كيف شاء سبحانه وتعالى .

---

(١) سورة الجاثية: ٢٤.

باب
التسمي بقاضي القضاة ونحوه

يعني باب ما جاء من النهي عن (**التسمي**) بلفظ (**بقاضي القضاة ونحوه**) وفي هذا الباب يذكر المصنف ﷺ الألقاب المحرمة التي لا يجوز أن تطلق على المخلوقين؛ لأنها خاصة بالله، وسيأتي في الباب التي بعده تحريم الأسماء (**باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك**) التي لا تليق إلا بالله من باب الأكمل، كما سيأتي.

والله ﷻ له الكمال المطلق في الأسماء والصفات، وله ﷻ المدح المطلق، ومن أعطي الكمال المطلق من البشر حرم ذلك اللفظ؛ لذلك قال: (**باب التسمي بقاضي القضاة**) لقب قاضي يجوز، لكن قاضي القضاة هو رب العالمين، فالكمال المطلق هو لله (**ونحوه**) مثل سلطان السلاطين، ومثل ملك الملوك، فمن باب تعظيم الله يوصف الله بالكمال المطلق، والقدح في ذلك بأن يعطى تلك الصفات للمخلوق، هذا قدح في التوحيد.

والمصنف ﷺ ساق في هذا الباب حديث، ثم قول سفيان، ثم بين السبب في ذلك.

الحديث الأول قال (**إن اخنع اسم عند الله : رجل يسمى ملك الأملاك**)

يعني أردى اسم هو ملك الأملاك كما سيأتي .

ثم بعد ذلك ذكر قول سفيان في بيان أن ذلك الوصف حتى ولو كان بغير اللغة العربية يحرم؛ لذلك قال مثل: **(شاهان شاه)** يعني ملك الأملاك بالفارسية .

ثم بعد ذلك ذكر حديث أن الذي يتسمى بذلك الاسم هو أوضع رجل عند الله وأخبثه، فالأول ذم الاسم ذم اللقب ملك الأملاك، وفي الحديث الثاني ذم ذلك الرجل الذي تسمى به وهذا من بديع تصنيف المصنف رحمه الله .

في الصحيح : عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «إن اخنع اسم عند الله : رجل يسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله ».

(**في الصحيح : عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : إن اخنع اسم عند الله**) يعني أوضع اسم وأردى اسم، وهذا من المعاملة بنقيض القصد، أراد تعظيم نفسه بأمر هو لله، فكان ما تسمى به جعل أوضع اسم وأردى اسم.

(**رجل يسمى ملك الأملاك**) باللقب ملك الأملاك، سلطان السلاطين وهكذا (**لا مالك**) الملك المطلق (**إلا الله**) ﷻ ، لكن لفظة سلطان ما فيه بأس، لفظة ملك ما فيه بأس، لفظة قاضي ما فيه بأس، لكن الكمال المطلق في ذلك كسلطان السلاطين وهكذا .

قال سفيان : " مثل : شاهان شاه " .

(**قال سفيان : مثل : شاهان شاه**) يعني ملك الملك، حتى ولو بغير اللغة العربية لا يجوز ذلك اللقب .

وفي رواية : «أغيظ رجل على الله يوم القيامة ، وأخبثه ».

(**وفي رواية : أغيظ رجل على الله يوم القيامة ، وأخبثه**) وأحقر رجل الذي سمى بذلك الاسم، فالاسم قبيح، والمتسمي به قبيح .

قوله : " أخنع " يعني : أوضع .

باب
احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

هنا يذكر أن حتى الأسماء التي لا تليق إلا بالله، تغير الأول في الألقاب، وهنا في الأسماء والأسماء تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: لا يجوز إطلاقه إلا على الله وحده، مثل: **(الله – الرحمن – القدوس)** وهكذا.

القسم الثاني: يطلق على الله، ويجوز إطلاقه على غيره مثل: **(الكريم)** فالملائكة وصفة أيضاً أنهم كرام ﴿مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[1] ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾[2] **(ورجل كريم)**، ومثل: **(عزيز)** يجوز إطلاقه على الله وعلى البشر، فمن إطلاقه على الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3] ومن إطلاقه للبشر ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ﴾[4].

---

(١) سورة يوسف: ٣١.

(٢) سورة عبس: ١٦.

(٣) سورة النحل: ٦٠.

(٤) سورة يوسف: ٣٠.

القسم الثالث : يطلق على الله ﷻ إذا كان من غير تقيد، وبالإضافة يجوز إطلاقه إلى غير الله، مثل كلمة (**الرب**) فالرب لا يطلق إلا على الله، وإذا أضيف يجوز إطلاقه على غير الله، فتقول: رب الدار ورب المال ورب الضالة، وهكذا .

القسم الرابع : يجوز إطلاقه على الله وعلى غيره، لكن الأولى أن يغير ذلك الاسم احترام لله، مثل: (**الحكم**) وهو الذي بوب عليه المصنف ؒ في باب تعظيم الله، أن كل لقب تعظيم يجعل لله؛ لذلك الحكم لله سبحانه، كما قال ﷻ : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾[1] فإذا قيل: الحكم، نقول الأولى أن يغير ذلك الاسم، لكن الحاكم ما فيه بأس، هذا حاكم، لكن الحكم كأنه الحكم له .

(١) سورة يوسف: ٤٠.

عن أبي شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي ﷺ : «إن الله هو الحكم ، وإليه الحكم، فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء ؛ أتوني ، فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين ، فقال: ما أحسن هذا! فما لك من الولد؟ قلت : شريح ، ومسلم ، وعبدالله ، قال : فمن أكبرهم؟ قلت : شريح ، قال : فأنت أبو شريح » [رواه أبو داود وغيره] .

(**عن أبي شريح : أنه كان يكنى أبا الحكم**) الكنية ما صدر بأب أو أم، يعني يكنونه بأبي الحكم (**فقال له النبي ﷺ : إن الله هو الحكم**) سبحانه وتعالى يعني يتحاكم إليه.

(**وإليه الحكم**) هو الذي يشرع لعباده ما شاء من الأحكام.

(**فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء ؛ أتوني فحكمت بينهم**) يعني سبب تسميته بأبي الحكم بهذا السبب.

(**فرضي كلا الفريقين ، فقال : ما أحسن هذا!**) يعني ما أحسن هذا الصلح العمل الذي تقوم به ويرضى به الطرفان.

(**فما لك من الولد؟ قلت : شريح ، ومسلم ، وعبدالله ، قال : فمن أكبرهم؟ قلت : شريح ، قال : فأنت أبو شريح**) هذا يدل على أن السنة أن يكنى الرجل بأكبر أولاده (**قال فما لك من الولد قلت شريح قال فأنت أبو شريح**) .

فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ غير من أبا الحكم إلى أبي شريح تعظيما لله؛ لذلك قال: (**إن الله هو الحكم ، وإليه الحكم**) [**رواه أبو داود وغيره**].

ويكون المصنف رحمه الله قد ختم هذا الباب .



باب
من هزل بشيء فيه ذكر الله ، أو القرآن ، أو الرسول

أي باب ما جاء في التغليظ والوعيد على من صدر منه شيء من ذلك، وأن كفر بالله العظيم، وهذا الدين دين عظيم، والله ﷻ عظيم، والنبي عليه الصلاة والسلام عظيم، وآيات الله ﷻ عظيمة، من هزل بشيء من ذلك كفر، فهو سبحانه القوي المتين الكبير العلي الذي لا أكبر منه سبحانه وتعالى ، له العلو والقدرة والقهر والذات، من هزل به أو سخر به سبحانه وتعالى كفر، من كمال جبروته سبحانه، كيف لا، وهو الذي أنعم على الخلق ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** ﴾[1] وهم الضعفاء، وهو الذي أغناهم، فمن سخر به كفر سبحانه وتعالى .

وهذا الدين بلغه الله ﷻ لجبريل، وجبريل نزل به النبي عليه الصلاة والسلام ، فيه مصالح للعباد، وفيه كيف يعبدون الله وكيف يعظمونه، وهو دليلهم إلى الجنة، ومن عظمته من وقع فيه كفر، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول (**ولن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه**) فهو دين قوي، إن شددت ما فيه من أحكام أو غلو، يغلبك ما تستطيع إن أردت أن تواصل تهلك في الوصال مثلاً، وإن طعنت فيه تهلك، والسعيد من عظم هذا الدين وعمل به، ومدح دين الله، كما مدحه الله سبحانه:

(١) سورة الجاثية: ١٣.

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾[(١)].

والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو المبلغ عن الله، وهو عبد من عباد الله أشرف العباد، سخر نفسه للدين ولتبليغ الخلق، وأوذي مع ما يبلغه الأذية العظيمة، فصبر، فمن طعن فيه كفر، ولذلك قال الشيخ رحمه الله في نواقض الإسلام: **(السادس: من استهزء بشيء من دين الله أو الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر)** وهذا بالإجماع.

والمصنف رحمه الله ذكر آية لبيان كثر من استهزأ بشيء من ذلك. ثم ذكر القصة التي نزلت بسببها الآية والسخرية والاستهزاء من قديم، والله عز وجل يقول ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبۡلِكَ﴾[(٢)] فإن رأيت سخرية في الله أو بالدين أو بالرسل أو باتباعهم، هذه سنة الله الجارية، الخاسر من استهزأ، والرابح المستهزئ به الصابر.

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٠.

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[١].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ وهم المنافقون كما سيأتي﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ يعني: لم نقصد ذلك، والسخرية في الألفاظ لا ينظر إليها في المقاصد، فلو أن شخصاً سخر بالله أو بالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو بدين الله، كسخرية مثلاً بالحجاب، أو السخرية بالقصاص، أو قطع اليد ونحو ذلك، هذه إن قالها مسلم ردة -والعياذ بالله-، لو قال شخص: أنا سخرت بالحجاب، لكن لا أقصد السخرية، نقول: حتى لو ما تقصد فهذه اللفظة لفظة كفرية، توقع الشخص في الردة -والعياذ بالله- لذلك قال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ ما نقصد الطعن في الدين أو أهل الدين من الصحابة، كما سيأتي، الله قال ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ حتى لو كنتم تخوضون وتلعبوا ولم تقصدوا الطعن في الدين ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فدل على أنهم كان عندهم إيمان ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ والعياذ بالله، فمن أسرع ما يخرج به المرء من الدين هي السخرية بالله، أو دين الله، أو

---

(١) سورة التوبة: ٦٥.

بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو السخرية بصحابته، كما في سبب نزول هذه الآية، ولما كانت السخرية بما سبق كفر بالله العظيم، ساق المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد .

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم ، وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض – : " أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ؛ أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء – يعني : رسول الله ﷺ وأصحابه القراء – . فقال له عوف بن مالك : كذبت ؛ ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه . فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب ؛ نقطع به عنا الطريق . قال ابن عمر: كأني أنظر إليه؛ متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول : ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ، فيقول له رسول الله ﷺ : ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ؛ ما يلتفت إليه ، وما يزيده عليه " .

(**عن ابن عمر، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض –**) يعني: أكمل الألفاظ بعضها ببعض، يعني ساق هذا قصة وهذا قصة وهذا قصة وأدخل تلك القصص في قصة واحد مكملة.

(أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء) انظر من المتكلم المتكلمون مع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومع صحابته، وتكلموا بهذه الكلمة، وهم يقومون عمل عظيم للإسلام، وهو الجهاد في سبيل الله، وعملهم هذا لم يكن في المدينة، بل تحملوا المشاق في شدة الحر، وذهبوا إلى تبوك، ومع ذلك الدين قوي قالوا تلك الكلمة، فنزلت من السماء ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم ﴾ حتى ولو أنهم يعملون أعمال فاضلة.

(ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء) يعني: يقصد الصحابة يسخر بالصحابة ﷺ وأرضاهم.

(أرغب بطونا) يعني يأكلون كثيراً، يقدح في الصحابة بالكذب.

(ولا أكذب ألسنا) -والعياذ بالله- يعني: يقدح بالصحابة بالكذب ﷺ وأرضاهم.

(ولا أجبن عند اللقاء) يعني: أنهم ليسوا شجعاء، بل هم الشجعان هم الذين فتحوا الآفاق، ووصلوا إلى أقصى ما يمكن وصوله في عصرهم إلى تبوك، ودخل الناس في دين الله أفواجا في فترة وجيزة، في ثلاث وعشرين سنة من بعثة النبي ﷺ دخل الناس في دين الله أفواجاً، وليس هذا بفضل الله ثم بشجاعة الصحابة لا شك **(يعني : رسول الله ﷺ وأصحابه القراء)** لما قدح فيهم كفر .

(فقال له عوف بن مالك : كذبت ؛ ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ)

بما قلته كلمة عظيم كفر الصحابة كانوا يعجبون من شجاعة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ .

(**فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه**) يعني: سبقه بذكر ما وقع منه من تلك اللفظة الفظيعة، وهي السخرية بالنبي ﷺ وصحابته .

(**فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله ! إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب ؛ نقطع به عنا الطريق**) يعني أتى إلى النبي ﷺ والنبي ﷺ قد ركب ناقته، وهو متعلق بنسعة ناقة النبي ﷺ متعلق بالخطام، ويقول للنبي ﷺ إنا كنا نتحدث حديث الركب، يعني نقطع الطريق به عنا، ما نقصد السخرية حقيقة، وإنما نمزح بهذا الكلام .

(**قال ابن عمر: كأني أنظر إليه؛ متعلقا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ**) يعني الزمام (**وإن الحجارة تنكب رجليه**) يعني: الدابة بحركتها تحرك حجراً وهي تسير، وهي تضرب قدم ذلك الرجل الذي قال تلك المقالة.

(**وهو يقول : ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ، فيقول له رسول الله ﷺ : ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ ؛ ما يلتفت إليه ، وما يزيده عليه**) يعني أعوذ بالله؛ لأنها كلمة عظيمة، يعني: أن هذا الاعتذار لن ينفعك -والعياذ بالله- .

ويكون المصنف رحمه الله قد انتهى من هذا الباب، فيجب على المسلم أن يحفظ

لسانه عن السخرية أو من الاستهزاء، وكل ما عظم المسلم ربه ومدحه ومدح دينه عظم وشرف وعلا، وكذا إذا قام بحقوق النبي ﷺ وأعطاه ما أوجبه الشرع له وابتعد عما ينقص من قدر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، إن سار على ذلك فهو أسعد البشر، وليحذر المسلم من الطعن في دين الله أو رسوله، أو دين الطعن في دين الله من سخرية أو احتقار ونحو ذلك .



باب ما جاء في قول الله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾[(١)] **الآية**

بوب المصنف رحمه الله على هذا الباب آية، وسبب إيراده هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لبيان أن نسبة النعم للعبد أن سبب إسدائها هو بجهده وعمله، يعني: لم ينسب النعم إلى الله عز وجل ، وإنما نسب إسدائها لنفسه، والفرق بين هذا الباب وبين باب سابق، وهو قوله (**باب قول الله عز وجل:** ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾[(٢)] أن ذاك في إنكار النعم، فيقول هذا مالي ورثته عن آبائي، وأما هذا الباب فهو ينسب النعم إلى الله، ولكن يقول أن سبب إسداء النعم هو أنا .

والمصنف رحمه الله ساق آيتين . الآية الأولى في بيان أن جنس الإنسان ينسب إسداء النعم إلى غير الله سبحانه؛ لذلك قال ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ ﴾ أي جنس الإنسان وهذا طبع الإنسان، ولكن الدين يهذب المرء، فيجعل إسداء النعم إلى الله، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله (**كان شيخ الإسلام** رحمه الله **إذا أعانة شخصاً فقال ذلك معان هذا منك قال ما منا شيء**) وقال: هذا عملاً بما جاء في القرآن، كما قوله سبحانه:

(١) سورة فصلت: ٥٠.

(٢) سورة النحل: ٨٣.

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[(١)] فساق آية في بيان جنس الإنسان .

ثم فسر ما هي أقوال عموم الناس بعد إصابتهم النعم من بعد ضراء، فمنهم من يقول: ساق قول مجاهد: (**هذا بعملي**) يعني: لو أن شخصاً كان عنده مال فيقول هذا ما جمعته من مال من جهدي وذكائي ومعرفتي بالمكاسب. (**وأنا محقوق به**) يعني: وأهل، لذلك وذكر أثر ابن عباس ﷺ في تفسير، هذا لي (**يريد : من عندي**) يعني: لأني مستحق لذلك .

ثم ساق آية أخرى؛ لبيان أفراد من بني آدم نسبوا إسداء النعم إلى مجهودهم، وهو قارون قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[(٢)] قال قتادة (**على علم مني بوجوه المكاسب**) يعني قارون يقول: أوتيت هذا العلم؛ لأني أعرف كيف أجمع هذا المال، وقال غيره: أنا أهل لذلك أو (**على شرف**) يعني: أوتيت هذا المال على شرف بعلو نسبي وجاه، ونحو ذلك كما سيأتي .

ثم بعد ذلك ذكر حديث أبي هريرة، وفيه أن من نسب النعم إلى الله فجازه أن الله يرضى عنه، ومن نسب النعم إلى غير الله فجازه سخط الله عليه؛ لذلك قال في آخره: (**فقد رضي عنك ، وسخط على صاحبيك**) .

---

(١) سورة النحل: ٥٣.

(٢) سورة القصص: ٧٨.

باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾[1] **الآية.**

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ ﴾ يعني الإنسان ﴿ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ يعني خيراً سواء مالاً أو عافية أو جاهاً أو غير ذلك ﴿ مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ فينسب النعم إليه، فمثلاً لو شخص عين في منصب قال: نعم؛ لأن نسبي عال، أو نجح في الامتحان، يقول: نعم، لأني ذكي وهكذا، وهذا فيه تحذير في نسبة سبب إسداء استحقاق النعم للعبد، وإنما يقول الشخص: هذا من الله وليس مني شيء؛ لأن ذلك منافي لكمال التوحيد .

قال مجاهد : " هذا بعملي ، وأنا محقوق به " .

(**قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به**) يعني: ما أوتيته من نعم بسببي أنا، ومثله قول بعض الناس إذا أعطي شيئاً قال: هذا رجل يستاهل هذا الأمر، وكذا ضده، لو مرض شخص يقال حرام يمرض هذا الشخص، كل ذلك من هذا الباب منافي لكمال التوحيد .

---

(١) سورة فصلت: ٥٠.

وقال ابن عباس : " يريد : من عندي " .

(**وقال ابن عباس : يريد : من عندي**) يقول أن هذا لي تفسير، يعني: هذا من عندي بسبب عملي، هذا الآن انتهى من ذكر آية لبيان جنس الإنسان لعموم الناس، كما قال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾[1] يعني جنس الإنسان، لكن الهلع هذا يخف أو يزول بالمحافظة على الصلاة، وبالإنفاق، وحفظ الفرج، وغير ذلك من الصفات الواردة في سورة المعارج .

(١) سورة المعارج: ١٩.

وقوله : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[1] .

الآن يأتي إلى ذكر أفراد نسبوا استحقاق النعم من الله إلى أنفسهم، وهو قارون، فقد أعطي من المال شيئاً كثيراً، حتى قال سبحانه: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾[2] يعني: إن مفتاح خزائن كنوزه من طولها وشدتها لا يستطيع أن يحمل المفتاح إلا الأقوياء من الرجال، وكأن الله ﷻ يقول: فما ظنك بالخزائن لكثرتها، فوضع ذلك المخزن الكبير لمفتاح كبير، فأبوابه واسعة، فكيف بما هو داخل في ذلك، ومع ذلك ما شكر نعمة الله، قال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ وكما قال الله في سورة الزمر ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٩﴾[3] .

قال قتادة : " على علم مني بوجوه المكاسب " .

(**قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب**) يعني: أن قارون افتخر وقال: أعطيت هذا المال لأني أعرف كيف أجمع هذا المال، ولم ينسب ذلك إلى الله ﷻ .

---

(١) سورة القصص: ٧٨.

(٢) سورة القصص: ٧٦.

(٣) سورة الزمر: ٤٩.

وقال آخرون : " على علم من الله أني له أهل " .

وهذا معنى قول مجاهد : " أوتيته على شرف " .

(**وقال آخرون**) مثل ابن جرير والبغوي في تفسيره وكذلك السدي (**على علم من الله أني له أهل**) يعني: أنا أستاهل ذلك المال (**وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف**) يعني أوتيته لأن نسبي عال وجاه كبير، فالله أعطاني هذا المال، نقول: لا، الرزق لا ينظر فيه إلى نسب وإلى جنس من ذكر أو أنثى، ولا إلى صغير ولا إلى كبير، وإنما الرزق بيد الله ﷻ كما قال سبحانه ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾[1].

---

(١) سورة الرعد: ٢٦.

وعن أبي هريرة ﵁ : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى فأراد الله أن يبتليهم ، فبعث إليهم ملكا ، فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس . قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطي لونا حسنا ، وجلدا حسنا ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر – شك إسحاق – . فأعطي ناقة عشراء ، وقال : بارك الله لك فيها. قال : فأتى الأقرع ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس . قال : فمسحه ، فذهب عنه ، وأعطي شعرا حسنا ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل . فأعطي بقرة حاملا ، وقال : بارك الله لك فيها. قال : فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس. قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدا. فأنتج هذان ، وولد هذا ؛ فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ؛ فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال ، بعيرا أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأني أعرفك ! ألم تكن أبرص يقذرك الناس ؛ فقيرا فأعطاك الله ؟! فقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر ، فقال : إن كنت كاذبا ؛ فصيرك الله إلى ما كنت . قال : وأتى الأقرع في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذبا ؛ فصيرك الله إلى ما كنت . قال : وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل ،

انقطعت بي الحبال في سفري ؛ فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك ، شاة أتبلغ بها في سفري . فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله . فقال : أمسك مالك ؛ فإنما ابتليتم ؛ فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك » [أخرجاه].

هنا يذكر الحديث؛ لبيان عاقبة من شكر النعم، وهو الأعمى، كما سيأتي ومن جحدها وهما الأقرع والأبرص، حيث قالا: (**هذا مالي ورثته كابرا عن كابر**) فقال النبي ﷺ (**وسخط على صاحبيك**)، وهذا حديث عظيم ذكر فيه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قصة ثلاثة من بني إسرائيل، أقرع وأبرص وأعمى، ابتلاهم الله ﷻ بمرض، ثم أزال عنهم المرض وأعطاهم النعم، فلم يشكر ذلك إلا القليل منهم وهو الأعمى، وجحد النعم الأقرع والأبرص، وهذا كما قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1] .

(**وعن أبي هريرة** رضي الله عنه : **أنه سمع رسول الله** ﷺ **يقول : إن ثلاثة من بني إسرائيل**) كثيراً ما كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يقص قصص بني إسرائيل على أصحابه؛ لقرب زمن بني إسرائيل من هذه الأمة (**أبرص**) وهو معروف بياض في الجلد (**وأقرع**) زوال شعر الرأس (**وأعمى**) فقدان بصر العينين.

---

(١) سورة سبأ: ١٣.

(**فأراد الله أن يبتليهم**) يعني يختبرهم ليجازي من شكر، وليعذب من كفر، والله ﷻ من فضله لا يعذب حتى لو كان يعلم سبحانه كفر من سيكفر، لا يعذبه حتى يظهر منه الكفر، فهذا الأبرص والأقرع الله ﷻ علم أزلاً بأنهما سيكفرون النعمة، لكن لم يستحقا العقاب إلا بعد ما ظهر منهما كفرا النعمة .

(**فبعث إليهم ملكا**) لم يسمِّ هذا الملك، وكذلك لم يسمِّ هؤلاء الثلاثة، قال ابن حجر: (**لئلا تكون غيبة لهم، وإنما ذكر أوصافهم**) فإذا ذكر وصف شخص لا يعرف، لا يكون ذلك من باب الغيبة، وذكر النبي ﷺ ذلك لأصحابه من باب العظة والعبرة والتذكرة، الله ﷻ قال ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] والله ﷻ قال: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[2] يعني أن القصص السابقة أحكامها أيضاً تسر على هذه الأمة، ما لم يدل دليل على اقتصاص تلك الأمة بها، فقصص هؤلاء الثلاثة يجازى ويعاقب بها من فعل ذلك من هذه الأمة أيضاً، قال سبحانه: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأعراف: ١٧٦ .

(٢) سورة يونس: ٩٤.

(٣) سورة الأحزاب: ٦٢ .

(**فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك**) ابتلاهم الله ﷻ بشيء ظاهر عليهم؛ ليكون أوقع في شكر النعمة لمن كان قلبه متيقظاً؛ لأن هذه الأوصاف الثلاثة يراه الناس بكثرة، فدل على أن زوال بعض النعم من البشر قد يؤثر في النفس، فاختار الله ﷻ لابتلاء هؤلاء الثلاثة لما يرون فيه من نقص على الآخرين، أول ما ابتلي الأبرص (**فقال : أي شيء أحب إليك قال : لون حسن**) يعني لون معتاد (**وجلد حسن**) يعني: لا بقع فيه؛ لأن هذا يؤثر في نفسه بكثرة ما يراه الناس فيه (**ويذهب عني الذي قد قذرني الناس**) يعني: استقذرني الناس بسببه وابتعدوا عني، فدل على أن طبيعة الناس القرب ممن حباهم الله من الجمال، والبعد عمن نزع عنهم شيء من الحسن والجمال، ويدل على أن الله ﷻ هو الذي يقسم صور الخلائق منها ما هو حسن ومنها ما هو دون ذلك، ابتلاء منه سبحانه وحكمة .

(**قال : فمسحه**) يعني: الملك (**فذهب عنه قذره**) بعد أن كان مستحيل زواله، ولكن آية من آيات الله زال عنه ذلك، ولقصور البشر لم يعرف هؤلاء الثلاثة أن ذلك كان آية من آيات الله، ولم يشكوا في أن ذلك ملك، ومع ظاهر صنيعهم أن هذه قدرة لا يصل إليها البشر إلا تأييد من الله، فمسح عليه فبرأ، ومع ذلك لم يستيقظ بأنه قد يكون مرسل من الله.

(**وأعطي لونا حسنا ، وجلدا حسنا**) فدل على أن النفس تهوى اللون الحسن وكذلك الجلد الحسن، وكل جنس ما يهوى من اللون.

(**قال : فأي المال أحب إليك**) هو الآن أتت نعمة عظيمة وهي زوال البرص عنه، ولابتلاء الله ﷻ وكرمه بعد أن أزال عنه البرص أعطاه مالاً كثيراً، ومع ذلك جحد النعمتين.

(**قال : الإبل أو البقر – شك إسحاق –** .) هو الراوي عن عبدالرحمن بن أبي عميرة، وعبدالرحمن بن أبي عميرة يروي عن أبي هريرة، فإسحاق شك هل الأبرص طلب الإبل أو البقر، وهذا من كرم الله ﷻ أن أعطاه أحسن المال الذي طلبه، ويدل أيضاً على تفاوت مطامع البشر، من منهم من يريد الإبل، ومنهم من يريد البقر، ومنهم -كما سيأتي- الغنم، ولذلك نفس الفقير لا تهوى من أعطي مالاً كثيراً، وإنما يريد شيئاً يسيراً، فيدل أيضاً على قناعة البشر إن أعطوا شيئاً يزول عنهم ما هم فيه.

(**فأعطي ناقة عشراء**) يعني: ناقة حاملا (**وقال : بارك الله لك فيها**) أعطي الناقة ودعا الملك له بالبركة، ودعاء الملائكة مستجاب، فبارك الله في تلك الإبل حتى أصبحت تملأ الوادي لكثرتها، وهذ من كرم الله ﷻ أنه يرزق من يشاء بغير حساب .

(**قال : فأتى الأقرع ، فقال : أي شيء أحب إليك**) فدل على أن الإنسان ينظر إلى ما يعاب فيه أول ما ينظر إليه، فلو أتيت إلى مقطوع القدم، ماذا تريد؟ يقول قدمي، ما يقول المال، ولو أتيت إلى شخص مريض في قلبه، يقول: أريد

شفاء قلبي، ولا يقول مثلاً منزلاً أو نكاحاً ونحو ذلك، يعني المقصود يدل على ضعف بني آدم، فإنه إن أصيب بشيء لم ينظر إلا على نقص ذلك الشيء.

(**قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس**) يعني أمنية الأقرع الفقير، قال فقط أريد شعراً، فدل على ضعف البشر، ويدل أيضاً على تمام قدرة الله ﷻ، فالشيء اليسير في جسم بني آدم لا يستطيع أن يكمله إذا لم يرد الله ﷻ إكماله، فشعرات يسيرة في الرأس لو اجتمع الإنس على وجودها لما استطاعوا .

(**قال : فمسحه ، فذهب عنه**) يعني القرع، فنبت الشعر بإذن الله.

(**وأعطي شعراً حسناً، قال: فأي المال أحب إليك**) يعني لا تسأل عن حسن الشعر لما أعطي بعد القرع، ومع ذلك لما زال عنه ما يشتكيه، قال ماذا تريد من مال أيضاً؟

(**قال: البقر أو الإبل . فأعطي بقرة حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها**) يعني دعا الملك كذلك بالبركة .

(**قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك**) وهذا يدل على أن الأعمى عمى البصر لا عمى البصيرة؛ لذلك لا يفلح في ذلك الابتلاء سوى هذا الأعمى، مع شدة ابتلائه؛ لأنه لا يبصر، وأولئك أخف ابتلاء، لكن جحدوا نعمة الله ونسبوا المال لأنفسهم، كما سيأتي.

(**قال : أن يرد الله إلي بصري ، فأبصر به الناس**) نظر ما هو نقص فيه وهو

البصر، قد لا يكون عنده أولاد مثلاً أو مسكن، لكن نظر الشيء الذي فيه نقص في خلقته .

(**قال : فمسحه ، فرد الله إليه بصره**) وهذا يدل على آيات الله ﷻ في خلقه أعمى ثم يبصر بمجرد المسح على العين.

(**قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم. فأعطي شاة والدا**) قيل يعني حاملا وقيل تلد (**شاة والدا**) يعني: معها ولدها، فانظر إلى أن من شكر هذه هو الذي طلب الشيء اليسير شاة، أما ذاك الأبرص إبلا، والأقرع طلب بقرا، وهذا طلب شيء يسير مع شدة ابتلائه عنهما .

(**فأنتج هذان**) يعني ما عند الأبرص والأقرع (**وولد هذا**) يعني ولد غنم هذا الأعمى يعني كثرة (**فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم**) وهذا من فضل الله ﷻ يرزق بعد فقر، والله ﷻ إذا أعطى لم يرد عطاؤه أحد .

(**قال : ثم إنه أتى الأبرص في صورته**) التي هي عليها الأبرص مثلاً أو الأقرع (**وهيئته**) يعني الفقر (**فقال : رجل مسكين**) يعني فقير، وذكر شدة المسكنة بأنه على فقر قد انقطعت بي الحيل، فليس عند أحد لأني في سفر، وهذا يدل على شدة حاله. (**قد انقطعت بي الحبال في سفري**) يعني الأسباب للرزق والعطاء، فما عند أحد يعطيني؛ لأني غريب وفي الطريق (**فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك**) يعني

ليس أحد يحقق مرادي من العطاء إلا الله ﷻ ثم أنت، فدل على أن طلب شيء من الآخرين بكلمة ثم لا بأس بها، فلو شخص ذهب إلى مدير الجامعة فقال: لن يحقق أملي إلا الله ﷻ ثم أنت، نقول: ما فيه بأس، لكن إذا حذف ثم لا يجوز، وقال وبك لا يجوز.

(**أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن**) يذكر الأبرص، يذكره بالنقمة التي هو كان فيها وهو البرص؛ ليستعطفه مثل أتى شخص إلى غني يقول: أسألك بالله الذي أعطاك بعد أن كنت فقيراً ومريضاً وضعيفاً .

(**بعيراً أتبلغ به في سفري**) يعني قال أنا في الطريق ما عندي شيء أريد بعيرا واحدا، ومع ذلك أعتذر (**فقال : الحقوق كثيرة**) يعني يطالبني ناس بحقوق كثيرة، فعلي مستحقات، وهذا عذر جل الأغنياء إلى اليوم، فيقول ليس عندي الآن ما أعطيك إياه، أو يقول أنا مطالب بأموال وهكذا .

(**فقال له : كأني أعرفك**) يريد أن يذكره يصرح له الآن (**ألم تكن أبرص يقذرك الناس؛ فقيرا فأعطاك الله فقال : إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر**) هذا الشاهد نسب استحقاق النعم إليه بأخذه المال عن آبائه السابقين الشرفاء، فلم يقل: هذا المال بفضل الله، وإنما نسب هذا المال واستحقاقه إلى الأكابر، فلو مثلاً قال شخص لآخر: أنت طالب علم، فيقول: نعم؛ لأن آبائي طلاب علم، أو من أهل العلم، نقول: هذا من الباب. ولو قال شخص: أنت أعطاك الله من المال،

فيقول: نعم؛ لأني عائش في أسرة ثرية، هذا من هذا الباب، ما يقول هذا من فضل الله علي.

(**فقال : إن كنت كاذباً**) بأن الحقوق عليك كثيرة (**فصيرك الله إلى ما كنت**) أن تعود أبرص وهذا يدل على جواز تعليق الدعاء، وتعليق الدعاء ينقسم إلى قسمين :

إما أن تعلقه بحال الشخص، هذا يجوز، مثل هذا الحديث: إن كنت كاذباً فصيرك إلى ما كنت، ومثلها أيضاً لو شخص فقير أتاك وقال: أنا أريد مالاً لأني مريض، فيجوز أن تقول: إن كنت كاذبا في ذلك فاسأل الله أن يميتك، هذا تعليق إن كنت، فهذا جائز .

والنوع الثاني: تعليق مختص بربوبية الله ﷻ ، وهذا لا يجوز من التعدي، مثال ذلك لو قال شخص: إن كان في سابق علمك هدايته فاهده، وإن كان في سابق علمك أن تضله فأهلكه واقسم ظهره، وهكذا، هنا علق ذلك بخصائص الربوبية العلم الكامل، وهذا لا يجوز، وهو من التعدي في الدعاء، ومثله أيضاً: أسأل الله ﷻ إن كان كاتب لك الهداية أن يهديك، وإن كان ما كتب الهداية أن يميتك ونرتاح منك، هذا لا يجوز، من التعدي في الدعاء .

(**قال : وأتى الأقرع في صورته**) انظر من التحول الآن في صورة الملك، مرة يأتي في صورة رجل، ومرة يأتيه أبرص، ومرة يأتيه أقرع، ومرة يأتيه أعمى،

وهكذا، وهذا يدل على قدرة الله ﷻ، ويدل أيضاً على أن من جند الله ﷻ الملائكة وإن كانوا يأتون بالخير فهم ابتلاء لك في بعض الأحيان، يعني كل نعمة تنزل عليك فاحذرها بأن تجحدها، فاشكرها، فإذا كانت قطرات المطر سبب كفر بني آدم، فما ظنك بالنعم الكثيرة الوافرة الغزيرة، فهي أدعى -والعياذ بالله- لبعض الناس إلى كفرانها، والله ﷻ يقول ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[1] **(فقال له مثل ما قال لهذا)** يعني مسكين وابن سبيل، تقطعت بي الحبال، فلا بلاغ لي إلا بالله ثم بك، فقال: بقرة أتبلغ بها فقال الحقوق كثيرة **(ورد عليه مثل ما رد عليه هذا)** يعني قال له الحقوق كثيرة **(فقال : إن كنت كاذباً ؛ فصيرك الله إلى ما كنت)** يعني أعاد عليك القرع والفقر .

(قال : وأتى الأعمى في صورته) أعمى **(وهيئته)** فقير **(فقال : رجل مسكين وابن سبيل)** فإذا قال شخص هل هذا الحديث يدل على التمثيل؛ لأن الملك مرة يأتي أبرص: ومرة أقرع، ومرة أعمى، ومرة يأتي وليس فيه شيء، فيدل هذا جواز التمثيل؟ نقول: لا، هذا بقدرة الله وأمره، أما التمثيل شخص يقول: أنا فلان وهو ليس بفلان، هذا كذب، أو يقول مثلاً: خالد بن الوليد، نقول: هذا كذب؛ لأن هذا ليس بأمر الله بأن تكون تتقمص شخصية غيرك، أما الملك فيتمثل في صورة كذا وكذا بأمر الله.

(١) سورة العلق: ٦ – ٧.

(انقطعت بي الحبال في سفري ؛ فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك ، شاة أتبلغ بها في سفري، (فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري) هذا الأعمى يعترف بالنعم، رضي الله عنه قال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، وكذا لو شخص أغناه الله ﷻ وأتاه فقير يسأله مالاً فيقول: خذ أنا كنت فقيراً مثلك، وهكذا، وهذا من شكر النعم **(فخذ ما شئت ، ودع ما شئت)** يعني: خذ ما شئت من الغنم، ودع ما شئت منها **(فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله)** يعني: لا أمنعك من أي شيء أخذته لله في حاجتك، وقيل: لا أمنعك إذا أخذت شاة وأردت ردها وتأخذ غيرها، خذ منها فلا أمنعك شيئاً من ذلك .

(فقال: أمسك مالك) يعني لا أريد شاة؛ لأنه ملك ماذا يريد بها، كما الأول والثاني لم يأخذ منهما شيء لأنه منعاه. **(فإنما ابتليتم فقد رضي عنك)** أيها الأعمى **(وسخط على صاحبيك)** الأبرص والأقرع، فدل على قلة جنس الشاكرين، وكثرة من يسدي النعم إلى الله ﷻ، وهذا أيضاً الشاهد الآخر وهو أن من نسب النعم إلى الله، فقد حقق سبب من أسباب الرضى، ومن نسب النعم إلى غير الله بأن قال كابر عن كابر وغير ذلك، كان سبب من أسباب سخط الله ﷻ ، ويدل على إثبات صفتين لله ﷻ : الصفة الأولى: الرضى هذا ما يليق بجلاله وعظمته، والصفة الثانية: السخط.

ويكون المصنف رحمه الله قد ختم هذا الباب .



باب قول الله تعالى :

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾[1] الآية

ساق المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لبيان تحريم التعبيد لغير الله عز وجل ، ألم تحقق فيه العبودية، وإن حقق فيه العبودية فهو شرك أكبر -والعياذ بالله- ومعنى ذلك: مثل لو قال شخص عبد النبي أو عبد الكعبة أو عبد الدار، وهكذا، فهذا نوع من أنواع الشرك .

والمصنف رحمه الله ساق هذه الآية، وهي قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ لبيان أن تحريم التسمي بالتعبيد لغير الله من أنواع الشرك . ثم بعد ساق المصنف قول ابن حزم في التحريم في ذلك . ثم ساق قول ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الآية بأنهما لما سمياه عبد الحارث وقع في الشرك . ساق بعد ذلك قول قتادة لبيان أن هذا الشرك من شرك الطاعة، وليس من شرك العبادة. ثم بعد ذلك ذكر سبب شرك الطاعة الذي وقع فيه وهو اشفقا ألا يكون إنسانا .

وقوله ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ كما سيأتي أن هذا من الانتقال من النوع إلى الجنس -كما سيأتي إن شاء الله- في أثر ابن عباس

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٠.

ومعنى الآية أولها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ يعني: آدم لما وطيء حواء ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ أي نطفة ثم علقة ثم مضغة لم يكبر الجنين، ثم بعد ذلك انتقل إلى جنس بني آدم مما وقع في وليس آدم وحواء ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ بتسمية ولدهما ما طلبه إبليس منهما، وليس المقصود آدم وحواء، وهذا الانتقال مثل قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[1] جنس ثم نوع ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾.

(١) سورة الملك: ٥.

قال ابن حزم : " اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله ؛ كعبد عمرو ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب " .

(**قال ابن حزم : اتفقوا**) يعني أجمعوا (**على تحريم كل اسم معبد لغير الله**) يعني: لا يجوز أن تقول عبد إلا وبعدها اسم من أسماء الله، مثل عبدالله وعبدالرحمن وعبدالعزيز وعبدالحكيم وهكذا، ولا تقول عبد زيد وعبد خالد وهكذا، لما فيه من إيهام التشريك في العبودية لله ﷻ ، مثل: عبد النبي محرم بالإجماع، كما ساق ابن حزم؛ لأنه يوهم بأن النبي ﷺ مستحق للعبادة، كما أن الله ﷻ مستحقها، فقلت عبد النبي يعني يعبد النبي كما يعبد الله -والعياذ بالله- (**كعبد عمرو ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك**) مثل عبدالنبي وعبدالرسول وعبدالحسين وعبد علي وهكذا .

(**حاشا عبد المطلب**) يعني إلا عبد المطلب فجاز تسميته بذلك؛ لأنه أصله خبر ومعنى، هذا أن جد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو عبد المطلب اسمه شيبة، فعمه سافر به من مكة إلى المدينة، وكان غلاماً صغيراً، والمطلب لما كان مع شيبة ظنوا أن شيبة الغلام الصغير هذا ظنوه عبد للمطلب، أي رقيق له مولى له، فقالوا هذا المطلب وهذا عبد المطلب، وليس من العبودية المستحقة لله، وإنما الرق، لذلك لم يجمعوا العلماء على تحريم ذلك؛ لأن المقصود به خبراً، فظنوه أنه مولى

للمطلب، والدليل على استثناء ذلك النبي ﷺ قال: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب**» ولو قال شخص: هل معنى ذلك أنه يجوز لي أن أسمي ابني عبدالمطلب؟ نقول: لا، ذلك خاص بجد النبي ﷺ لأنهم ظنوا أنه مولى له، أما غيره الآن فلا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية ؛ قال : «لما تغشاها آدم ؛ حملت ، فأتاهما إبليس ، فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ، لتطيعني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك، فيشقه، ولأفعلن ، ولأفعلن – يخوفهما – ، سمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله ، فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا. ثم حملت ، فأتاهما فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث ؛ فذلك قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾[1] » [رواه ابن أبي حاتم] .

الآن لما ذكر أنه شرك ثم أنه محرم بالاتفاق يذكر ما هو الذي كان سبب الشرك في هذه الآية، وهو التسمية بعبد الحارث؛ لأنه قيل الحارث اسم من أسماء إبليس، فقال لهما -كما سيأتي- سميا ابنكما تعبيد لي عبدالحارث، قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾[2] يعني: كأنه يقول قولوا عبد إبليس .

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية ؛ قال: لما تغشاها آدم؛ حملت) يعني وطئها **(فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعني أو لأجعلن له قرني أيل)** هو ذكر الوعود، فقال: قرني أيل، يخوفهما، وإلا الجنين لا يكون له قرونا.

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٠.

(**فيخرج من بطنك ، فيشقه ، ولأفعلن ، ولأفعلن**) الثانية ليس توكيداً، وإنما تهديد آخر، ولافعلن شيئاً آخر غير الأول (**سمياه عبد الحارث**) والحارث اسم من أسماء إبليس كما قيل، كأنه يقول سمياه عبد إبليس (**فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتا**) حكمة من الله ﷻ .

(**ثم حملت، فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا**) هذا في المرة الثانية، ثم أتاهم الجنين في المرة الثالثة (**ثم حملت، فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حب الولد**) فهذا شرك الطاعة، فقد أطاعه ولم يعبداه، وإنما قال سمياه عبدالحارث حتى يخرج ولدنا سليماً لم يفعلا ذلك إقرار في نفسهما؛ لأنه مستحق للعبادة، لا، وكذا لو قال شخص عبد النبي، ويقول: أنا لا أقصد أن أعبد النبي، نقول: لا يجوز، حتى ولو لم تقصد ذلك (**فسمياه عبد الحارث ؛ فذلك قوله** : ﴿**جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا**﴾[1]) والصحيح أنهما آدم وحواء، وإنما ذريتهما فالآية في آدم وحواء ثم انتقلت إلى الذرية .

وله بسند صحيح : عن قتادة ؛ قال : "شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته" .

الآن يذكر ما هو نوع الشرك الذي وقعا فيه شرك الطاعة (**وله بسند صحيح: عن قتادة؛ قال: " شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته**) يعني: لم يقولا عبد الحارث لنعبدك ونسجد لك، وإنما أطاعا في ما طلب منه .

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٠.

وله بسند صحيح : عن مجاهد في قوله : ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ **؛ قال : "أشفقا ألا يكون إنسانا " .**

(**وله بسند صحيح : عن مجاهد في قوله :** ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾) يعني ذكر مجاهد هنا لماذا وقعا في شرك الطاعة؟

(**أشفقا ألا يكون إنساناً**) بسبب خشيتهما ألا يخرج بشراً سوياً، وليس عبودية لإبليس، وكذا لو قال شخص: أنا أقول عبدالنبي، لكن ما أقصد أني أعبده، وإنما لأني أحبه. نقول: حتى لو كان ذلك، لا يجوز بالاتفاق.

وذكر معناه عن الحسن ، وسعيد ، وغيرهما .



باب قول الله تعالى :
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾[1] الآية

ذكر المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لبيان أن الإلحاد في أسماء الله عز وجل مناف للتوحيد، والفرق بينه وبين الباب السابق (**باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات**) أن ذاك جحد للأسماء والصفات بالكلية، أما هذه لا يثبتها لكن يحرفها ويتأولها .

والمصنف رحمه الله ذكر ثلاثة أنواع من الإلحاد فيها بالتحريف، إما بالإشراك بها، أو اللات من الإله، وذكر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بأن المصنف رحمه الله ساق هذه الآية أيضاً للرد على من أجاز التبرك بالأموات والقبور ونحو ذلك، وإنما تدعا أسماؤه تعالى ويتوسل بصفاته، ومن التوسل أيضاً التوسل بالأعمال الصالحة، ومن أعظمها التوحيد، وكذا التوسل يجوز بدعاء الصالحين الأحياء، كما كان بعض الصحابة يطلبون من النبي ﷺ أن يغيثهم، وكذا ما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طلب من عم النبي ﷺ أن يستغيث لهم، أما الأموات فلا يجوز، بل من الشرك .

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٠ .

ذكر ابن أبي حاتم: عن ابن عباس: ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ : "يشركون" .

يعني من الإلحاد في أسماء الله الشرك فيها، مثل يقول: الله ﷻ واحد، لكن يشرك في ذلك الاسم ويجعل مع الله ﷻ غيره، وهكذا، ومن ذلك أيضاً أن يطلب الشخص المغفرة من غير الله، فاسمه الغفور يشرك مع الله ﷻ غيره، فيطلب من الميت الفلاني أن يغفر ذنبه ويدخله الجنة، وغير ذلك، فهذا من الإلحاد في أسماء الله.

وعنه : " سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز " .

(**وعنه : سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز**) كذلك هذا من الإلحاد في أسماء الله، أسماء الله ﷻ حسنى بالغة في الحسن والكمال والتمام، وليس منها أن تشتق معبوداتك، فهذا من الإلحاد بها، والواجب في أسماء الله ﷻ إثباتها ومعرفة معناها، والعمل بما تقتضيه تلك الصفة، فمثلاً السمع، تعلم أن الله لا يسمع منك معصية، والبصر لا يرى منك سيئة، وهكذا .

وعن الأعمش : " يدخلون فيها ما ليس منها " .

(**وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها**) هذا النوع الثالث: يدخلون فيها ما ليس منها، فمثلاً يسم الله ﷻ بغير أسمائه، كرشيد والجواد والسخي وهكذا، فلا يجوز أن يثبت لله ﷻ إلا ما أثبته ﷻ لنفسه؛ لأن الأسماء توقيفية .

باب
لا يقال : السلام على الله

أي تحريم قول السلام على الله، والسلام اسم من أسماء الله ﷻ أي السالم من النقائص والعيوب، وإذا دعا شخص لآخر له بسلامة، يعني يا رب سلمه من كل عيب ومكروه وآفة، والله ﷻ هو الذي يدعا ولا يدعا له، فإذا قال شخص: اللهم صلى وسلم على محمد، أي اللهم أثني، هذا معنى صلى وسلم، أي: سلمه مكروه وآفة، ولا يجوز أن يدعى بهذا الدعاء لرب العالمين؛ لأن الله ﷻ هو الذي يدعا ولا يدعا له؛ لأنه هو الكامل الغني القوي القهار .

والمصنف رحمه الله ذكر حديثا فيه النهي عن هذا القول وبيان العلة في ذلك .

في الصحيح : عن ابن مسعود ﵁ قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة ؛ قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقال النبي ﷺ : «لا تقولوا : السلام على الله ؛ فإن الله هو السلام».

(**في الصحيح : عن ابن مسعود ﵁ قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة**) يعني كان في صيغة التشهد كانوا يسلمون على الملائكة، ويسلمون أيضاً على الله ﷻ، فكانوا يقولون: اللهم سلم على فلان وفلان، يعني من الملائكة، وفي رواية: اللهم سلم على جبريل وميكائيل، وأيضاً يقولون: السلام على الله، وهذه اللفظة لا تجوز؛ لأن الله ﷻ غني عن البشر.

(**قلنا : السلام على الله من عباده**) يعني: نحن عبادك ندعوا لك يا رب بالسلامة، وهذا لا يجوز؛ لذلك ساق المصنف ؒ هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لبيان أن في هذا تنقص لجناب الرب سبحانه، وقدح في التوحيد.

(**السلام على فلان**) وفي رواية السلام على جبريل وميكائيل، والسلام على الملائكة يصح، والمصلي يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، يعني في التشهد، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**فإذا قال المصلي ذلك سلم على كل عبد صالح في الأرض وفي السماء**» ويدخل في ذلك الملائكة، وكذا يصح أن تسلم الملائكة على البشر، كما في صحيح البخاري أن جبريل ؑ قال للنبي ﷺ (**أقرئ مني على**

خديجة السلام) هذا ملك يسلم على البشر، يصح، لكن المخلوق على الخالق، لا .

(**فقال النبي ﷺ : " لا تقولوا : السلام على الله ؛ فإن الله هو السلام**) ومنه السلام؛ لذلك كان النبي ﷺ بعد كل فريضة يقول: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام**» فالسلام من الله، ولا نقول يا رب نعطيك سلاماً، وبدعائنا لك بسلامة من الآفات، وغير ذلك .

باب
قول : اللهم اغفر لي إن شئت

أي باب ما جاء في النهي عن هذه اللفظة، وهو تعليق الدعاء بالمشيئة، وتعليق الدعاء بالمشيئة لا يجوز لأمرين :

ذكر المصنف ﵀ الحديث الذي في الصحيح العلة الأولى في ذلك، وهي عدم إجلال الله ﷻ، والعلة الثانية ذكرها في رواية مسلم بقوله: **(وليعظم الرغبة)** أي نهي عن ذلك؛ لما في ذلك ضعف في الرغبة في الدعاء .

وقوله: **(اللهم اغفر لي إن شئت)** يقاس عليها غيرها، مثل: الله يهديك إن شاء الله، ومثل قول الأم لابنها: الله يحفظك إن شاء الله، وكذا قول الأب لولده: الله ينجحك إن شاء الله، كل هذه الألفاظ، لا تجوز؛ لما سيأتي .

في الصحيح: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له».

(**في الصحيح : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا يقولون أحدكم**) هذا للنهي، والنهي يقتضي الفساد.

(**اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت**) هذا من باب التعليق، والعلة هنا: عدم إجلال الله في هذه الرواية (**ليعزم المسألة**) ليحذف المشيئة (**فإن الله لا مكره له**) أي: فإن الله ﷻ ليس له حال يكره أحد على الإنفاق، وحال أخرى حال اختيار ينفق على عباده، وفي هذه اللفظة عدم تعظيم جلال الله، يعني معنى هذا الكلام، لو قال شخص: اللهم اغفر لي إن شئت، يعني: يا رب إذا لم يكن عليك مشقة الآن في المغفرة فاغفر لي، وكذا لو قال شخص أسأل الله يوفقك إن شاء الله، يعني: يا رب إذا لم يكن عليك عدم مانع في توفيقي فافعل، والله ﷻ لا يمنعه شيء؛ لذلك قال النبي ﷻ (**ليعزم المسألة**) يعني: ليحذف المشيئة، وليقبل على الدعاء، فالله ﷻ لا مكره له، فليس له سبب اختيار وسبب إكراه في العطاء، بل هو يعطي من يشاء بغير حساب، متى شاء إذا شاء كيفما شاء ﷻ .

(**ليعزم المسألة**) يعني ليعزم في الدعاء (**فإن الله لا مكره له**) هذه العلة في سبب قول: اللهم اغفر لي إن شئت، وفعل الأمر وفعل الشيء في المستقبل يجب

يعلق بالمشيئة، كما قال سبحانه ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1] هذا تعلق الفعل في المستقبل، فيجب الإتيان بالمشيئة ،وذكر المشيئة على أمر ماضٍ، قال شيخ الإسلام (**هذا من قلة العقل**) مثل لو شخص قال لك: ما اسمك؟ تقول: أنا اسمي إن شاء الله محمد، لا، هذا أمر انتهى، ولو قال لك شخص وأنت متزوج هل أنت متزوج؟ تقول: أنا متزوج إن شاء الله، لا، أنت متزوج، هل أكلت؟ فيقول: أكلت إن شاء الله، لا، فالماضي لا فيه بالمشيئة، لقد شاء الله وانتهى .

والمصنف رحمه الله يتكلم هنا عن الدعاء لا عن الفعل .

---

(١) سورة الكهف: ٢٣ – ٢٤.

ولمسلم : «وليعظم الرغبة ؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه ».

(**ولمسلم : وليعظم الرغبة**) هذه العلة الثانية في تحريم تعليق الدعاء بالمشيئة (**وليعظم**) أي ليقويها، ولا يكن في دعائه ضعف في (**الرغبة**) ومعنى هذا الكلام، لو قال شخص: اللهم ارحمني إن شئت، معنى يا رب أنا لست للرحمة، إن شئت اغفر لي وارحمني، وإن شئت لا تفعل ذلك، هذا معناه؛ لذلك قال الرسول ﷺ (**وليعظم الرغبة**) ومثل ذلك أيضاً، لو ذهب رجل إلى الطبيب وهو مريض، فقال: داوني إن شئت، إن أردت تداوني داوني، وإن لم ترد فلا تفعل ذلك، فهذا فيه ضعف في إرادة الطلب، وكذا لو شخص كان محتاجاً للدخول في الجامعة مثلاً، فلو ذهب إلى المسؤول فيها وقال: إن شئت اقبلني وإن شئت لا تقبلني، هذا فيه ضعف في الرغبة، كذلك تعليق الدعاء في المشيئة فيه ضعف رغبة، وإنما يدعو الله ﷻ وهو مقبل على الدعاء يحسن الظن به سبحانه وتعالى .

(**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**) يعني: لا تقل إن شئت يا ربي وليس عليك كلفة، أعطني مالاً كثيراً هذا معناه، وإنما ليعظم الرغبة يا رب أعطني مالاً كثيراً أريد، فالله سبحانه هو الغني الحميد ذو الفضل العظيم سبحانه .



باب
لا يقول : عبدي وأمتي

هذا النهي لما فيه إيهام التشريك في الربوبية، وعندنا ألفاظ في النسب للعبد وكذا الأمَة، إما أن يضيفها إلى ياء المتكلم، فهذا النهي فيه، لا يقل وضئ ربك أطعم ربك، أو للمخاطبة، والنوع الثاني: أن يضاف إلى غير الضمير، فيقال: هذا عبد زيد، وهذه أمَة خالد، فهذا يجوز، لكن لا تنبغي هذه اللفظة، وإنما يقال هذا عبد لفلان مثلاً، في النهي في الإضافة .

والمصنف رحمه الله ذكر حديثا فيه تصحيح الألفاظ، من العبد والأمة للسيد، وكذا ألفاظ السيد للعبد أو الأمة .

في الصحيح : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «لا يقل أحدكم : أطعم ربك ، وضئ ربك ، وليقل : سيدي ومولاي .

ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي ».

هنا الآن يتكلم عن ما يقال للعبيد، وكذا العبد، لا يقال: هذا ربي، وكذا الأمة لا يقال: هذا ربي؛ لأن الرب إذا أطلق فيراد به الله ﷻ ، أو إذا أضيف فيه إيهام التشريك، وأما الإضافة إلى الحيوانات والجمادات فهذا جائز، مثل لو قال رب الدار، ورب الدابة، فهذا يجوز، أما النسبة إلى بني آدم هو ما ذكره المصنف وهو على قسمين:

إما أن يضاف إلى ضمير، وهذا لا يجوز، وإما أن يضاف اسم ظاهر. قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله (**وهذا لا ينبغي**) .

(**في الصحيح : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : لا يقل أحدكم : أطعم ربك**) يعني أعطه طعاما (**وضئ ربك**) يعني أعنه على الوضوء، ثم بعد ذلك ذكر النبي ﷺ اللفظة المصححة لذلك.

(**وليقل : سيدي ومولاي**) يعني: ليقل العبد لسيده هذا سيدي، وهذا مولاي، ولفظ السيد لا يخلو إما أن يكون هذا اللقب لكافر من مسلم، وهذا لا يجوز، فلا يقول مسلم لكافر هذا سيدي، وكذا لا يجوز أن توصف السيادة للمنافق، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (**لا يقولن أحدكم للمنافق يا سيد فإنكم إن فعلتم**

ذلك فقد أغضبتم ربكم) وأما الكفار للكافر أو المنافق للمنافق فيجوز إطلاق هذا اللقب عليه، قال سبحانه عن أهل النار ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا - جمع سيد - وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[1] وأما إطلاق السيد من مسلم إلى مسلم فهذا لا بأس به، ولكن الأفضل تركه، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما قيل له: **(وأنت سيدنا وابن سيدنا قال فإن الله هو السيد)** فالأفضل ترك هذا اللفظ، وقلنا الأفضل، ولم نقل للتحريم؛ لأن النبي ﷺ قال **(أنا سيد ولد آدم ولا فخر)** والأفضل ترك هذه اللفظة من الحر إلى الحر ومن العبد لمالكه، فتجوز هذه اللفظة، كما قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **(وليقل : سيدي ومولاي)** اللفظ الثاني: مولاي، كذلك المولى الأفضل ترك هذه اللفظة من الحر إلى الحر، وتجوز من العبد للحر لمالكه، لهذا الحديث **(سيدي ومولاي)** الآن انتهى من لفظ العبد للسيد الآن العكس .

(ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي) هذا السيد لا يقول عبدي بالإضافة، وأمتي بالإضافة، وإنما يقول مثلاً هذا عبد لي؛ لأن اللفظة الأولى فيه إيهام التشريك، هو عبد لله وعبد لك أيضاً، وإنما تقول عبد لي من باب الإخبار، وهذا قيل عبد لفلان يصح **(وليقل)** السيد هذا **(فتاي)** وهذه **(فتاتي)** ويقول للعبد هذا **(غلامي)** وهذا أكمل الألفاظ .

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٧.

باب
لا يرد من سأل بالله

والمقصود من سأل بالله: أسألك بالله أن تعطيني مثلاً كذا: والسؤال بالله ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول :إما أن يكون سؤالاً في أمر واجب: كمن له حق لآخر مثل دينه بمبلغ ولم يعطيه، فلو قال له: أسألك بالله أن تعطيني حقي، فهذا يجب أن تعطيه حقه؛ لأنه سألك بالله وله حق عندك .

القسم الثاني : أن يسألك عن أمر مندوب، مثل لو طلب منك شخص أن يقرأ في كتابك مثلاً، وقال: أسألك بالله أن أقرأ في كتابك، فهنا إجلال لله ﷻ وتعظيماً له سبحانه أن تعطيه ما سأل؛ لأنه سألك بالله، وهذا مقيد بالاستطاعة وعدم الضرر، فلو مثلاً قال لك: اسألك بالله أن تعطيني سيارتك، نقول: لا يلوم ذلك؛ لأنه قد يكون فيه ضرر عليك، وكذا لو قال: اسألك بالله أن تزوجني، وفي ذلك ضرر، لا يلزم أن يجاب لذلك .

فمن سأل بأمر مندوب يندب أن تجيبه، بل بعضهم قال: يجب أن تعطيه سؤله إجلالاً لله ﷻ ؛ لذلك قال المصنف: (**باب لا يرد من سأل بالله**) إعظاما وإجلالا لله سبحانه وتعالى . والمصنف رحمه الله ذكر حديثا في ذلك في النهي في ذلك .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه ؛ فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » رواه أبو داود ، والنسائي ، بإسناد صحيح .

(عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " من استعاذ بالله فأعيذوه) كذلك من استعاذ بالله من شخص ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : إما أن يستعيذ بالله منه في شيء واجب، فيجب أن يعاذ، مثل لو استعاذت امرأة من رجل يريد بها شراً، فيجب أن تعاذ، قالت مريم عليها السلام: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[1] وكذا لو قالت امرأة: أعوذ بالله منك أن تنظر إلي، يجب ألا تنظر إليها .

القسم الثاني : أن تستعيذ في أمر مندوب، فهذا يندب إجابته، وقيل: يجب مثلاً لما استعاذت الجنية من النبي ﷺ قالت: أعوذ بالله منك، قال لها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : **«لقد عذتي بمعاذ، الحقي بأهلك»** .

(ومن سأل بالله فأعطوه) هذا هو الشاهد، وهذا على التقسيم السابق، إما في

---

(١) سورة مريم: ١٨.

أمر واجب، أو في أمر مندوب.

(**ومن دعاكم فأجيبوه**) هذا عام في وليمة العرس أو في غيرها، كما في صحيح مسلم فمن دعي يجب أن يجيب الدعوة، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ (**ومن لم يجيب فقد عصى الله ورسوله**) وهذا أيضاً مقيد بالاستطاعة وعدم الضرر، وألا يكون هناك منكر، والنبي ﷺ قال: (**حق المسلم على المسلم خمس، قال: وإذا دعاك فأجبه**) .

(**ومن صنع إليكم معروفا**) يعني إسداء إليكم (**فكافئوه**) يعني أعطوه بقدر ما صنع وزيادة ذلك، قال مكافأة ليس عن قدر، وإنما يزيد أيضاً أفضل (**فإن لم تجدوا ما تكافئونه**) يعني: إذا لم يكن عندك ما تكافؤه به (**فادعوا له**) والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: (**من صنع إلى أخيه معروفا فقال، جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء**) وهذه أفضل من كلمة مثلاً شكراً، ونحو ذلك (**حتى تروا أنكم قد كافأتموه**) دل على أن المشروع تكرار الدعاء على قدر قضاء الحاجة، فإذا كانت الحاجة يسيرة يكفي فيه مرة أو مرتين، على قدر تفريج كربة ذلك المكروب، وإذا كانت الكربة كبيرة ولم تجد ما تكافؤه به أكثر من الدعاء .

(**حتى تروا أنكم قد كافأتموه**) وهذا من سهولة الإسلام وفضل الله ﷻ؛ لأنه لم يجعل كل عمل يكافؤه مال، وإنما إذا لم يجد مالاً يكافؤه بالدعاء، وهذا يدل أيضاً على أن الله ﷻ قد يسر للفقير أبواباً أخرى يعيش بها مع مجتمعه، فمن أسدى

إليك شيء يدعو له، والأفضل أن من دعا لك، كما قالت عائشة تعيد له الدعوة، فلو قال لك شخص: جزاك الله خيراً، تقول: وإياك، ولو قال: أدخلك الله الجنة على ما قدمته لي من خير، تقول: وإياك؛ لأنه إذا دعا لك كافأك وضعف شيء من الأجر على الله، وإذا رددت له الدعوة أنت كافأته على دعوته، ويبقى ثواب ما عملته له من خير، ولهذا كانت عائشة: إذا صنعت طعاماً لفقير تقول لخادمها: إذا أعطيته فانتظر بما يدعو لك، حتى ندعو له بمثل ما دعا لنا به، ويبقى أجرنا على الله، فلو قال لها: جزاك الله خيراً، تقول عائشة: وإياك، ويبقى أجر عائشة على الله لئلا يكافأ أجرها بالدعاء (**رواه أبو داود ، والنسائي ، بإسناد صحيح**) .

باب
لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

هذا الباب الفرق بينه وبين الباب السابق، أن هذا أخص من الأول، هناك يسأل بالله، وهنا يسأل بوجه الله سبحانه وتعالى.

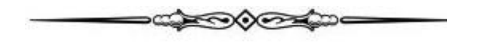
ووجهه سبحانه كريم لا يسأل به في أمر عظيم، وأعظم مبتغى كل عبد هو الجنة، فلا يسأل بوجهه سبحانه إلا هذا الأمر العظيم، أو ما هو موصل إليه، وذلك في الأمور الدينية، فمثلاً لو قال شخص: أسألك بوجهك يا الله أن تدخلني الجنة، نقول يصح، أو بأمر موصل للجنة، مثلاً لو قال شخص: أسألك بوجهك الكريم يا الله أن تجعلني من مقيمي الصلاة، نقول يصح، لأن إقامة الصلاة موصلة للجنة، ولو قال شخص: بوجهك الكريم يا الله أن تيسر لي زواجنا، نقول هذا من الأمور الدنيوية، أو أن اشتري سيارة، نقول: لا، ليس هذا من تعظيم جناب الله عز وجل فوجهه كريم لا يسأل إلا في مبتغى عظيم، وهو جنته سبحانه.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» [رواه أبو داود].

(**عن جابر** رضي الله عنه **قال : قال رسول الله** ﷺ **: لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**) هذا النهي للتحريم .

والمصنف رحمه الله منهجه في كتاب التوحيد يذكر العام ثم يخصص أخص، مثل (**باب ما جاء حماية المصطفى جناب التوحيد**) ثم خص قال: (**حمى التوحيد**) ثم قال: (**باب لا يرد من سأل بالله**) ثم خص (**باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**) ومثل (**النهي عن سب الدهر**) ثم خصص (**النهي عن سب الريح**) وهكذا .

فالمصنف يبدأ بالأهم الأعم ثم يبين مسائل خاصة فيها؛ ليكون من حفظ كتابه هذا، وفهمه بإذن الله يكون محققي التوحيد إذا عمل به.



باب
ما جاء في اللو

(**باب ما جاء في اللو**) يعني في قولك حرف لو، وحرف لو إذا دخل في الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: من باب الإخبار، وهذا جائز قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾[1] ومثله كذلك شخص لو قال لو جلست على هذه السجادة الحمراء أفضل من الخضراء، هذا إخبار .

القسم الثاني : إذا كان من باب التمني في الخير، هذا جائز، أيضاً كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي**» ومثل لو قال شخص: لو كنت غنياً لتصدقت بمال كثير، هذا يصح، فلو عقد النية على أمر جازم يثاب عليها الشخص، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في صحيح مسلم : «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**».

القسم الثالث : إذا كان فيه تجزع على القضاء والقدر، مثل لو كانوا عندنا كما

---

(١) سورة التوبة: ٤٦.

قال سبحانه عن قول المنافقين ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾[1] ، ومثل لو قال شخص: لو ذهب فلان مع هذا الطريق لكان حصل له حادث ومات، ويتجزع من القضاء والقدر، فيقول مثلاً: لو ما أدخلنا فلان المكان الفلاني لما مات، يتجزع من القضاء والقدر وهذا لا يجوز .

والمصنف رحمه الله لم يبين في هذا الباب الحكم في لو؛ لوجود التفصيل السابق؛ لذلك قال (**باب ما جاء في اللو**) ولو حرف، والحرف لا يدخل على الحرف، فيقدر كلام المصنف رحمه الله (**باب ما جاء في قول لو**) ما نقول في اللو .

(١) سورة آل عمران: ١٥٦.

وقول الله تعالى : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾[١].

﴿يَقُولُونَ﴾ هذا من قول المنافقين؛ لذلك ساق المصنف رحمه هذه الآية؛ لبيان أن ذلك من قول المنافقين: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ هذا من باب التجزع على القضاء والقدر؛ والواجب على المسلم الرضى بما كتبه الله عز وجل.

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ ﴾[(١)] الآية .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ ﴾[(٢)] ليجعل ذلك حسرة في قلوبهم، بين ما هو عقاب كلمة لو في الدنيا، وهو التجزع والحسرة والندم، فما يستفيد من كلمة لو شيء، وإنما يقول قدر الله وما شاء فعل .

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٨ .

(٢) سورة آل عمران: ١٦٨ .

في الصحيح : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء ، فلا تقل : لو أني فعلت ؛ كان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان».

(**في الصحيح : عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال**) ثم بين بعد ذلك ما الواجب على المسلم أن يفعله، لما ذكر أن لو من كلمة المنافقين، وأنها لا تجلب لك سوى الحسرة والندامة، بين لك ما هو الطريق الثواب، وهو الحرص على ما ينفعك، ثم لو حصل لك شيء من ذلك، فوض أمرك إلى الله، وقل: قدر الله وما شاء الله فعل، يعني: أؤمن بما حدث، ولا تقل: لو .

(**احرص على ما ينفعك**) هذه كلمة عظيمة من جوامع الكلم، لو أخذها كل إنسان وعمل بها لإفلاح في حياته وآخرته، احرص على ما ينفعك، هذه قاعدة كبيرة في الإسلام، احرص على ما ينفعك في العبادات، احرص على ما ينفعك في المعاملات، واحرص على ما ينفعك في العلوم، واحرص على ما ينفعك في القول، واحرص على ما ينفعك في السمع والبصر، وفي جميع شؤونك، وهذه من النصائح المشفقة من النبي ﷺ لأمته؛ لأنه سيأتي يوم يندم فيه كل إنسان، حتى المؤمن يود أن لو زاد، وهذه اللفظة من أخذ بها بإذن الله حصل خيراً كثيراً من الأعمال الصالحة، لا سيما في إضاعة الوقت، أو في أعمال لهو ولعب، أو في عدم اغتنام النعم التي

أعطاه الله ﷻ إياه، لا سيما الصحة والفراغ؛ لذلك قال شيخ الإسلام رحمه الله **(أنا لا أنقطع عن الذكر إلا لأستجم واستعيد راحتي لذكر آخر)** بل قال: **(إن كل وقت لا يذكر الله ﷻ فيه المسلم ولا يعبده سبحانه يأثم عليه لأن الله خلقه لعبادته)** فإذا لم يغتم ما خلقه الله عليه يأثم، وإذا نوى الشخص الاستراحة لأداء عبادة أخرى بإذن الله يزول عنه ذلك الحرج .

(واستعن بالله) هذا نص في الدين، أي منزلة الاستعانة؛ لذلك ذكرها الله ﷻ في سورة الفاتحة؛ تذكيراً للمسلم في كل صلاة يصليها، قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1] وقال شيخ الإسلام رحمه الله: **(تأملت ما في القرآن فإذا هو في الفاتحة وتأملت في ما في الفاتحة فإذا هو في** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾**)**.

فالأول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فيه دفع للرياء ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فيه دفع للكبر، وإذا أخلص الشخص لله وتواضع رفعه الله منزلة عالية، ولهذا المسلم يعاهد ربه في كل يوم فرضاً سبعة عشر مرة على الاستعانة، يعني يقول الشخص: يا رب أنا استعين بك فأعني، والنبي ﷺ يقول هنا: **(احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله)** والله يقول ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ﴾[2] وفي الآية الأخرى ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[3] .

---

(١) سورة الفاتحة: ٥.

(٢) سورة البقرة: ٤٥.

(٣) سورة البقرة: ١٥٣.

(**ولا تعجز**) يعني لا تضعف عن أداء أي عمل؛ لأنك حرصت على ما ينفعك، واستعنت بالله، فالله ﷻ سوف يؤديك، وهذا من حسن الظن بالله ﷻ، وهكذا المسلم لا يعجز لآفة تمر عليه، أو لاذم يذم، وإنما يراقب المسلم ربه ويعمل ما أمره الله ﷻ به، وإذا حصل له ابتلاء في ذلك لا يضعف ولا يندم على ما فعل، ولهذا يجب على المسلم أن يكون عالماً بما أمره الله ﷻ به؛ لئلا يندم على ما فعل إن وقع عليه ابتلاء .

(**وإن أصابك شيء**) يعني مصيبة (**فلا تقل : لو أني فعلت ؛ كان كذا وكذا**) هذا الشاهد؛ لأن هذا من باب التجزع عن القضاء والقدر، وكما هو معلوم الركن السادس من أركان الإيمان الإيمان بالقضاء والقدر، ومن تجزع عليه نقص إيمانه (**ولكن قل : قدر الله**) هذا الفعل (**وما شاء فعل**) إيماناً به سبحانه، ويصح قَدَرُ الله وما شاء فعل، يعني سواء قدر أو قدَر الله وكلاهما سواء من ناحية المعني.

(**فإن لو تفتح عمل الشيطان**) في التجزع في القضاء والقدر، وتضعف الإيمان بالقضاء والقدر، وتجعل تفكير المرء في ذلك الأمر، والمراد من المسلم الرضى والتسليم فيقول الشخص: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1] .



(١) سورة آل عمران: ٧.

باب
النهي عن سب الريح

والفرق بينه وبين سب الدهر، أن ذلك أعم، وقدح في الربوبية، وهذا أخص، بمعنى: أنه سب شيئاً في الدهر، أما الأول لا عم الدهر جميعا. والريح لا يخلو:

القسم الأول : إما أن توصف، فهذا جائز، مثل لو قال شخص: هذه ريح شديدة أو ريح باردة أو ريح مهلكة أو ريح نحسة، يجوز، قال سبحانه: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[1] ، وقال ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[2] ومنه يصح أن يوصف اليوم باليوم الأسود، ويقال: هذا يوم أسود يصح، أو يوم أبيض يصح، فوصف الريح أو ما في معناها من المخلوقات يصح .

القسم الثاني : سب للريح، مثل لو قال شخص تسخطاً ما هذه الريح المتتابعة علينا، أو شخص: ما هذا المناخ يوم حار ويوم بارد، أو يوم بهواء ويوم ليس بهواء، هذا من سب الريح، ولا يجوز سب الريح؛ لأنها مخلوق من مخلوقات الله، وسب شيء من مخلوقات الله فيه مسبة لله ﷻ .

---

(١) سورة القمر: ١٩.

(٢) سورة فصلت: ١٦.

والمصنف رحمه الله ذكر حديثا في النهي عن ذلك، والنبي ﷺ في هذا الحديث بين مالذي يفعل بدلا من ذلك السب .

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تسبوا الريح ؛ فإذا رأيتم ما تكرهون ؛ فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما فيها ، وخير ما أمرت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح ، وشر ما فيها ، وشر ما أمرت به » [صححه الترمذي] .

(**عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تسبوا الريح**) هذا للنهي، والنهي يقتضى التحريم، ووصف الريح بالتقلب جائز.

(**فإذا رأيتم ما تكرهون**) هنا الآن يبين لك ما هو الصحيح عن سب الريح.

(**فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح**) لأن الريح إما أن تكون خيراً أو شراً، خيراً في اللواقح وفيها نصر لله عز وجل لعباده؛ لأنها جند من جنود الله كما في الحديث: «**لا تسبوا الريح لأنها جند من جنود الله**» وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[1] فدل على أن الريح من جنود الله أيضاً . وريح قد تأتي بشر من

---

(١) سورة الأحزاب: ٩.

العذاب -والعياذ بالله- فيستعاذ من شرها، فيسأل من خيرها ويستعاذ من شرها.

(**وخير ما فيها**) من الأرزاق كالمطر ونحو ذلك، أو دفع الأمراض أو ما فيها من تلقيح للنبات.

(**وخير ما أمرت به**) من الفضائل التي قد تنزل مثل الغيث.

(**ونعوذ بك من شر هذه الريح**) لأن من الريح ما فيها شر؛ لذلك النبي ﷺ قال (**نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور**) .

(**وشر ما فيها**) من عذاب، كما أنزل ﷻ على قوم شعيب نار من تلك الرياح التي حملت السحاب.

(**وشر ما أمرت به**) من الهلاك أو العذاب والعياذ بالله [**صححه الترمذي**] .

باب قول الله تعالى :
﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾[1] **الآية**

ذكر المصنف رحمه الله هذا الباب وذكر فيه آيتين . الآية الأولى أن ظن السوء من عقيدة المنافقين وأهل الجاهلية، لذلك قال: ﴿**يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ**﴾ ثم بعد ذلك ساق آية أخرى لبيان أن ظنهم ذلك ظن سوء هو خاطئ.

وساق المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد في بيان وجوب حسن الظن بالله عز وجل ، وهذا باب عظيم يحتاجه كل امرئ في حياته، فمن أحسن بالله عز وجل ودعاه أعطاه الله عز وجل بقدر حسن ظنه به، كما قال عز وجل في الحديث القدسي: «**أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي عبدي ما شاء**» فمن ظن أن الله عز وجل كريم ووهاب ورزاق أعطاه الله على قدر حسن ظنه، ومن ظن الله عز وجل لا يعطي إلا يسيراً، أو أنه لا يستحق ذلك، أعطاه الله عز وجل على قدر حسنه بالله عز وجل ، ومن ظن الله عز وجل لا يعطي كما قالت اليهود، منعهم الله عز وجل عطاؤه بقدر ظنهم السيء ذلك، كما قال سبحانه :

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾[١] ظن سوء عقوبتهم ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ بسبب ظنهم السيء بالله فأعطاهم بمثل ظنهم .

وإحسان الظن بالله مما أمر الله ﷻ به عباده؛ لذلك قال: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[٢] وهو نهج الرسل عليهم السلام سليمان عليه السلام لما فتن لم يقل ربي اغفر لي بل زاد ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا – وزاد – لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ – وقال – إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ – قال سبحانه – فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ – يغصون في البحر الشياطين – ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ – مقيدون بالسلاسل –﴾[٣] بدعوة واحدة من حسن ظنه بالله، والنبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: (**إذا سألتهم الله الجنة فاسأله الفردوس الأعلى**) .

ولما بين النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن للجنة ثمانية أبواب، قال أبو بكر رضي الله عنه: فهل يا رسول الله من جناح أن يدعى المرء من تلك الأبواب جميعها؟ قال: (**نعم وأرجو أن تكون منهم**) فهكذا حسن الظن يكون مع الصحابة رضي الله عنهم ، وكذا لا يقول الشخص مثلاً ربي ارزقني مالاً، وإنما نقول: ربي ارزقني مالاً حلالاً واسعاً من

(١) سورة المائدة: ٦٤ .

(٢) سورة النساء: ٣٢.

(٣) سورة ص: ٣٥ – ٣٨.

الله ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[١].

وسوء الظن بالله لا يخلو: إما أن يكون ما هو مصادم في نصوص الشرعية فهذا كفر، -والعياذ بالله- مثل أن يظن أن الله لن ينصر دينه أو رسله أو أتباعه، أو أن لن يدخلهم الجنة، ومنه ما فيه عدم إيمان تام بنصوص الشرعية، مثل: استبطاء الفرج أو العافية ونحو ذلك، يدعو لك يقول: قد يؤخر الله ﷻ تلك الإجابة، فهذا محرم .

والواجب أن يحسن الظن بالله ﷻ في كل أمر؛ لأن الله ﷻ لا يعجزه شيء في السموات والأرض، وأصحاب الظن السيء هم أهل الجاهلية، من أهل الكفر والنفاق .

---

(١) سورة النساء: ٣٢.

باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾[1].

وهذا في غزوة أحد وهو من قول المنافقين ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ أي: لا، لن ينصر رسوله، فظنهم هذا ظن الجاهلية، لكن ظن أهل الإيمان أن الله ينصر رسله وأتباعهم، ولكن الله ﷻ له الحكمة البالغة؛ لذلك قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖ﴾[2] قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: (**ومن عرف معنى أسماء ثلاثة لله ﷻ من أسمائه زال عنه سوء الظن وأحسن ظنه بربه قال الحكيم العليم الحميد**) فمن علم أن الله ﷻ لا يفعل إلا لحكمة، ظن بالله حسن الظن، ومن أيقن أن الله ﷻ لم يفعل ذلك إلا لعلم منه سبحانه، أحسن الظن بالله، ومن أيقن أن الله ﷻ حميد، ففعله كامل في الحمد سبحانه، ومحمود على فعله جلا وعلا، فتطمئن النفس، وكل ما دعا الإنسان ربه بأمر، سواء استجيب له أو لم يستجب له، يحسن الظن بالله، فالله ﷻ قد يؤخر إجابة الدعوة لحكمة أنت لا تعلمها، ولأمر أنت تجهله الله يعلمه، ولأن فعله هذا حميد لك، لكن لا تشعر بذلك ولا تعلم .

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢) سورة محمد: ٤.

﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ﴾ هذا من ضعفهم وجهلهم ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ من نصر المؤمنين ومن إهلاك الكافرين، أو المنافقين، فدل على أن إساءة الظن بالله ﷻ من ظن السوء بالله سبحانه وتعالى ، وعقابهم ﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾[1] كما أنهم ظنوا بالله شيئاً سيئاً يأتيهم على قدر إساءة ظنهم بالله ﷻ ؛ لذلك النبي ﷺ يقول: **(ادعوا ربكم وأنتم موقنون بالإجابة)**.

ذكر المصنف رحمه الله هذا الباب في كتاب التوحيد؛ لبيان وجوب إحسان الظن بالله، وأن عدم الإحسان به قدح في التوحيد، والمراد من إحسان الظن بالله ﷻ أن يعتقد المرء بأن الله عليم بما يقدره على العبد، وحكيم وأيضاً حميد، أي أنه يحمد أفعاله سبحانه وتعالى ، ومن ظن غير ذلك، فقد سلك سبيل الجاهلية، ولهذا ساق المصنف الآية الأولى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ ثم بين أن ظن الجاهلية هو ظن السوء وظن الخسارة والتباب، والواجب إحسان الظن بالله ﷻ ، وأن ما يقدره على العبد هو خير للعبد، وإذا سأل العبد ربه شيئاً فليحسن الظن بالله، بأن الله سوف يعطيه سؤله وأكثر.

---

(١) سورة الفتح: ٦.

باب قول الله تعالى : ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾[1].

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ أي المنافقون وذلك في غزوة أحد ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أي أن أمر الله ﷻ غير مقدر وغير جارٍ على الحكمة والعلم، وظنهم ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ يعني ظن جهل لا علم، وكذلك سلك المنافقون مسلك أهل الجاهلية في ذلك، وهذه الآية في غزوة أحد، وقد ظن المنافقون بالله ظن سوء فيها، فظنوا أن الله ﷻ سيمحق المؤمنين، ولن تقوم للدين راية، وهذا ظنهم بالله ظن سوء، وظنوا أن الله لن ينصر رسوله وللمؤمنين، وهذا ظنهم ظن سوء، وظنوا أن الدين لن تقوم له قائمة وأن الباطل سيزهق الحق، وظنهم هذا ظن سوء؛ لذلك ساق المصنف الآية الثانية. ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ وهكذا الكفار والمنافقون، سواء مع أهل الجاهلية في عدم معرفة أسماء الله وصفاته والإيمان بمعانيها، وسبق أن إحسان الظن بالله ﷻ يكون بمعرفة ثلاثة أسماء لله سبحانه: **العليم والحكيم والحميد**.

عليم : بمن ينصر، وبمن يؤخر النصر عنه، وبمن يمرض، وبمن يعافي وهكذا، أي: كل فعل منه سبحانه صادر عن علم.

الحكيم : أي أن فعله صادر عن حكمة، وهي وضع الشيء في موضعها،

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

يغني هذا، ويفقر ذاك، وينصر هذا، ويؤخر نصر ذاك؛ لحكمة بالغة .

الحميد : أي أن أفعاله قائمة على الحمد، فكل فعل يفعله الله ﷻ يحمد عليه و ﴿ لَا يُسْـَٔلُ - سبحانه - عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1] وقال سبحانه عن نفسه: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ﴾ في منع من خرج من المؤمنين واستشهدوا، فلو كان لنا من الأمر شيء لمنعناهم من الخروج؛ لئلا يموتوا، قال الله ﷻ راداً عليهم ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ في خروجهم وفي منعكم، وهو سبحانه أعلم وأحكم بمن يخرج للقتال، وبمن يتخلف منه .

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٣.

(٢) سورة البروج: ١٦.

(٣) سورة إبراهيم: ٢٧.

وقوله : ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾[1] الآية.

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ۚ ساق هذه الآية في سبيل الذم للكفار والمنافقين، في عدم إحسانهم الظن بالله ﷻ .

﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ يعني عليهم دائرة الغضب والعذاب؛ لاعتقادهم أمراً منكراً، وهو إساءة الظن بالله ﷻ ؛ لأن الله تعالى وعد بنصر رسله، وبنصر المؤمنين، ومن اعتقد غير ذلك، فقد ظن بالله ظن السوء، وهذا مما يصادم ما جاءت به النصوص .

قال ابن القيم في الآية الأولى : "فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل ، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته .

ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح .

وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده، ووعده الصادق .

---

(١) سورة الفتح: ٦.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ؛ ف ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[1].

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم ، وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وموجب حكمته وحمده، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ، ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء، ولو فتشت من فتشت؛ لرأيت عنده تعنتا على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ؛ فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك هل أنت سالم ؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالـــــك ناجيـــــا

ذكر المصنف رحمه الله بعد ذلك قول ابن القيم في زاد المعاد، في فوائد غزوة أحد ذكر تفسير الآية الأولى، وعرج أيضاً على الآية الثانية، وضرب أمثلة في ظن السوء لله عز وجل، وبين -كما سيأتي- أن كل إنسان يخالجه هذا الظن، إلا من عصمه الله عز وجل سواء في نفسه أو في غيره كما سيأتي .

(قال ابن القيم في الآية الأولى) التي هي ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ

---

(١) سورة ص: ٢٧.

﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[1] ما هو هذا الظن (**فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله**) هذا من ظن السوء، بأن الله لن ينصر رسوله، وهو من ظن السوء؛ لأن الله وعد بنصر رسوله قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾[2] فمن ظن غير ذلك فقد ظن بالله ظننا خاطئاً.

(**وأن أمره سيضمحل**) وهذا أيضاً من ظن السوء، يعني: أن أمر النبي ﷺ سيزول، أي أن دعوته ستذهب، وهذا من ظن السوء، وذلك بعد غزوة واحدة ظهر ما في قلوبهم من النفاق والكفر، والله ﷻ يداول الأيام بين الخلق ليمحصهم وليبتليهم، فلو كان ينصرهم دائماً لأصابهم الغرور، كما قال ابن القيم رحمه الله: ولو كانوا يهزمون في كل وقت لأصابهم الذل والهوان، لكن أحياناً وأحياناً فنصر الله ﷻ النبي ﷺ والمؤمنين في بدر، وهزيمه المسلمون في أحد، ونصر الله ﷻ النبي ﷺ وأصحابه في خيبر، وهزيمة المسلمون في حنين، وهكذا، لكن العاقبة للمؤمنين كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3].

(**وفسر بظنهم**) وهذا تفسير أيضاً لبعض أهل العلم (**أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته**) أو قضائه وقدره، فظنوا أن هذا أمراً عبثاً.

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٢) سورة غافر: ٥١.

(٣) سورة طه: ١٣٢.

لما ساق التفاسير الثلاثة ذكر أن هذه التفاسير عائدة لإنكار الحكمة من وقوع ما حدث، فظنوا أن هزيمة المسلمين لم يكن بعلم الله وحكمته، وإنما بقوة المشركين، ونحن نقول: إن ما وقع في غزوة أحد هو نصر، لا هزيمة، فالله ﷻ اصطفى من اصطفى من الشهداء، وهذا نصر، حيث أدخل الجنة من الشهداء، ونصر أيضاً أن المؤمنين عادوا إلى ربهم، وتذكروا معصية نبيهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في ذلك، وكلاهما نصر .

(**ففسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر**) يعني ما وقع لم يقدره الله ﷻ ، ولو كان الذي قدره هو غير الله لنصر المؤمنين، وهذا من عقيدتهم الفاسدة، بل إنما وقع في قضاء الله وقدره؛ لابتلاء المؤمنين، يعني أن النوازل التي تصيب المسلم أو تصيب المؤمنين عموماً هو بقضاء الله وقدره؛ لابتلاء المؤمن أو ابتلاء المؤمنين عامة.

(**وإنكار أن يتم أمر رسوله**) وتفسيرهم السابق عائد إلى إنكار أن الله ﷻ لن يظهر دينه، وهو القائل: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[1] فظنوا بالله ظن السوء أن النبي ﷺ لم ينصره الله ﷻ في تلك الغزوة، فقال إن أمر النبي ﷺ في تباب، وهذا من ظن السوء، والله ﷻ وعد بنصر رسوله: (**وأن يظهره على الدين كله**) كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ

(١) سورة التوبة: ٣٢.

﴿ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾[(١)]. **(وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح)**.

الآن خرج من غزوة أحد، وبين ظن السوء، وقال: **(وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح)** هو ما ذكره الله ﷻ أن هذا عقيدة المنافقين والكفار، كما قال سبحانه: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾[(٢)] وفي أولها ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ فمن ظن بالله ظن السوء استحق العذاب -والعياذ بالله- .

(وإنما كان هذا ظن السوء ؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه) لأن الله لا يخلف وعده، ووعد بنصر رسوله والمؤمنين **(وما يليق بحكمته وحمده ، ووعده الصادق)** أخر عنهم النصر بقوله: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[(٣)] وكما قال سبحانه: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ﴾[(٤)].

---

(١) سورة الصف: ٩.

(٢) سورة الفتح: ٦.

(٣) سورة محمد: ٤.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٤.

(**فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق**) يعني من ظن أن الباطل سيطمس الحق طمساً كاملاً، فقد ظن بالله ظن السوء؛ لأن الله وعد بنصر عباده ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] حتى ولو كسروا في وقعة، نقول: سينتصر الدين، وأما في قلبه مرض إذا وقعت على المسلمين هزيمة قال: لن تقوم للدين راية، وهذا هو ظن السوء المخالف والمصادم للنصوص ولحكمة الله ووعده.

(**أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره**) فقال: أن ما وقع لم يقدره الله ﷻ وستدوم هزيمة المشركين، وهذا من الظن الفاسد (**أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد**) لأن كل فعل يفعله الله يحمد عليه، كما في أول لآية في كتابه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[(٢)] وقال: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾[(٣)] ابتلاء لحكمة وقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[(٤)] وقال ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[(٥)]

---

(١) سورة الروم: ٤٧.

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٤.

(٤) سورة الملك: ٢.

(٥) سورة الأنبياء: ٣٥.

وقال: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[(١)]

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴾[(٢)] فما يقدره الله ﷻ من انتصار أو هزيمة؛ لحكمة بالغة، وليمحص المؤمن، ولبتلي ما في الصدور، وليصطفي الله ﷻ من يشاء شهداء عنده سبحانه وتعالى .

ولتظهر رؤوس المنافقين، فيعذبهم في الآخرة، وليغتر أهل الكفر بنصرهم الموقت، حتى يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، كما قال سبحانه: ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾[(٣)] قال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾[(٤)] وإذا زاد غرور الكافر بالنصر عجلت له العقوبة .

(**بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة**) من غير حكمة، فهذا من ظن السوء، فالله شاء ذلك لكن لحكمة.

ولذا قال ابن القيم أيضاً: (**لا ينال الشهداء منزلة الشهادة في الجنة إلا بقتال الكفار لهم، ولو كان جميع أهل الأرض مؤمنين لما كان في هذه الأمة شهداء**)

---

(١) سورة العنكبوت: ٢.

(٢) سورة الفرقان: ٢٠.

(٣) سورة مريم: ٨٤.

(٤) سورة آل عمران: ١٩٦ – ١٩٧.

فحكمة بالغة، سير الله للكافر لقتال المسلم؛ لينال المسلم الشهادة، (ف﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾) وكما قال: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾[1] بسبب ظنهم ظن السوء بالله ﷻ، حتى ولو قتل نبي نحسن الظن بالله؛ لأن الدين ليس قائماً على أشخاص حتى ولو قتل نبي يقوم نبي آخر غيره؛ وإذا قتل صالح يقوم صالح غيره؛ وكل ذلك دائر تحت قوله سبحانه: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾[2].

الآن انتقل من مقالات المنافقين والكفار في عدم نصر الله ﷻ لرسله ولأتباعه؛ بعد أن ذكر هؤلاء انتقل إلى عموم الناس؛ حتى من المسلمين؛ فقال (**وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء**) يظنون بالله ظن سوء (**فيما يختص بهم**) حتى ولو من المسلم؛ فمثلاً يقول، أنا أصلي وأعبد الله ﷻ وغيري لا يصلي وماله أكثر؛ لماذا لا يعطيني الله أكثر؟ هذا من ظن السوء؛ فنؤمن بأنه أعطاه لحكمة؛ ومنعك لحكمة؛ وأعطاه لعلم؛ ومنعك لعلم؛ ونحمده سبحانه لإعطائه الكافر مالاً، ونحمده لفعله بمنع المسلم مالا، ومن ظن غير ذلك ظن بالله ظن السوء، وكذا لو قال شخص: أنا أذاكر كثيراً، وذاك الآخر لا يذاكر كثيراً، يأخذ أرفع مني درجات

---

(١) سورة الفتح: ٦.

(٢) سورة التوبة: ٣٢.

مثلاً في الدراسة، وأنا أذاكر، لماذا لا آخذ أعلى منه؟ نقول: هذا من ظن السوء -كما سيأتي- فالواجب الإيمان بما يقدره الله ﷻ ويقضيه، ونعلم أنه لحكمة، فقد يعطي غيرك ليبتليه ويضل فيدخل النار، ويمنعك فتصبر فيرفع درجاتك في الجنة، والدنيا دار ابتلاء وامتحان.

(**وفيما يفعله بغيرهم**) يعني: يقول غيري غير مطيع لله، وأعطاه الله مالا وصحة، وأنا مطيع لله ما أعطاني مثله، هذا من ظن السوء بالله ﷻ، ومن الظن في نفسه يقول: أنا أصلي وأقرأ القرآن وأطيع والدي، لكن ما أعطاني مالاً كثيراً وأنا أستحق المال الوافر، نقول: هذا من ظن السوء بالله ﷻ في نفسك وهكذا.

(**ولا يسلم من ذلك**) يعني من هذا الظن السوء في الله ﷻ في نفسه أو مع غيره (**إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته**) قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: (**وأهم ذلك معرفة ثلاثة اسماء العليم الحكيم الحميد**) .

(**وموجب حكمته**) من أجل الابتلاء (**وحمده**) أي أن كل فعل لله يحمد عليه، كما قال سبحانه عن نفسه ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأَخِرَةِ ۚ﴾[1] .

(**فليعتن اللبيب الناصح لنفسه**) يعني العاقل (**بهذا**) يعني: ليعتني بهذا الباب، وليحسن الظن بالله ﷻ، وأن ما يفعله معه أو مع غيره بحكمة.

---

(١) سورة سبأ: ١.

(**وليتب إلى الله ، ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء**) في نفسه أو مع غيره؛ لأن من ظن ظن السوء استحق العقوبة، فليتب إلى الله من ذلك المعتقد الفاسد، وليستغفر الله ﷻ مما يظن، وفي ذلك راحة البال، وكثرة الثواب منه سبحانه .

(**ولو فتشت من فتشت**) يعني: لو نظرت في صدور الناس؛ لوجدت في كثيراً من الناس عنده ملامة على القدر، وعدم الإيمان بحسن الظن بالله، وإساءة الظن بالله به سبحانه، لكن الله ﷻ أخفى صدور عباده عن عباده؛ لئلا يكون بينهم موحشة، وما يزيل ذلك هو كثرة الدعاء، بأن يرزق الله العبد حسن الظن بالله، كأن يقول: اللهم ارزقني حسن الظن بك.

(**لرأيت عنده تعنتا على القدر**) يعني مصادمة للقدر، لماذا يعطي فلاناً وأنا لا، وأنا أجمل منه وأفضل أسرة منه، ويعطى مالا وأنا لا أعطى مالا، هذا تعنتا على القدر مصادمة له، وعدم إيمان به.

(**وملامة له**) يعني لماذا ما أعطيت مثله أو أكثر، أنا أولى منه.

(**وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا**) يعني أن أعطى كذا وكذا؛ لأني طاع لله، فأستحق أكثر، أو لماذا يعطي الكافر مالاً كثيراً، وأنا لا أجد مالاً.

(**فمستقل ومستكثر**) يعني هذا واقع في نفوس العباد، منهم ما هو ذلك الذنب، وهو إساءة الظن قليل، ومنهم من هو كثير ذلك في قلبه.

(**وفتش نفسك هل أنت سالم ؟**) يعني هل أنت سالم من إساءة الظن بالله؟ أم لا ؟

(**فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة**) يعني من أمور عظيمة .

(**وإلا فإني لا أخالك ناجيا**) يعني لا أظنك تنجو يوم القيامة إن لم تنجو من ظن السوء بالله ﷻ .

وهذا باب عظيم، ويحتاجه كل مسلم؛ لأن به طمأنينة الحياة وراحة البال وسعة الصدر، وأن ما يقدره الله سبحانه خير لي، فإذا اعتقد المسلم ذلك عاش أسعد الناس .

باب
ما جاء في منكري القدر

لما ساق المصنف رحمه الله وجوب حسن الظن بالله، أعقبه بعد ذلك في بيان أن من أنكر القدر -والعياذ بالله- فقد كفر الأول يؤمن بالقدر، لكن يسوء الظن بالله، وهنا ينكر القدر ثم ... وهو كفر به سبحانه، والقدر له أربع مراتب، يجب الإيمان بها، إن اختل مرتبة من مراتبه لم يكن المرء محققاً الإيمان بالقضاء والقدر :

المرتبة الأولى : العلم، أي أن كل شيء يقع بعلمه سبحانه، كما قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[1] وقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] سبحانه .

المرتبة الثانية : الكتابة، أي أن كل ما يقع في الكون مكتوب قبل أن يقع، كما قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[3] أي من قبل أن نوقعها، وقال سبحانه في آية أخرى: ﴿إِنَّ

---

(١) سورة غافر: ٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٩.

(٣) سورة الحديد: ٢٢.

ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[(١)] .

المرتبة الثالثة : المشيئة، أي أن الله ﷻ هو الذي شاء وقوع ذلك الحدث، كما قال سبحانه: ﴿ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[(٢)] وقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[(٣)] وقال سبحانه: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[(٤)] .

المرتبة الرابعة : الخلق والتكوين، أي أن الله ﷻ هو الذي خلق ذلك وكونه وأوقعه، مثال ذلك: لو أن شخصاً أصيب بمرض، نقول: الله ﷻ هو الذي علم بهذا المرض قبل وقوعه وبعد وقوعه، والله ﷻ كتب ذلك قبل أن يقع، والله ﷻ هو الذي شاء وقوع ذلك، وأن الله ﷻ هو الذي أوجد المرض .

فهذه هي المراتب الأربع، يجب الإيمان بها جميعاً، قال سبحانه في المرتبة الرابعة: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾[(٥)] وقال ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾[(٦)] .

والقضاء والقدر إذا أطلقا، فالمراد بالقضاء، أي: حدوث ذلك الشيء

---

(١) سورة الحج: ٧٠.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٣) سورة الحج: ١٤.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٥) سورة القمر: ٤٩.

(٦) سورة الفرقان: ٢.

والقدر قبل وقوعه، فمثلاً فلان مات، موته هذا قضاء، وقوع وقدر قبل وقوع الموت، الله مقدر عليه الموت، وإذا أفردا اطلق القضاء على القدر، القدر على القضاء، فلو قال شخص: هذا مات بقدر الله، يعني: وبقضائه، وإذا قال شخص مات بقضاء الله، وأنا راض بقدر الله، يعني: وبما قدره قبل أن يقع، وهكذا، والقدر أحد أركان الإيمان الستة، من لم يؤمن به اختل توحيده، وكان من أصحاب النار -والعياذ بالله- كما في حديث عمر «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأن تؤمن بالقدر خيره وشره**» .

والمصنف رحمه الله في هذا الباب ساق خمسة نصوص . النص الأول في بيان أن القدر من أركان الإيمان . والحديث الثاني لبيان أنه لن يجد عبد طعم الإيمان إلا بالقضاء والقدر، كما في حديث عبادة (**يا بني ! إنك لن تجد طعم الإيمان** ...) . والحديث الثالث لبيان مرتبة من مراتب القدر وهي الكتابة . والحديث الرابع لبيان عقوبة منكري القدر، وهو أن الله أحرقه بالنار . والنص الخامس لبيان أن الصحابة رضي الله عنهم مجمعون على أن عقوبة منكري القدر من أصحاب النار .

فمن أنكر الله لا يعلم حدوث الأشياء قبل وقوعها -والعياذ بالله- أخل بالقدر، فمنهم من قال: أن الأمر أنف، ومن قال: أن الله سلب عن العباد أفعالهم، أو إن الله عز وجل لم يفعل ذلك الشيء، فقد وقع في الضلالة .

وقال ابن عمر : " والذي نفس ابن عمر بيده ! لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ، ثم أنفقه في سبيل الله ؛ ما قبله الله منه ، حتى يؤمن بالقدر ، ثم استدل بقول النبي ﷺ : «الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره » رواه مسلم .

هذا هو النص الأول لبيان أن الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان، (**وقال ابن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده**) الذي نفس روح ابن عمر بيده، يعني هو الله، كأنه يقول: والله.

(**لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا**) يعني من منكري القدر الذين قالوا: أنف وأن الله لا يعلم الأشياء قبل حدوثها، فقال ابن عمر: لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبا لم يقبل منه.

(**ثم أنفقه في سبيل الله؛ ما قبله الله منه ، حتى يؤمن بالقدر**) فدل على أن من أركان الإيمان الإيمان بالقدر (**الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره**) هذا النص الأول لبيان أن القدر من أركان الإيمان (**رواه مسلم**) .

وعن عبادة بن الصامت ﵁ أنه قال لابنه : يا بني ! إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله : القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : رب ! وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة »، يا بني ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من مات على غير هذا ؛ فليس مني » .

الآن يذكر النص الثاني وهو أن لن يجد عبد طعم الإيمان وراحة البال والطمأنينة في الحياة إلا الإيمان بالقضاء والقدر، يعني: يا رب ما قضيته لي أنا أسلم به وأرضى به (**وعن عبادة بن الصامت ﵁ أنه قال لابنه : يا بني ! إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك**) يعني مقدر لك تصاب بالمرض تصاب بالمرض ما يخطئك.

(**وما أخطأك لم يكن ليصيبك**) لو أن الله كتب لك أنك لن تمرض لن تمرض، حتى ولو كنت بين مرضى.

(**سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أول ما خلق الله : القلم»**) يعني من العالم المشاهد يعني، وإلا الله خلق العرش قبل القلم، لكن بما نشاهده من العالم الموجود، أول ما خلق الله القلم، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (**إن قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخميس ألف سنة وكان عرشه على الماء**) لكن

المراد بها نشاهده، يعني الله خلق القلم قبل السموات التي نشاهدها، وقبل الأرض، وقبل بني آدم وقبل الجبال وهكذا.

(فقال له : اكتب) وهذا من آيات الله، أن القلم يكتب بأمر الله.

(فقال: رب! وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) الله أكبر، فكل شيء مكتوب قبل أن تخلق بخمسين ألف سنة، وهذا فيه دليل على مرتبة من مراتب القدر وهي الكتابة.

(يا بني! سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات على غير هذا ؛ فليس مني) يعني مات -والعياذ بالله- على الكفر، أو عدم الإيمان بالقضاء والقدر .

وفي رواية لأحمد : «إن أول ما خلق الله : القلم ، ثم قال : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة ».

هنا يسوق هذه الرواية لبيان مرتبة من مراتب القدر الكتابة **(وفي رواية لأحمد : إن أول ما خلق الله : القلم ، ثم قال : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)** فما يقع علينا من القضاء والقدر يجب أن نؤمن به.

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره؛ أحرقه الله بالنار ».

سبقت نصوص في منكري القدر، والآن يذكر النص الذي فيه، أن من

أنكر القدر متوعد -والعياذ بالله- بالإحراق بالنار؛ لأنه كفر به سبحانه.

(وفي رواية لابن وهب: **قال رسول الله ﷺ: فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره؛ أحرقه الله بالنار**) هذه عقوبة منكري القدر، وهو باتفاق أهل السنة، أنه كافر، والعياذ بالله؛ لذلك قال أحمد بن حنبل (**من أنكر القدرة فقد كفر**) يعني من أنكر تقدير الله ﷻ للكون فقد كفر، وهي ثاني، أي إنكار القدر، وهو ثاني بدعة خرجت في الإسلام، أول بدعة الخوارج ثم القدرية، وقد أنكر الصحابة ﵃ ذلك أشد إنكار.

وفي " المسند ، والسنن " : عن ابن الديلمي قال : أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر؛ فحدثني بشيء، لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: "لو أنفقت مثل أحد ذهبا ؛ ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا؛ لكنت من أهل النار". قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ؛ فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ . حديث صحيح ، رواه الحاكم في صحيحه .

ثم ساق المصنف رحمه الله هنا الآن النص الأخير؛ لبيان اتفاق الصحابة رضي الله عنهم على كفر من أنكر القدر (**وفي المسند ، والسنن : عن ابن الديلمي قال : أتيت أبي بن كعب ، فقلت : في نفسي شيء من القدر**) يعني فيه لبس عليّ بسبب ما كثر الكلام، فهي عهد الصحابة رضي الله عنهم ، ولكن لما رأوا الصحابة رضي الله عنهم فأنكروا ذلك وبينوا الصواب فيه.

(**فحدثني بشيء ، لعل الله يذهبه من قلبي**) وهكذا من حصل له لبس أو ريب يجب على المسلم أن يذهب إلى أهل العلم فيسألهم، ويطلب منهم أن يزيلوا عنه لبسهم أو شبهته، وأما أن تقر الشبهة أو اللبس في قلب من غير سؤال، فليس هذا من الهدي الصحيح، النبي ﷺ في صحيح البخاري ومسلم قال: (**إنما شفاء العي السؤال**) يعني شفاء المريض السؤال، والله عز وجل يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] والسؤال في الدين محمدة؛ لأن المصير فيه إما جنة أو نار، وأما السؤال في الدنيا فهو مذموم، فمن سأل الناس مالاً، فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول «**فإنما يسأل الناس جمرا فمستقل ومستكثر**» أما السؤال في الدين عبادة؛ لأنه امتثال لأمر الله ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

(**فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهبا؛ ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر**) يعني أن من أنكر القدر فقد كفر، وإذا كفر جميع الأعمال الصالحة حتى ولو كانت انفاقاً كثيراً من شيء نفيس، فإنه يرد، وما ذاك إلا لإنكار القدر، وقد سبق التفصيل في ذلك.

(**وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك**) يعني ما قدر عليك لا يتقدم ولا يتأخر (**وما أخطأك**) يعني وما لم يقدر عليك (**لم يكن ليصيبك**) وهذا محسوس ومعاين، فترى اثنين في معركة يمشيان سوياً، هذا يستشهد وهذا لا، وكذا ترى اثنين مريضين بمرض واحد، وعند طبيب واحد، هذا يموت، وذاك يشفى بإذن الله، وكل دائر على ما قدره الله ﷻ على عبده.

(**وما أخطأك لم يكن ليصيبك**) وكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقرر هذه العقيدة العظيمة، وهي الإيمان بالقضاء والقدر بعد كل نهاية صلاة مفروضة، وكان يقول: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**» فهذا من القدر، فما

---

(١) سورة النحل: ٤٣.

كتبه الله ﷻ يأتيك، وما لم يكتبه لا يأتيك.

(**ولو مت على غير هذا ؛ لكنت من أهل النار**) يعني -والعياذ بالله- لو مت أنت جاحد لقدر فقد خرجت من الدين، كما في حديث عمر ﵁ «**الإيمان : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره**» فإذا اختل ركن من أركان هذا الإيمان اختل الدين .

الآن ذكر أُبيّ وبين له علامات، فكان من أهل النار، ثم أتى هنا ابن مسعود وقال مثل ما قال (**قال : فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت**) كل هؤلاء الصحابة يرون كما رأى أبي بن كعب رضي الله عنهم جميعاً.

(**فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ**) لكن بدعة القدر لم تخرج إلا بعد وفاة النبي ﷺ ، فلم يصح حديث في إنكار القدر عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحديث (**هم مجوس هذه الأمة**) ضعيف، وإنما صح عن الصحابة ﵃ في إنكارهم من أنكر القدر وأنه من أهل النار [**حديث صحيح ، رواه الحاكم في صحيحه**] .

باب
ما جاء في المصورين

أي في أنواعه والوعيد الغليظ والنهي الأكيد على ما جاءت الحرمة فيه . والمصنف رحمه الله ذكر نصوصاً في هذا الباب .

النص الأول في بيان أن المصور لا أظلم منه . ثم بعد ذلك ذكر النص الثاني أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة هم المصورون . ثم ذكر مثلاً لما جاء به النص من عذاب المصور يجعل له بكل صورة نفس يعذب بها . ثم ذكر مثلاً آخر من أنواع العذاب المصور في النار، يكلف أن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ . ثم بعد ذلك ذكر النص الخامس في بيان أن نهج النبي ﷺ وصحابته في الصور هي طمسها . والتصوير ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : النحت على صخر ونحوه .

القسم الثاني : رسم الصور باليد .

القسم الثالث : حبس الظل وهو ما يعرف (بالتصوير الفوتوغرافي) .

القسم الرابع : هو التصوير بلا ظل لكنه متحرك وهو الذي يعرف (بالتصوير بالفيديو) .

وهذه الأقسام لا يخلو **النوع الأول** : إما أن يكون المصور ليس له روح مثل الصخور الجبال والشجر والبحار وغير ذلك، وتصوير هذه، جائز بالإجماع؛ لأنه لا روح فيها، **والنوع الثاني**: تصوير ذوات الأرواح مثل بني آدم والحيوانات والطيور والأسماك ونحو ذلك، وهذا النوع مما عمت به البلوى، والحكمة في التصوير جاء النص أنه لمضاهاة خلق الله، يعني أن العبد يعمل ما هو من خصائص الرب ﷻ ، فيصنع شيئاً على مثال ما خلقه الله، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «**الذين يضاهئون بخلق الله**» والحكمة الثانية: هي الفتنة بتلك الصور، وأول شرك وقع في الأرض هو بسبب الصور والعكوف عندها، فكان أول ما خلق الله ﷻ الأرض كانوا على الملة الحنفية، ولما أتى الشيطان إلى قوم نوح أوحى إليهم أن صورا صور الصالحين فيكم؛ لتنشطوا على العبادة فقط لا لعبادتها، وإنما للإكثار من العبادة، إذا رأيتم صور أولئك الصالحين ثم مضت عشرة قرون يعني ألف سنة، ثم أتى الشيطان إلى ذريتهم وقال: إن آباؤكم لم يصوروا تلك الصور إلا ليعبدوها فعبدوها، فوقع الشرك وبعث الله الرسل بعد ذلك بسبب التصوير، قال سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً - يعني على التوحيد - فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[1] فإذا قال شخص: لن أفتن بتلك الصور، فأنا أصور مثلاً رجلا غير صالح، نقول: النهي جاء بتصوير الرجل الصالح ولغير الصالح؛ لأن قول النبي ﷺ قال: (**كل - وباتفاق أهل الأصول أن لفظة كل من ألفاظ العموم - مصور في النار**) في صحيح البخاري (**لعن الله المصور**) والألف واللام باتفاق أهل

---

(١) سورة البقرة: ٢١٣.

الأصول أنها للعموم لكل تصوير، وإذا قال شخص إن التصوير المنهي عنه هو النحت في الحجارة والصخور ونحو ذلك، كما فعل في اللات والعزى ومناة، نقول: تلك نحت مضاهاة، لكن التصوير بالظل أبلغ في الفتنة من تصوير قريب منه، مثال ذلك لو أراد شخص أن يتزوج امرأة وقيل له سوف ننحت لك وجه خطيبتك على صخرة، وانظر هل تعجبك فتتزوجها أم لا؟ أو نرسم له باليد على الورقة أو نصور له في صورة أيها تتطلع نفسه إليه، لا شك في صورتها الحقيقة والمتحركة، لو قال له: تريد صورة لخطيبتك وهي قائمة أو وهي تتحرك، وتنظر يمنة وشملة. يقول: أريدها وهي تتحرك، فدل على أن التحرك أعظم أيضاً من الثابت، ومن فرق بين الظل وبين غير الظل لا دليل عليه، ومن فرق بينهما قاسه على المرآة وعلى صورة المرء في الماء ونحو ذلك، لكن هذا قياس مع الفرق؛ لأن صورة المرآة لو نظرت نفسك فيها وابتعدت، وأتى شخص آخر ما رأيته، فما في فتنة، وكذا النظر في الماء وصورة الرجل فيه، فلو كانت فيه صورة رجل صالح ثم ذهبت، وأتينا من الغد لنتذكر صورة ذلك الرجل الصالح ما وجدناها، فالذي يزول لا بأس به، ولم يقل أحد بتحريمه، وإنما الذي يثبت فالفتنة به أشد، ونقرب ذلك أكثر، لو كانت صورة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند الناس يرونها في تصوير فوتوغرافي مثلاً، أليس النفوس تتطلع إليها أكثر، لا شك، وفي بلدان الجهل قد يعبدونها كما هو معلوم عبدت حتى البهائم، فكيف بالرجال الصالحين أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولو كانت صورة النبي صلى الله عليه وسلم موجودة فترى من يعبدها، بل عبد الناس أضرحة لم يروا ما بداخلها، بل علموا أنه صالح وما بداخلها عظام، فقد لا يكون فيها شيئاً، فدل على أن الافتتان بالتصوير أشد وأعظم الحقيقي.

وقد ساق الشيخ محمد بن إبراهيم ﵀ إجماع أهل العلم إلى عصره على تحريم التصوير الفوتوغرافي، ومن فرق بين الظل وغيره يقول لا دليل عليه، بل النصوص على العموم، هذه فتنة الشرك في الوقوع فيها، ولا تغتر بتمسكك بالدين، وتقول: لن أفتن بتلك الصور، فقد يضل أبناؤك من بعدك بها، قال إبراهيم ﵇ ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾[1] وهي صنم، فما ظنك برجل صالح، ولو كانت صورة الإمام البخاري ﵁ معلق في حائط سترى أنه لا يوجد من أهل البلد إلا وخرجوا لينظرون إلى صورته، لماذا؟ لافتتان الناس بها فأتى الإسلام بتحريم ذلك.

وأما فتنته في غير الشرك فهي ظاهرة للجميع، فكم فتن رجل بسبب امرأة، وكم من امرأة هتك عرضها بصورتها، وكم من صبي أو امرأة هتكت أعراضهم بسبب إكراههما على ما حدث من تصوير، وهتك العرض بسبب ذلك التصوير والجميع يعلم أن ظهور الإكراه في هتك العرض كثر، أكثر من ظهور التصوير الفوتوغرافي، فتهدد المرأة أو الصبي بصورتها، فدل على الافتتان أيضاً حتى في أمر غير الشرك، وإنما في أمور الفسوق والعصيان، ولا ينظر الناس إلى كثرة المتهاونين بذلك الأمر، قال النووي ﵀ (**والتصوير محرم حرمة شديدة**) .

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٥.

عن أبي هريرة ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال : «قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة » .**

هذا هو النص الأول لبيان أن المصور أظلم الناس (**عن أبي هريرة** ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال : قال الله تعالى**) وهذا حديث قدسي.

«**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**» يعني لأحد أظلم منه.

«**فليخلقوا ذرة**» الذرة صغار النمل.

«**أو ليخلقوا حبة**» يعني من الشعير.

وهنا ذكر أمرين مما فيه روح وهو الذرة وما لا روح فيه وهو الحبة، يعني لا يستطيعون أن يخلقوا ما فيه روح ولا ما لا روح فيه، فهذه علة من علل التصوير، وليست هي العلة الوحيدة، لا يعني تصوير فوتوغرافي ليس فيه مضاهاة، وإنما فيه الافتتان (**أو ليخلقوا شعيرة . أخرجاه**) .

ولهما : عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال : «أشد الناس عذابا يوم القيامة : الذين يضاهئون بخلق الله » .

هنا ذكر النص الثاني لبيان أن المصور أشد عذاباً يوم القيامة (**ولهما : عن عائشة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **أن رسول الله ﷺ قال : «أشد الناس عذابا يوم القيامة : الذين يضاهئون بخلق الله»** يعني يماثلونه ويصانعونه، فالله مثلاً يخلق أسداً، فهذا يأتي وينحت أسداً ويقول: هذا أسد فعلت مثل خلق الله، هذا وعيد شديد عليه .

والتصوير الفوتوغرافي نقول: لا يدخل في المضاهاة، ولكن لأنه وسيلة للشرك وهو وسيلة أيضاً للأسيان .

ولهما : عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **سمعت رسول الله** ﷺ **يقول : «كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم »** .

(**ولهما : عن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **سمعت رسول الله** ﷺ **يقول : «كل مصور في النار»** هذا حديث عظيم؛ لبيان أن كل مصور في النار، قال أهل العلم **(والراضي بالتصوير مثل المصور)** كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وأما التصوير للضرورة فهذا لا بأس به، مثل التصوير في البطاقة، والتصوير في بطاقة رخصة القيادة وفي الجواز ما فيه بأس للضرورة.

(يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم) هذا نوع من أنواع العذاب على المصورين -والعياذ بالله- العذاب الأول أنه في جنهم، العذاب الثاني أن الصورة التي فعلها يحيها الله عَزَّ وَجَلَّ يحي مثلها ويعذب بها، فمن صور مثلاً فيلا يعذب بفيل، ومن صور أسدا يعذب بأسد، ومن صور حية يعذب بحية وهكذا والعياذ بالله .

ولهما : عنه مرفوعا : « من صور صورة في الدنيا؛ كلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ ».

الآن يذكر نوعاً آخر من أنواع العذاب عن المصورين (**ولهما : عنه مرفوعا : من صور صورة في الدنيا ؛ كلف أن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ**) يؤتى بما فعله من الحجر أو من التصوير الفوتوغرافي، فيقال له هذا الآن لا روح فيه اجعل فيه روحا ليحي، وإحياؤه لها متعذر، وإنما لزيادة العذاب عليه، مثال ذلك: لو أتي برجل أسير ومعه الجلدون وأوقفه عند جبل وقالوا له: احمل هذا الجبل على رأسك، فيقول: ما استطيع ويضربونه، ويقولون له: احمل هذا الجبل على رأسك وهكذا، ويعذب بذلك الأمر، وهنا يكلف أن ينفخ في الصورة، فيقال له: انفخ في الصورة وهولا يستطيع، فهذا من العذاب عليه أيضاً، يعني عذاباً جسدياً وعذاباً معنوياً .

ولمسلم : عن أبي الهياج قال : قال لي علي ﵁ : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : «ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته » .

هنا يذكر نهج النبي ﷺ والصحابة في الصور وهو طمسها، فإذا قيل: أن المراد بالطمس ما له ظل كالتمثال، نقول: لا، في حديث علي عند الإمام أحمد قال ابن المنذر اسناده جيد أن النبي ﷺ أرسل علياً في المدينة، وقال: «**لا تدع وثناً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، قال: ولا صورة إلا لطختها**» فدل على أن الوثن يكسر، والصورة التي ليست لها ظل تطمس، فدل على أن الشريعة أتت بالنهي عن جميع التصوير من ذوي الأرواح، سواء كان نحتا أو لا ظل له .

(**ولمسلم : عن أبي الهياج قال : قال لي علي ﵁ : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ**) فدل على أن نهج النبي ﷺ والذي سار عليه الصحابة «**ألا تدع صورة إلا طمستها**» إذا كانت مثلاً عند المرء صورة في حائط ونحو ذلك، تطمس «**ولا قبرا مشرفا**» يعني ولا قبراً عالياً «**إلا سويته**» لئلا يتميز عن غيره ولا يزاد عن شبر أي القبر، أما البناء عليه فهو وسيلة للشرك .



باب
ما جاء في كثرة الحلف

ساق المصنف ﷺ فيه ستة نصوص . النص الأول في بيان النهي عن كثرة الحلف . والنص الثاني في عقوبة المكثر للحلف في الدنيا . والنص الثالث في عقوبة المكثر من الحلف في الآخرة . والنص الرابع في بيان أن القرون المفضلة لا تحلف . والنص الخامس أن الحلف أتى بعد القرون المفضلة . والنص السادس في بيان أن القرون المفضلة كانوا يؤدبون ابنائهم إذا أكثر من الحلف فليكن ما بعدهم كذلك .

والحلف ينقسم إلى أقسام :

القسم الأول : الحلف بغير الله، وهذا -والعياذ بالله- وليس له كفارة .

القسم الثاني : الحلف به سبحانه وينقسم إلى أقسام القسم، الأول : أن يحلف بالله كاذباً، وهذا هو اليمين الغموس ولا كفارة فيه؛ لأن الذنب عظيم والكفارة لا ترفعه، واليمين الغموس أن يحلف على أمر ماضي عالم متعمد، فلو قيل له هل زرت زيداً وهو زائر زيد، يقول: والله لم أزره، هذا يمين غموس وغير مكفرة، وإنما يجب فيها التوبة.

والقسم الثاني : اليمين المكفرة وهي الحلف على أمر مستقبل مثل لو قال شخص والله لا أكلم خالدا ثم بعد شهر بدأ له أن يكلمه فله أن يكفر ويكلمه .

والقسم الثالث : لغو اليمين مثل ما قالت عائشة (**لا والله وبلى والله**) .

والقسم الرابع : أن يحلف بالله ﷻ صادقاً، وهذا ينقسم إلى قسمين، القسم الأول : أن يحلف على أمر ديني، مثل يقول: والله إن محمداً حق وهذا جائز، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن النبي ﷺ حلف على أمور الدين في ثلاثة وثمانين موضعاً. والقسم الثاني : أن يكثر بالحلف بالله ﷻ على أمور الدنيا، وهو الذي بوب عليه المصنف، وهذا مناف لكمال التوحيد؛ لأن الإكثار من الحلف وإن كان صادقا فيه عدم إجلال الله ﷻ وعدم تعظيمه، وإذا أكثر من الحلف قد لا يكفر، مثال أمور الدنيا: والله قرأت الكتاب، والله زرت خالدا، والله زرت محمدا، وإن كان صادقا، الإكثار منه مناف لكمال التوحيد؛ لأن الله ﷻ عظيم، فلا يحلف به إلا في أمر معظم .

وقول الله تعالى : ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾[1] .

﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ ﴾ قال ابن عباس: (**أي لا تحلفوا فاجعل يمينك محفوظة**) وقد كان الصحابة ﷺ يتورعون عن اليمين التي في القضاء، وإن كان الحق معه، فما ظنك بأمور الدنيا .

عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب » أخرجاه .

هنا يذكر عقوبة الحالف على أمور الدنيا (**عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الحلف منفقة للسلعة**) يعني أن المشتري إذا رأى البائع يحلف فيصدقه فسلعته تذهب؛ لأن الناس يصدقونه.

(**ممحقة للكسب**) يعني مزيلة للبركة، هذه عقوبة الحالف في الدنيا، فالبائع إذا كان يحلف وإن كان صادقا تمحق بركة ماله، وكذا غير البائع إذا كان الشخص يحلف: والله زرت خالدا، والله أتيت من هنا، وخرجت من هناك، تذهب بركة قوله (**أخرجاه**) .

---

(١) سورة المائدة: ٨٩.

وعن سلمان ﷺ مرفوعا : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم: أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ؛ لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح .

الآن يذكر عقوبة الحالف على أمر الدنيا في الآخرة، ورجل جعل الله بضاعته (**وعن سلمان ﷺ مرفوعا : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة**) هذه العقوبة الأولى: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، وفيه إثبات صفة الكلام لله ﷻ .

(**ولا يزكيهم**) من الزكاة، فليسوا من المزكين.

(**ولهم عذاب أليم**) -والعياذ بالله- هذه العقوبة الثالثة عليهم في الآخرة الذي يكثر من الحلف في أمور الدنيا .

(**أشيمط**) يعني شيخ كبير، وأصل الشمط البياض، والمراد به ظهور الشيب في الرجل (**زان**) يعني شيخ كبير يزني، وهذا يدل على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي إليها، فالشيخ الكبير جوانح الشهوة فيه قليلة، ويرتكب ذلك الذنب .

(**وعائل مستكبر**) يعني فقير يتكبر؛ لأن من كان فقيراً ليس حثه التكبر، وكذا الغني ليس من حقه التكبر، لكن تكبر الغني ففيه داعي للتكبر في نفسه، أما الفقير على ماذا يتكبر، وإن كان جميع الصنفين من الكبائر، لكن أشد العائل المستكبر؛ لقلة داعي الذنب في نفسه .

(ورجل جعل الله بضاعته) معنى هذه الكلمة فسرها النبي ﷺ بقوله **(لا يشتري إلا بيمينه)** هذا جعل الله بضاعته فيقول مثلاً: والله ما عندي مالاً قلل لي السعر **(ولا يبيع إلا بيمينه)** والله ما فيه مربح وأبيعك بسعرها هذا -والعياذ بالله- متوعد بذلك وإن كان صادقاً، فلا يحلف **(رواه الطبراني بسند صحيح)** .

وفي الصحيح : عن عمران بن حصين ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم» – قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ؟ – «ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » .

الآن يذكر أن أهل القرون المفضلة لا يحلفون؛ لأن كل رجل يصدق الآخر، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال : «**المسلم أخو المسلم ... إلى أن قال ولا يكذبه**» يعني إذا تحدث لا تكذب عليه **(وفي الصحيح : عن عمران بن حصين** ﷺ **قال : قال رسول الله** ﷺ : «**خير أمتي قرني**») والقرن المراد به الجماعة الذين عاشوا في زمن واحد، كالصحابة ﷺ ، فخير أجيال هذه الأمة هم جيل الصحابة .

(خير أمتي قرني) يعني من عاش في قرني **(ثم الذين يلونهم)** يعني القرن الذي يليه، وإنما كان قرن الصحابة هم أفضل قرون؛ لأنهم صحبوا النبي ﷺ، فالصحبة منزلة عالية اختارها الله ﷻ لخلص عباده، وكانوا خير القرون لقربهم

من مشكاة النبوة، ولصفاء قلوبهم، ونقاء سرارتهم، ومحبتهم للدين، ونشره له وذبهم للنبي ﷺ وصبرهم على المشاق التي لم يصبر أحد عليها مثلهم، فكان قرنه خير القرون، وإذا ظهرت بدعة أنكروها وخمدت، ثم الذين يلونهم، قال شيخ الإسلام رحمه الله **(وكلما بعد الناس عن مشكاة النبوة كثر فيهم الجهل)** .

(ثم الذين يلونهم) يعني القرن الثالث، فالصحيح أن القرون المفضلة هي قرون ثلاثة فقط، ثم الذين يلونهم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في صحيح البخاري عن أنس: **(لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه)** وهذا في الجملة وإن كان يوجد في كل قرن من هو عالم أو صالح أو شهيد أو صديق، لكن هذا على سبيل الجملة، لكن في آخر الزمان تقوم الساعة وليس على وجه الله، من يقول الله الله **(قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا)** لكن حديث ابن مسعود ذكر أنه ثلاثة قرون مع قرنه .

(ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون) هنا ذكر المصنف، هذا هو الشاهد، فذكر أن اليمين في الشهادة، يعني: يؤدون الشهادة قبل أن تطلب منهم للمسارعة فيها واليمين مثلها يكثر من الحلف فيها، وهذا من فقه المصنف رحمه الله أنه جعل اليمين كالشهادة، وإلا فهذا الحديث ليس فيه ذكر اليمين .

(ويخونون ولا يؤتمنون) -والعياذ بالله- تكثر فيهم الخيانة **(وينذرون ولا يوفون)** مثل أن يقول شخص: لله عليّ أن أفعل كذا، ولا يفعل، أو نذر عليّ ألا

أكلم فلاناً، ولا يفي بنذره، وهذه من علامات النبوة .

(ويظهر فيهم السمن) يعني البدانة في الجسد، والمراد بها التوسع في المآكل والمشارب مع التفريط في أمور الدين، وليس المراد: سمن الرجل فحسب مع تمسكه بالدين، وإنما هذه إشارة إلى أن همه الأكل والشرب والدنيا فقط، وإلا فعلماء أجلاء كان فيهم السمن، كعلي ابن المديني رحمه الله كان رجلاً بديناً وهو من أعلام هذه لأمة .

وفيه: عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته» .

هنا يذكر أن بعد القرون المضلة يكثرون من الحلف **(وفيه : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم»)** هنا حديث ابن مسعود جزم أن القرون المفضلة ثلاثة، وحديث عمران شك، فيحمل يقين ابن مسعود على شك عمران رضي الله عنهما .

الحديث الأول: خير أمتي قرني، وهنا خير الناس قرني، يعني هذا أعم في جميع الأمم هو قرني، فدل على أن الصحابة رضي الله عنهم خيار في هذه الأمة من الأمم، وخيار القرون من قرون هذه الأمة، فهم خيار من خيار رضي الله عنهم جميعا،

قال سبحانه عنهم: ﴿وَكُلًّا - يعني من انفق قبل الفتح وقاتل- وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ - يعني الجنة﴾[1] قال ابن حزم (**أجمع العلماء على أن جميع الصحابة في الجنة**) والله ﷻ يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2] قال شيخ الإسلام ؒ (**لا كان** - في الأمم السالفة أحد- **ولا يكونْ**- في هذه الأمة أحد- **مثلهم**) والله ﷻ اصطفى رجال هذه الأمة؛ لأن يصحبوا أفضل الرسل، وإذا فضل العظيم من حوله شرفوا .

(**ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه**) يعني تتسابق اليمين، والشهادة إن أتت الشهادة يسرع إليها، وإن أتت اليمين يسرع إليها، وهذا محمول في الشهادة على أدائها إن كان لا يلزمه أداؤها، فمثلاً لو حضر عشرة مقتل رجل، فمن سابق إليها مذموم، وإذا طلب من طلب وياديها فهذا هو الواجب، فهنا محمول على أن يتسابق إليها قبل تطلب منه، وكذا اليمين يحلف وأنت ما طلبت منه أن يحلف (**ويمينه شهادته**) .

(١) سورة الحديد: ١٠.

(٢) سورة التوبة: ١٠٠.

قال إبراهيم : " كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ، ونحن صغار " .

هنا ذكر النص السادس وهو أن القرون المفضلة كانوا يضربون أبناءهم لتأديبهم على عدم الإكثار من الحلف بالله ﷻ ؛ تعظيماً له سبحانه (**قال إبراهيم**) النخعي وكان من أصحاب ابن مسعود ﵁ (**كانوا**) يعني الصحابة (**يضربوننا على الشهادة**) لأننا نتسابق عليها (**والعهد**) يدخل فيها اليمين (**ونحن صغار**) حتى وهو صغير يضرب لذلك من ابنه أو أخاه الصغير يحلف تنهر عن الحلف، وإن كان صادقا الله يقول ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾[1] فإذا رأيت رجلاً يحلف لا تطعه، ومن أكثر من الحلف، كثرت زلاته وقل تعظيمه لله ﷻ ، وقد يقل تكفير يمينه، فجمع بين سوءات عديدة، أصلها عدم تعظيم الله ﷻ .

---

(١) سورة القلم: ١٠.

باب
ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

أي ما جاء في عهد الله وعهد نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أي من الوعيد في نكثها، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر آية وحديثا . الآية في وجوب الوفاء بالعهد . والحديث لبيان أن من عاهد آخر فلا يقل هذا عهد الله أو ذمة الله أو ذمة نبيه، وإنما يقول هذا عهدي وذمتي .

ومعنى هذا الباب: أنه لو تبايع رجل وآخر، وقال عهد عليّ مثلاً أن أعطيك الثمن، يجب عليه أن يوفي، أو عهد عليّ ألا أخر الأجرة عنك، يجب أن يوفي، ولا ينبغي أن يقول عدم تأخيري الأجرة، هذا عهد الله أني لا أخر عنك الأجرة، فمن باب تعظيم الله لا تقل عهد الله، وإنما قل هذا عهدي؛ لأنك إذا نقضت ذلك العهد؛ لئلا تنسبه لله عَزَّ وَجَلَّ ، هذا مقصود المصنف من هذا الباب .

وقوله : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾[1] **الآية.**

﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾[2] هذا هو الصارف عن النهي في الحديث الآتي الحديث القادم قال: (**فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة رسوله**) وهنا قال: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ﴾ فيحمل الحديث على الاستحباب؛ لأن الله قال: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ﴾ فنسب العهد له سبحانه، فمن عاهد شخصاً يجب عليه أن يوفي به؛ للآية ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا ﴾ يعني أن اكدتم الوفاء بها لا تنقضوها بالكفارة .

---

(١) سورة النحل: ٩١.

(٢) سورة النحل: ٩١.

عن بريدة ﷺ : أن رسول الله ﷺ كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية ؛ أوصاه بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : «اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا . وإذا لقيت عدوك من المشركين ؛ فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – ، فأيتهن ما أجابوك ؛ فاقبل منهم ، وكف عنهم . ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك ؛ فاقبل منهم . ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك ؛ فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين . فإن أبوا أن يتحولوا منها ؛ فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله تعالى الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء ؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين . فإن هم أبوا ؛ فاسألهم الجزية ؛ فإن هم أجابوك ؛ فاقبل منهم ، وكف عنهم . فإن هم أبوا ؛ فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ؛ فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه. وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ؛ فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم ، أم لا ».

الآن يذكر حديثاً عظيماً في التعامل مع غير المسلمين، وهذا الحديث يجب على كل مسلم أن يعيه، وليعلم غيره من غير المسلمين، أن دين الإسلام دين عدل

لا ظلم فيه، وإنما قصده إيصال دعوة الله إلى غير المسلمين؛ لإنقاذهم من النار، ولو بين هذا الحديث إلى غير المسلمين، قد يدخلوا ناس كثير أفواجاً في دين الله لعظم وحكمة الإسلام، وتوجيهات النبي ﷺ النبوية الرشيدة في هذا الأمر.

(**عن بريدة** رضي الله عنه : **أن رسول الله** ﷺ **كان إذا أمر أميرا على جيش**) وهذا يدل على أن المشروع في الغزو أن يجعل على الغازين أميراً يأتمرون بأمره، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «**من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني**» وأمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه إذا سافر ثلاثة قال: «**فليؤمروا عليهم أحدهم**» لئلا تختلف الكلمة بينهم (**أو سرية**) عدد أقل من الجيش، جزء من الجيش، يعني عدداً قليلاً يذهبون إلى القتال، أو عدد أكثر يذهبون إلى القتال، وهو الجيش (**أوصاه بتقوى الله**) يوصي الأمير بتقوى الله، ألا يظلم من تحته، وألا يظلم من سيلقى فيراقب الله عز وجل فيمن معه ومن سيأتي، وأوصاه في نفسه بكثرة التعبد لله والقرب منه، أوصاه (**ومن معه من المسلمين خيرا**) بالرفق، ومراقبة الله عز وجل، وبجمع الكلمة، وكثرة العبادة، وإحسان الدعوة لمن سيلقى من غير المسلمين.

(**ثم قال: اغزوا باسم الله**) يعني اجعلوا غزوكم مستعينين بالله، متبركين باسمه سبحانه؛ لأن الناصر لكم هو الله، قال سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنفال: ١٧.

وقال ﷻ ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[(١)] فإذا كان الله ﷻ هو الناصر، استعن به وحده **(في سبيل الله)** يعني لا رياء ولا سمعة ولا مفاخرة ولا إفساداً، وإنما لنشر دين الله .

(قاتلوا من كفر بالله قاتلوا من كفر بالله) يدل على أن سبب مشروعية الجهاد هو الكفر به سبحانه، ولو آمن من ستلقى يحرم عليك أن تقاتله؛ لأن الإسلام لا يتشفى من نفوس الكفار إذا أسلموا، الله ﷻ يقول: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾[(٢)] .

(اغزوا ولا تغلوا) يعني إذا غنمتوا فلا يسرق أحدكم من الغنيمة، فالغلول هو السرقة من الغنيمة .

(ولا تغدروا) إذا عاهدتم غيركم ليعلم غير المسلمين أننا نراقب الله ﷻ فيهم وفي غيرهم، وعهودنا ومواثيقنا مؤداه لا خيانة فيها ولا كذب.

(ولا تمثلوا) يعني من ستلقون، والمثلة مثل قطع الأذن أو فقع العين ونحو ذلك؛ لأن المقصود من الجهاد ليس هو التشفي، وإنما نشر الدين، وشرع الجهاد لقتال من وقف في وجه الدعوة فقط، أما إذا قيل للدعاة انشروا الدين فيحرم أن نتقاتل من أمرنا بنشر الدين .

---

(١) سورة الأنفال: ١٠.

(٢) سورة التوبة: ١١.

(**ولا تقتلوا وليدا**) يعني طفلاً صغيراً، هذا النهج العظيم في الإسلام، ومثل الوليد الشيخ الكبير الذي لا يقاتل، وكذا المرأة، وكذا الرهبان، وكذا الأحبار إذا لم يكن لهم رأي في القتال؛ لأن هؤلاء لم يقفوا في وجه الدعوة، فيحرم قتالهم، وكذا يحرم قتل النساء إذا لم يقاتلن .

(**وإذا لقيت عدوك من المشركين ؛ فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال**) لا تقاتلهم أول ما تأتي إليهم، وإنما إذا وقفت عليهم، أعرض عليهم ثلاث خصال، لم يأت هذا الدين بقتلهم أو سحقهم، وإنما لإخراج من الظلمات إلى النور ولإنقاذهم من النار (**فأيتهن ما أجابوك ؛ فاقبل منهم، وكف عنهم**) يعني: لا يجوز أن تقتلهم إذا فعلوا شيئاً من ذلك .

(**ثم**) هذه لفظة زائدة، وإن كانت في صحيح مسلم، لكن ليست في سنن أبي داود، وإيرادها يظن أن هذا أمرا آخر، وإنما ادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال (**ادعهم إلى الإسلام**) هذه الخصلة الأولى ثم (**الجزية**) ثم بعد ذلك (**القتال**) .

(**فإن أجابوك ؛ فاقبل منهم**) يعني اعرض عليهم الإسلام، إذا أجابوك اقبل منهم إسلامهم، وكف عن قتالهم .

(**ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين**) يعني هذه تبع الخصلة الأولى، إذا أسلموا، ليتحولوا من دارهم إلى دار المهاجرين، ليغيروا بيئة الكفر إلى الإسلام؛ لأن الهجرة واجبة.

(**وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك**) يعني الهجرة وهاجروا إلى ديار الإسلام (**فلهم ما للمهاجرين**) من الغنيمة والفيء يقسم لهم منه، فإذا قاتلوا معهم يدخلون في ذلك (**وعليهم ما على المهاجرين**) من النصرة والقتال وغير ذلك .

(**فإن أبوا أن يتحولوا منها**) يعني اختاروا أن يسلموا ويبقوا في ديارهم (**فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين**) ليس لهم شيء من الغنيمة ولا الفيء، فلا يأتون يطالبون إمام المسلمين بأن يقسم له شيء من الغنيمة أو الفيء؛ لأنهم لم يقاتلوا معهم، ولأنهم بقوا في ديارهم (**يجري عليهم حكم الله تعالى الذي يجري على المؤمنين**) من وجوب التمسك بالدين (**ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء**) لأنهم لم يأتوا ويقاتلوا مع المسلمين (**إلا أن يجاهدوا مع المسلمين**) هذه الخصلة الأولى .

(**فإن هم أبوا فإن هم أجابوك ؛ فاقبل منهم ، وكف عنهم**) هذه الخصلة الثانية (**فاسألهم الجزية**) يعني يطلب منهم أن يدفعوا الجزية، وهذه الجزية التي تدفع للمسلمين مقابل حفظ المسلمين لهم ألا يعتدي عليهم، وهذا من عظيم شرع الإسلام ،فيدفع الكافر للمسلمين الجزية؛ لنحفظه لئلا يعتدي أحد عليه لا من الكفار ولا من المسلمين (**فإن هم أجابوك ؛ فاقبل منهم ، وكف عنهم**) ليدفعوا الجزية .

(**فإن هم أبوا ؛ فاستعن بالله وقاتلهم**) هذه الخصلة الثالثة إذا رفضوا

الإسلام ورفضوا الجزية فيقاتلون؛ لأنهم منعوا المسلمين من دخول ديارهم لنشر الإسلام فيها .

سبق أنه إجلالاً لله وتعظيماً له لئلا يخشى ألا ينسب هذا العهد أو الذمة أو الميثاق إلى الله ﷻ أو إلى نبيه في حياته، وإنما يقال هذا عهدي، وهذه ذمتي، وهذا ميثاقي وهذا شرطي، ونحو ذلك، وهذا من باب الاستحباب لكمال التوحيد المستحب، ولم ينهى لأن الله ﷻ قال : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ فأضاف الله ﷻ العهد إليه سبحانه، وإن كان من باب التعظيم، لكن دل على الجواز .

وساق المصنف رحمه الله حديث بريدة هنا لبيان أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى أن تجعل الذمة بين الناس في نسبتها إلى الله ﷻ وإلى رسوله عليه الصلاة والسلام ، مثال ذلك: لو قال شخص لآخر: اسكن في منزلي مدة ستة أشهر بأجرة قدرها كذا، وهذا عهد الله بيني وبينك، نقول: لا، تقل هذا عهد الله، وإنما قل: هذا عهدي، وكذا لو قال شخص: سوف اشتري منك هذه السيارة مثلاً بمئة ألف ريال، وثقة هذا العهد، وهو في ذمة الله، نقول: لا، اجعله في ذمتك، والعلة في ذلك؛ لأنه إن اخفره هذا العهد أي نقضه لا ينسب هذا العهد إلى الله ﷻ، وإنما ينسب للمرء، إذا قال: هذا عهدي ونقضه، فنقول: أنت نقضت عهدك، ولا نقول تقضت عهد الله؛ لذلك قال في الحديث: وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، يعني: لا تقل لو كان بينكما شرط لا تقل هذه ذمة الله

بيني وبينكم ألا نقتلكم، وكذا من باب تنزيه الله ﷻ لا يقال في المعركة ونحو ذلك، عليك أمان الله سلِّم نفسك، وإنما يقول عليك أماني وهكذا .

(وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه) يعني فقالوا: لا نرضى بذمتك، وإنما عليك أن تقول في ذمة الله، هذا وفي ذمة نبيه.

(فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه) ولكن اجعل لهم ذمتك، فتقول هذا عهدي بيني وبينكم، هذا عهدي وهذا أماني وهي ذمتي وهكذا، ولو قال عهد الله يجوز، لكن من باب كمال التوحيد المستحب **(ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك)** العلة **(فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه)** يعني لو كان هناك نقض للعهد فيقال أنت نقضت عهدك، ولم تنقض عهد الله .

(وإذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله) فلا تقل حكمت عليكم بحكم الله، بأن أقبل منكم الفدية مثلاً، وإنما يقول حكمت عليكم بما اجتهدت من حكم الله، أو حكمت عليكم بحكم الشريعة، وهكذا، القاضي لا يقول في غير الحدود حكمت عليك بحكم الله بسجنك كذا سنة، وهكذا وإنما يقول حكمت عليك بكذا، ولا يقل بحكم الله؛ لأن قد ما حكمت به لا يكون هو الموافق لحكم الله ﷻ .

(فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك) فتقول حكمت

عليكم أن تعطوني مثلاً مئة دينار، وألا أقتلكم وهكذا.

(**فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم ، أم لا**) فقد يكون ما حكمت به غير ما أراد الله ﷻ من حكم (**رواه مسلم**) .



باب
ما جاء في الإقسام على الله

الإقسام على الله، يعني اليمين على الله، أي: الحلف على الله، مثل أقسمت عليك يا رب أن تشفي فلان، أو والله سوف أعاف، أو والله سوف انتصر، ونحو ذلك .

والإقسام على الله ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : من باب إحسان الظن بالله ﷻ ، مثل في معركة، لو قال مسلم: أقسمت عليك يا رب بأن تنزل نصرك، أو الله سننتصر، فهذا من باب حسن الظن، ولا بأس به؛ لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **(إن من عباد الله لو أقسم على الله لأبره)** ولكن الأولى عدم فعل ذلك.

كان شيخ الإسلام رحمه الله لما غزا التتار الشام حلف أنه سوف ينتصر، فقيل له قل: إن شاء الله، فقال: **(إنشاء الله تحقيقاً)** يعني سوف ننتصر لا تعليقاً، وهذا من الإقسام على الله، ومثل ذلك أيضاً كما في البخاري ومسلم حديث أنس بن النضر قال: **(والله لا تكسر ثنية الرُبيّع)** فهنا حلف بأن ثنيتها لن تكسر، فهذا جائز، وهو من باب إحسان الظن بالله، يعني لن تكسر، قد يكون هناك صلح ونحو ذلك، ومثل لو رأى شخص مظلوماً فقال: أقسمت عليك يا رب أن تنصره، وتقول

ذلك من باب إحسان الظن؛ لأنك يا رب وعدت بنصر المظلوم، هذا لا بأس به، لكن الأولى عدم فعله لأن النبي ﷺ لم يفعله .

القسم الثاني : الإقسام على الله من باب الحجر عليه سبحانه، مثل: لن يغفر الله لفلان، والحلف والله لن يغفر الله لفلان، أو والله لن يفلح فلان، أو والله لن يتزوج فلان فلانة؛ لأنه لا يستحق ونحو ذلك، وهذا لا يجوز، وهو قادح في التوحيد، ولأجله بوب المصنف ؒ هذا الباب .

والمصنف ؒ ساق حديثين في هذا الباب . الحديث الأول لبيان النهي على التألى على الله من باب الحجر عليه، وهو قادح في التوحيد . وساق المصنف الحديث الثاني؛ لبيان أن من تألى على الله ﻷ ولو من باب الغيرة الدينية، فهو قادح في التوحيد، كما سيأتي (**أن القائل بتلك الكلمة رجل عابد** -قال أبو هريرة- **تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته**) .

عن جندب بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله ﷻ : من ذا الذي يتألى عليَّ ألا أغفر لفلان؟! إني قد غفرت له، وأحبطت عملك » [رواه مسلم].

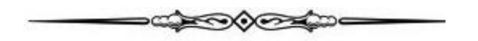
(**عن جندب بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : قال رجل**) وفي رواية أن النبي ﷺ قص ذلك وهو من بني اسرائيل، كان أحدهما رجلاً عابداً، والآخر على معصية، فكان يدعوه فيأبى، فحلف ذلك العابد (**والله لا يغفر الله لفلان**) حجر على الله ﷻ وأقسم أن رحمة الله ومغفرته أنها لن تنزل على هذا العبد، وهذا هو التألي على الله، وهذا لا يجوز، ومثل ذلك لو أن شخصاً قليل التفكير، فيقول شخص لآخر: والله لن يغتني فلان من المال، هذا من باب التألي على الله ﷻ، فالله سبحانه قد يغني حتى المجنون.

(**فقال الله ﷻ : من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان**) يعني من ذا الذي يحلف عليّ فالتألّي الحلف. (**إني قد غفرت له ، وأحبطت عملك**) لما حلف بأن الله لن يغفر لفلان غفر الله ﷻ لذلك العاصي وأحبط عمل ذلك المتألي، فدل على أن التألي من كبائر الذنوب، ويدل الحديث أيضاً على أن الشخص قد ينال مغفرة الله وخيراً كثيراً بسبب كلام الآخرين فيه، فرجل قال: والله لا يغفر الله لك، فالله غفر لذلك المقصر بسبب كلام الآخرين، وليس بسبب عمله؛ لذلك كل ما يقدره الله ﷻ على العبد يرضى به ويسلم، فقد يكون سبب مغفرته أو غناه أو رفعة درجاته وهكذا [**رواه مسلم**] .

وفي حديث أبي هريرة : أن القائل رجل عابد . قال أبو هريرة : " تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته " .

الآن يذكر أن حتى ولو كان من باب الغيرة، أن من رأى مقصراً كذلك من كبائر الذنوب، فليس الوعيد السابق خاصاً بالمتألي المقصر، بل حتى العابد لو قال ذلك يحبط عمله .

(**وفي حديث أبي هريرة : أن القائل رجل عابد . قال أبو هريرة : " تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته**) لأنه أحبط عمله، وإذا حبط عمل شخص حتى في الدنيا لا يفلح والآخرة أشد وأبقى .



باب لا يستشفع بالله على خلقه

أي أن ذلك من كبائر الذنوب، وأن فيه قلة تعظيم الله ﷻ وعدم معرفة قدره سبحانه، فهو سبحانه أجل وأعظم من المخلوقين، ومعنى الاستشفاع بالله على خلقه: مثل أن يقول شخص لآخر: يا زيد أنا أطلب من الله أن يشفع لي عندك أن تعطيني، مثال آخر: لو شخص أراد أن يتزوج امرأة، فوليها امتنع من تزويجها، فلو قال شخص: يا رب اشفع لي عند أبيها ليزوجني -والعياذ بالله- هذا من كبائر الذنوب؛ لأن الله ﷻ لا يشفع من أجل أن يفعل مخلوق فعلا، وإنما الله ﷻ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1].

فالله هو الذي يدبر الأمر، أما المخلوق فما يدبر الأمر حتى نجعل الرب ﷻ العظيم، يقول: يا فلان لعلك توافق على تزويج بنتك، لا، -والعياذ بالله-؛ لذلك النبي ﷺ سبح الله ﷻ قال: «**سبحان الله ! سبحان الله قال فما يزال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه**» يعني كراهية ذلك الفعل، وأما عكس هذه المسألة فجائز، مثالها: لو أن شخصاً أتى إلى رجل صالح وقال: اشفع لنا بدعائك بأن تدعو لنا ربك أن ينزل علينا غيثاً، نقول: ما فيه بأس، فهذا الرجل الصالح يقول:

(١) سورة البقرة: ١١٧.

يا رب انزل علينا المطر، ونقول: هذا الشافع الحي، نقول له: اسأل ربك أن ينزل المطر، هذا ما فيه بأس، مثل لو أنت قلت يا رب أغثنا، وأما الاستشفاع بالميت عند الله ﷻ فكما هو معلوم أنه شرك أكبر بالإجماع، مثل لو شخص أتى إلى قبر ميت فقال له: يا فلان اشفع لي عند ربك أن يغفر لي ذنبي، نقول: دعاء الأموات شرك أكبر، فلا تدع ميت، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾[1] وإنما نقول ادع ربك سبحانه وتعالى .

(١) سورة يونس: ١٠٦.

عن جبير بن مطعم ﷺ قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله! نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال؛ فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله ، فقال النبي ﷺ : «سبحان الله! سبحان الله! فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد ... » وذكر الحديث. [رواه أبو داود].

(عن جبير بن مطعم ﷺ قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله! نهكت) يعني ضعفت.

(الأنفس) يعني من الجوع. **(وجاع العيال)** لقلة المطر وشدة القحط.

(وهلكت الأموال) يعني الماشية هلكت بسبب الجوع وشح المطر.

(فاستسق لنا ربك) هذا ما فيه بأس، يعني ادع لنا ربك أن ينزل علينا الغيث، هذا ما فيه بأس، فدعاء النبي ﷺ وهو حي تطلب منه أن يدعو لك جائز، وكذا ولو ذهب شخص إلى جده، وهو رجل صالح، ويقول له: يا جدي ادع لي أن أنجح في الامتحان، ما فيه بأس، ما دام أنه حي يجوز، ولكن وهو ميت، لا، لكن الأفضل ألا يطلب الإنسان من غيره أن يدعو له.

(فإنا نستشفع بالله عليك) -والعياذ بالله- هذه الكلمة منهي عنها، فإنا نستشفع بالله عليك يعني: يا رب اشفع لنا عند محمد ليدعوك فينزل علينا المطر،

-والعياذ بالله- لا، الرب عظيم لا يشفع لأحد، وإنما بيده الأمر كما قال سبحانه: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[(١)] وكما قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[(٢)].

(وبك على الله) يعني نستشفع بدعائك لله أن الله ينزل علينا المطر، يجوز في حياته، أما بعد وفاة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهذه مقالة من الشرك الأكبر؛ لأن النبي ﷺ مات في قبره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **(فقال النبي ﷺ : سبحان الله! سبحان الله!)** يعني أنزه الله عن كل عيب ونقص، كيف أجعل الخالق العظيم كالمخلوق الضعيف، فالخالق العظيم يشفع عندي كي يأتيكم المطر.

(فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه) لأن هذه كلمة عظيمة، ودل على أن المرء إذا سمع أمراً منكراً يشرع له التسبيح.

(ثم قال : ويحك !) يعني كلمة زجر مثل ويلك.

(أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك) يعني أعظم أن يشفع لأحد عند الخلق، وإنما الله ﷻ هو الذي يدبر أمر الخلائق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **(إنه لا يستشفع بالله على أحد ... وذكر الحديث . رواه أبو داود)** .

---

(١) سورة السجدة: ٥.

(٢) سورة يس: ٨٢.

باب
ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

(**باب ما جاء في حماية النبي** ﷺ) يعني في حفاظ النبي ﷺ على (**حمى التوحيد**) عندنا توحيد، وعندنا حمى له، يعني التوحيد الذي يقدح فيه، والحمى الذي يؤثر في التوحيد من بعيد، فهذا هو الحمى، مثل لو شخص عنده بيت ووضع أمامه رحبة مكاناً فاضياً، فالمكان الفاضي هذا يسمى حمى، فلو وصل إلى البيت قدح فيه، ولو دخل في الحمى يبدأ وسيلة في التأثير فيه، فالنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الحمى البعيد هذا أغلق كل باب يوصل إليه؛ لذلك قال المصنف (**باب ما جاء في حماية النبي** ﷺ **حمى التوحيد**) يعني في حفاظ النبي ﷺ حمى التوحيد (**وسده طرق الشرك**) التي توصل إليه .

والفرق بين هذا الباب وبين الباب السابق (**باب ما جاء في حماية المصطفى** ﷺ **جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك**) أن ذاك الباب في سد الطرق الفعلية التي توصل للشرك، مثل ما ساق المصنف في الحديث: أن رجلاً كان يأتي إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فنهاه عن ذلك؛ لأنه وسيلة للشرك، أما هذا الباب فسد الأقوال فذاك الأفعال، وهذا الأقوال والباب الأول في الحفاظ على ذات التوحيد (**باب ما جاء في حماية المصطفى** ﷺ **جناب التوحيد**) يعني

الجانب القريب منه، أما هذا الباب أوسع الحمى، وسبب تفريق المصنف ﷺ بينهما: أن الأول ذكره في مواضع الشرك، فيقول انتبه للتوحيد، فلما قوي توحيد الموحد، قال: حافظ عليه أكثر، واحذر أن يأتيك شيء من بعيد يؤثر على التوحيد، وهذا من بديع تصنيف المصنف ﷺ في كتابه هذا .

والمصنف ﷺ في هذا الباب ذكر أقوالاً قد تؤثر في حمى التوحيد، وساق فيه حديثين . الحديث الأول لبيان قول نهى النبي ﷺ عليه وهو قول **(سيدنا)**. والحديث الثاني ذكر مثالا آخر في قول **(أفضلنا)**، ومثل ذلك أيضاً: أنت أعلمنا، أنت أفقهنا، فكل ذلك يؤثر في حمى التوحيد .

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : " السيد الله ، قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان " رواه أبو داود بسند جيد .

(**عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا : أنت سيدنا**) ومع ذلك أنكر عليهم قال: (**قولوا بقولكم أو بعض قولكم**) لما قالوا أنت سيدنا وابن سيدنا، وفي حديث آخر قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**».

والجمع بين الحديثين حديث (**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**) أخبر به النبي ﷺ من باب الإخبار؛ حتى يعلم الناس جميعا أن نبينا ﷺ هو سيد ولد آدم من حين آدم إلى قيام الساعة، ولهذا بالإجماع أفضل الخلق عند الله عز وجل هو محمد ﷺ ، حتى أفضل من جبريل، وهذا باتفاق أهل العلم، وأيضاً من الجمع بينهما أنه قيل له (**أنت سيدنا**) في وجهه لما رأوا، ولو لم يقل في وجهه ما فيه بأس، فلو قيل فلان سيد فلان وهو لا يسمع، يجوز، ومن ذلك أن النبي ﷺ لما قدم سعد بن معاذ قال لأصحابه: (**قوموا لسيدكم**) وهو ما يسمع بعيد .

وكلمة سيد يجوز إطلاقها بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن تكون على المؤمن، ولا يجوز إطلاقها على الفاسق، ولا على المنافق، ولا الكافر، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ : «**لا تقولوا للمنافق يا سيد فإنكم إن فعلتم ذلك قد أغضبتم ربكم**».

الشرط الثاني : لا يكون في الوجه .

الشرط الثالث : ألا يكثر المرء منها لأن النبي ﷺ لم يقل (**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**) إلا مرة واحدة، فالإكثار منها لا يشرع، لا سيما في وجه الممدوح، إذا كان أهلاً لذلك، لما قالوا له: أنت سيدنا وابن سيدنا؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أسرة معظمة، فأجداده هم سادة قريش، فهو سيدهم وهو ابن أسيادهم أيضاً، ومع ذلك نهاهم النبي ﷺ عن تلك الكلمة .

ولهذا، الأفضل أن يقال نبينا محمد ﷺ، أكمل وأعظم للنبي ﷺ ، وأكمل وصفاً من سيدنا محمد ﷺ لماذا؟ لأن وصف النبوة ليس في هذه الأمة إلا له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ، وإذا قلت سيدنا محمد، فيشاركه في هذا الوصف آلاف البشر، فالصحابة أسياد، والصالحون أسياد، والعلماء أسياد، بل إن هذا الوصف يجوز إطلاقه على الكافر من الكافر، كما قال تعالى ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[1] ولهذا كما سيأتي النبي ﷺ أرشدهم إلى وصف فيه تواضع، وفيه حق للنبي ﷺ فقال: (**إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**) أفضل من أن يقال

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٧.

سيد، وأحب للنبي ﷺ وأكمل في وصفه، فوصف النبوة أعلى من السيادة، في السيادة ينالها حتى غيره الذي لم يوحى إليه، أما النبوة فلا ينالها إلا من نزل عليه الوحي، فلو قال لك شخص: لماذا لا تقول سيدنا محمد؟ نقول: نحن نقول وصفاً أعظم من ذلك وأكمل، وهو الوصف النبوي نبينا محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولذلك في الحديث: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**» لماذا؟ لأنه أعطى النبي ﷺ وصفه الذي وصفه الله به، ولو قلت: وأشهد أن سيدنا محمد، ما يكفيك، لا بد أن تشهد بنبوته وعبوديته أيضاً؛ لينزه عن الألوهية .

(**فقال : السيد الله**) لا شك أن السيد هو الله، فدل على أن من أسماء الله السيد، وله ﷻ السيادة، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما الصمد بأنه هو الذي قد كمل في سؤدته سبحانه وتعالى، ولما كان هذا الوصف يشارك فيه الرب ﷻ تواضع النبي ﷺ لربه؛ لأنه هو أتقى الناس لربه، فجعل الأوصاف التي تليق بالله لله، واختار الأوصاف التي وضعها الله ﷻ له وهي النبوة والرسالة والعبودية.

(**قلنا : وأفضلنا فضلا**) يعني أنت أفضلنا بكمال فضائلك.

(**وأعظمنا طولا**) أعظمنا غناً، وأعظمنا مكانة وهكذا.

(**فقال : قولوا بقولكم**) يعني: لا تغلو، قولوا بقولكم المعتاد الذي تقولونه

في غيبتي، محمد رسول الله.

(أو بعض قولكم) يعني: أو دعوا بعض قولكم، فقولوا: أنت رسول الله، ولا تقولوا أنت رسول الله وسيدنا وابن سيدنا وأفضلنا وأعظمنا طولا، لا، قولوا ببعض قولكم، وهو أنت رسول الله.

(ولا يستجرينكم الشيطان) يعني: لا يتخذنكم جرياً، يعني لا يتخذنكم رسولا، يعني ولا تكونوا من جند الشيطان في ذلك، بالغلو في الناس، ومدحهم في وجههم، وفي الصحيح الرسول ﷺ لما سمع رجلاً يمدح رجل في وجهه، قال له: **(ويحك لقد قطعت عنق صاحبك)**، وقال أيضاً عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ **(احثوا في وجوه المداحين التراب)** فمن يمدح في الوجه أخبر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنه من جند الشيطان؛ لأن المستمع يتضرر في ذلك؛ حتى ولو كان في سبيل الهزل، فالنفس تضعف، وقد يأتي في يوم من الأيام ينفخ الشيطان في نفس الممدوح، ولو كذباً فيعجب بعمله أو قوله **(رواه أبو داود بسند جيد)** .

وعن أنس ﷺ أن أناسا قالوا : يا رسول! يا خيرنا وابن خيرنا! وسيدنا وابن سيدنا! فقال: «يا أيها الناس! قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ » [رواه النسائي بسند جيد] .

هنا يذكر في النهي عن الألفاظ المقاربة لذلك (**وعن أنس ﷺ أن أناساً قالوا: يا رسول!**) هذه كلمة حق (**يا خيرنا وابن خيرنا!**) والنبي ﷺ هنا خير لا شك، وهو ابن اخيارهم في النسب والمكانة، ومع ذلك نهاهم النبي ﷺ عن ذلك (**وسيدنا وابن سيدنا**) كما سبق في الحديث السابق يا سيدنا وابن سيدنا.

(**فقال: يا أيها الناس! قولوا بقولكم**) المعتاد يا رسول الله كما في أول الحديث.

(**ولا يستهوينكم الشيطان**) يعني لا يدخل في قلوبكم ويزيغ قلوبكم، فإن مدح الآخرين في الوجه فيه ايزاغة في قلب المادح؛ لذلك على المسلم أن يحذر المدح في الوجه لا سيما إذا خشيت الفتنة، وأما إذا لم تخش الفتنة يجوز، والدليل على ذلك أن الله ﷻ مدح الصحابة بأعظم مدح، ونزل القرآن وهم يسمعون ذلك فقال: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[1] ومدح النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عشرة من أصحابه في مجلس واحد في وجوههم بأعظم مدحة فقال: (**أبو بكر في الجنة** - هذا أعظم مدح - **وعمر في الجنة، وكذلك عثمان وعلي وسعيد وسعد بن أبي وقاص**

---

(١) سورة البينة: ٨.

وسعيد بن زيد وعبد الله ابن الزبير وهكذا) فإذا خشية الفتنة يجوز، لكن مع ضعف الناس وقلة التعبد، وخشية الفتن يترك مثل المدح في الوجه؛ لئلا يزيغ قلب المادح، ولئلا يكون جند من جنود إبليس، ولئلا يفتتن الممدوح، ومنهج أهل السنة والجماعة هو الدعاء للولي، ولعمل عملا ممدوحا لا الثناء عليه في وجهه، مثل يقول: أسأل الله أن يتقبل أعمالك الصالحة، أسأل الله أن يبارك في أعمالك، وهكذا.

(أنا محمد عبد الله ورسوله) فنهاهم عن لفظ سيد وخير، وأرشدهم إلى أعظم وصف يليق بالنبي ﷺ، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحبه: وهو وصف العبودية والرسالة: فهو أكمل من قال سيدنا.

(ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ) والمنزلة التي أنزلها الله ﷻ إياها العبودية، يعني خاصة وهي التي فيها المدح والرسالة، وهذه منقبة عظيمة، أمة كاملة لا يوجد فيها رسول إلا هو، هذا أفضل مدح للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وتعطيه حقه بمنزلته التي أعطاه الله ﷻ إياها، كما قال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[1] لله ﷻ هو الذي قال رسول الله، ولا مدحه بأن قال: محمد سيد البشر، قال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ لأنه لا يوجد في الأمة سواه، فمدحته بهذا الوصف **(رواه النسائي بسند جيد)** .

(١) سورة الفتح: ٢٩.

باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1] **الآية**

هذا هو الباب الأخير من كتاب التوحيد، وساقه المصنف رحمه الله وجعله ختام أبوابه؛ ليشمل كتابه جميع أنواع التوحيد الثلاثة، فإن هذا في توحيد الأسماء والصفات، وإن كانت السابقة متضمنة الأسماء والصفات ضمناً، لكنها سابق في توحيد الألوهية في تعظيم جناب الربوبية، وهنا في الأسماء والصفات؛ ليكون كتابه هذا شاملاً لجميع أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

وساقه أيضاً؛ لبيان أن الموحد إذا وحد الله عز وجل وخرج من الشرك لا يعجب بعمله، فمهما قدّرت الله عز وجل في قلبك فهو أجل وأعظم، يعني: لا تعجب بأعمالك الصالحة، وجدد إيمانك كل يوم؛ لتقرب من الله سبحانه وتعالى، ولا تقل أنا موحد، فالله عز وجل ذم المشركين؛ لأنهم لم يقدروا الله عز وجل حق قدره فقال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ﴾ أي المشركون ﴿ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ بأن أشركوا معه غيره سبحانه ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ ﴾ يعني: ما قدروا الله حق قدره مع أن الأرضين السبع جميعاً

(١) سورة الزمر: ٦٧.

﴿قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ كما سيأتي .

والمصنف رحمه الله ساق في هذا الباب تسعة نصوص . النص الأول لبيان أن من قدرة الله أن جعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع .

وساق النص الثاني؛ لبيان أنه جات في رواية أنه مع الشجر أيضاً الجبال في إصبع واحد (**السموات في إصبع والأرضين في إصبع** وزاد **والجبال والشجر**) في الرواية الأولى فقط الشجر .

وساق المصنف رحمه الله النص الثالث فقال: (**والماء والثرى على إصبع**) وساق ذلك المصنف رحمه الله في نسخة بخط يده لعله وهم منه رحمه الله ، فإنه في الحديث الأول قال (**والماء على إصبع، والثرى على إصبع**) فساق في النص الثالث قال في رواية (**والماء والثرى على إصبع**) لكن ما ذكره المصنف رحمه الله وهو في الحديث الأول (**والماء على إصبع والثرى على إصبع**) لم يصح عن أحد؛ لذلك كما هو موجود الآن في كتاب المتون (**والماء والثرى على إصبع**) كما في حديث البخاري ومسلم، وليس في البخاري ومسلم ولا رواية ولا في غيرهما (**الماء على إصبع والثرى على إصبع**) لذلك لو حذف المصنف رحمه الله النص الثالث كان أفضل؛ لأن النص الأول مبين له.

ثم ساق المصنف رحمه الله النص الرابع؛ لبيان أن من قدرة الله عز وجل أنه يطوي السموات السبع بيمينه، والأرضين السبع يطويها بشماله .

والنص الخامس ساقه المصنف؛ لبيان حجم السموات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن . والنص السادس ساقه المصنف حجم السموات السبع في الكرسي . والنص السابع بيان حجم الكرسي في العرش . والنص الثامن؛ لبيان المسافة بين كل سماء وأخرى وبين السماء السابعة والكرسي .

والنص التاسع؛ لبيان مساحة الكثافة لكل سماء يعني بين السماء الأولى والثانية خمس مئة عام، ونفس الأولى خمس مئة عام، ونفس الثانية خمس مئة عام، وما بين الثانية والثالثة خمس مئة عام، وهكذا .

وهذا الترتيب من ذكاء المصنف ﷺ ومن دقة فهمه، وقوة استنباطه بالنصوص، فإذا استشعر المسلم النصوص التي استدرجها المصنف عرف عظمة الله سبحانه، وإذا عرف القلب عظمة الله ﷻ عظم القلب الرب سبحانه ووحده، وعرف أسماءه وصفاته، فعبده حق عبادته، وهذه دعوة الرسل .

عن ابن مسعود ﷺ قال : " جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد ! إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجده ؛ تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[1]**"** .

(**عن ابن مسعود ﷺ قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ**) يعني من أحبار اليهود، فدل على أن اليهود أحسن حالاً من الجهمية في إثبات صفات الله ﷻ ، فمما بقي عند اليهود إثبات الأصبع لله ﷻ ، أما الجهمية فلا يثبتون شيئاً من صفات الله ﷻ، ومن تفرع منهم كذلك كالمعتزلة والأشاعرة والماترودية والكلابية وغيرهم .

(**فقال : يا محمد**) هذا اليهود يقول: يا محمد، من باب الكبر؛ لأنه لم يؤمن برسالته، فلم يقل: يا رسول الله (**إنا نجد**) يعني: فيما هو في الكتب السماوية السابقة من التوراة، فدل على أن أصول الأديان في جميع الشرائع لا تختلف، ودل على أن التوحيد في جميع الشرائع لم يختلف قط، ومن ذلك إثبات صفات الله ﷻ .

---

(١) سورة الزمر: ٦٧.

(**أن الله يجعل السموات على إصبع**) ﷻ السموات السبع كلها يوم القيامة على أصبع من أصابع الرحمن، ودل هذا الحديث على أن عدد أصابع الرحمن ﷻ خمسة، يجعل السموات على إصبع هذا أصبع الأول، والأصبع الثاني عليه الأرضين، والأصبع الثالث عليه الشجر، والأصبع الرابع عليه الماء والثرى، والأصبع الخامس عليه سائر الخلق، يعني باقي الخلق ﷻ . وثبت أن لأصابعه سبحانه أنامل، كما في قول النبي ﷺ (**فوجدت برد أنامل الله ﷻ على كتفي**) .

وثبت أن الله ﷻ يكتب (**إن الله كتب مقادير الخلائق**) لذلك ابن خزيمة قال (**باب إثبات الخط لله سبحانه**) هذا ما يليق بجلاله وعظمته، ودل على أن لله ﷻ يدين يمين وشماله ﷻ ، لكن تلك الصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، نثبتها لله ﷻ كما أراد .

(**والأرضين على إصبع**) كذلك، وهذا من قوة الله ﷻ وكمال قدرته، أن هذا الكون العظيم الكبير على أصبع .

(**والشجر إصبع**) يعني جميع الأشجار الله يجعلها على إصبع، فدل على عظم الله قال سبحانه: ﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[٢] فالله ﷻ كبير وعظيم ﷻ .

---

(١) سورة الرعد: ٩.

(٢) سورة سبأ: ٢٣.

(**والماء والثرى**) يعني التراب، فجميع المياه وجميع الثرى (**على إصبع**) من أصابع الرحمن ﷻ.

(**وسائر الخلائق على إصبع**) يعني: بقية الخلائق على إصبع من بني آدم والإنس والجن والطيور ﷻ وغير ذلك .

(**فيقول : أنا الملك**) وهذا من تمام الملك، جميع ما سبق على أصابعه، ويقول: أنا الملك، لا أحد يستطيع أن يفعل ما فعلته، وهذا من ملك الله للكون، كما قال سبحانه: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[1] وقال سبحانه عن نفسه: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾[2] ﷻ وقال سبحانه أيضاً: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[3] يعني هو الذي يملك ما في يوم القيامة وحده جلا وعلا .

(**فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه**) لماذا ضحك (**تصديقا لقول الحبر**) يعني مقراً لما قاله ذلك الحبر، فلما أقر النبي ﷺ قول ذلك اليهودي، دل على أن ذلك حق، إذ لم ينكر النبي ﷺ عليه ذلك، بل ضحك لموافقته ما في الوحي، وهكذا إذا رأى شخص ما يسره من الحق، حق له أن يضحك (**ثم قرأ**) يعني النبي

---

(١) سورة الملك: ١.

(٢) سورة الحشر: ٢٣.

(٣) سورة الفاتحة: ٤.

عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾[(١)] يعرفون ذلك، لكن ما قدروا الله حق قدره، فأشركوا معه غيره، هذا اليهودي يعلم علماً عظيماً كبيراً من صفات الله، ومع ذلك يعبد غير الله ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ وفي الحديث الآخر الصحيح (**يطوي الله** ﷻ **السموات بيمنه ويطوي الأرضين بشماله**) وكما قال سبحانه ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ -وفي قراءة : الكتاب- ﴾[(٢)] يعني: تطوى السماء كطي الكتاب.

(١) سورة الزمر: ٦٧.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٤.

وفي رواية لمسلم : «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزمن، فيقول: أنا الملك، أنا الله».

(**وفي رواية لمسلم : والجبال والشجر على إصبع**) لأن في رواية البخاري ومسلم السابقة والشجر فقط: وهنا ساق المصنف رواية مسلم، لبيان أن مع الشجر الجبال أيضاً على إصبع .

(**ثم يهزهن**) هذا من قوته أيضاً سبحانه: وهي على أصابعه يهزها: وهز النبي ﷺ يده حتى تحرك منبره يهزها: وهذا الهز من النبي ﷺ ليس من باب التشبيه، وإنما لتحقيق الصفة بأن الله يهز هزاً حقيقياً سبحانه وتعالى .

(**فيقول : أنا الملك ، أنا الله**) الله أكبر، لا شك ما أحد يستطيع أن يفعل ذلك، لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[1] كل المخلوقات تحته قهرية وهي على معنيين .

---

(١) سورة غافر: ١٦.

وفي راوية للبخاري : «يجعل السموات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع » أخرجاه .

(**وفي راوية للبخاري : يجعل السموات على إصبع**) في رواية البخاري ومسلم السابقة الأولى الماء والثرى على إصبع، فكأن المصنف ﵀ وهم في الحديث الأول، فقال: الماء على إصبع، والثرى على إصبع، ولذلك هنا فصل (**والماء والثرى على إصبع**) ولكن في الحديث والماء والثرى على إصبع (**وسائر الخلق**) يعني وبقية الخلق (**على إصبع**) .

(**أخرجاه**) يعني الحديث الأول (**السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع**) أما النص الثاني في مسلم، والثالث في البخاري في البخاري، وهو أيضاً في مسلم على السياق الأول .

ولمسلم: عن ابن عمر مرفوعا : «يطوي الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمني ، ثم يقول : انا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ، ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ».

هنا يسوق النص الرابع؛ لبيان أن من قدرة الله ليس فقط وضع المخلوقات على أصابعه ﷻ ، وإنما يطويها أيضاً (**ولمسلم : عن ابن عمر مرفوعا : يطوي الله السموات يوم القيامة**) وهو الطي الواضح المعلوم الطوي (**ثم يأخذهن بيده اليمني**) يعني السموات السبع جميعا تطوى مثل الكتاب والقماش.

(**ثم يقول : انا الملك ، أين الجبارون**) يعني: أين الجبارون الذين يقولون نفعل ونفعل فلا يفعل هذه الفعلة، إلا أنا ﷻ .

(**أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين السبع ، ثم يأخذهن بشماله**) بعد طويها بيده الشمال، وكلتا يدي ربنا ﷻ يمين، يعني كلاهما فيها اليمن والكرم والسخاء، وإلا فهي يمين وشمال (**ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون**) .

وروي عن ابن عباس ﵄ **قال : «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن ؛ إلا كخردلة في يد أحدكم »**.

الآن يذكر ما هو حجم السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن (**وروي عن ابن عباس** ﵄ **قال : «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن»** هذا يدل على إثبات صفة الكف لله ﷻ، ويدل على كبر حجم كف الرحمن ﷻ ، وهو أكبر من السموات السبع، وأكبر من الأرضين السبع مع السموات وذلك (**إلا كخردلة**) مثل الشيء اليسير الأبيض الذي يتطاير في السماء، فالسموات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن، مثل الشيء اليسير لا يكاد يرى، فإذا كان هذا كف الرحمن، فما بالك به سبحانه (**في يد أحدكم**) .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثني أبي ، قال : قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي ؛ إلا كدارهم سبعة ألقيت في ترس ».

الآن يذكر حجم السموات والكرسي، ثم يذكر الكرسي في العرش (**وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثني أبي ، قال : قال رسول الله ﷺ : ما السموات السبع في الكرسي**) الأرض ثم السموات أكبر من الأرض بكثير، ثم الكرسي، وهو موضع قدمي الرحمن ﷻ ، ثم بحر، ثم عرش الرحمن ﷻ ، والله مستو على عرشه، وأكبر المخلوقات هو العرش، وذكر المصنف النص لبيان أن السموات السبع والأرضين السبع في الكرسي (**إلا كدارهم سبعة ألقيت في ترس**) وهو الإناء الكبير الواسع، لو ألقيت فيه سبع دنانير مثلاً ما تشكل شيء السموات السبع والأرضون السبع، ليست في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس .

قال : وقال أبو ذر ﷛ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما الكرسي في العرش؛ إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض ».

(**قال: وقال أبو ذر ﷛ : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما الكرسي في العرش؛ إلا كحلقة**) يعني كحديدة (**إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**) يعني صحراء مفازة كبيرة، فلو شخص ألقى دينار أو ريال من حديد أو الفضة في الصحراء الكبيرة المفازة العظيمة، هل تمتلئ المفازة أو الصحراء؟ لا، وكذلك الكرسي كحلقة من حديد في العرش، فما ظنك بالمستو في العرش ﷻ وهو القائل ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1] ﷻ ؛ لذلك في كل أذان في كل فرض يسمع أو يقول المسلم: الله أكبر، ما في أكبر منه، وإذا صعد الشخص جبلاً يقول: الله أكبر من هذا الجبل، فهذا يشعر به الشخص وهو في طائرة وهي تطير، يقول: الله أكبر يعني أكبر مما سنصل إليه ﷻ ، ولهذا تفتح مدن بالتكبير بدون قتال، مثل ما أخبر النبي ﷺ أن القسطنطينية تفتح بالتكبير؛ لعظمة هذه الكلمة في كمال وصف الله ﷻ وهو وصف الكبر .

---

(١) سورة سبأ: ٢٣.

وعن ابن مسعود ﷺ قال : " بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مئة عام. وبين كل سماء خمس مئة عام . وبين السماء السابعة والكرسي خمس مئة عام. وبين الكرسي والماء خمس مئة عام. والعرش فوق الماء. والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم " أخرجه ابن مهدي : عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله.

(**وعن ابن مسعود ﷺ قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مئة عام**) يذكر المصنف ﷺ هنا حديث ابن مسعود في بيان المسافة ما بين السماء والسماء الأخرى، وما بين السماء السابعة وما بين الكرسي؛ لبيان عظيم قدرة الله ﷻ وعظم مخلوقاته سبحانه تدل على عظيم الخالق جلا وعلا وفي الحديث الصحيح (**أذن لي أن أتحدث عن ملك من ملائكة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة خمس مئة عام**) .

(**وبين كل سماء خمس مئة عام**) قال أهل العلم: وهذا بسير الأنعام؛ لأن الوحي نزل على قوم يخاطبون بعقولهم وواقعهم، فخمس مئة عام لما تسير به الجمال، والعلم عند الله .

(**وبين السماء السابعة والكرسي**) أيضاً (**خمس مئة عام**) .

(**وبين الكرسي والماء خمس مئة عام**) لأن تحت العرش بحر فما بين الكرسي

إلى هذا البحر مسيرة خمس مئة عام أيضاً .

(والعرش فوق الماء) يعني العرش فوق بحر، والله ﷻ فوق عرشه مستو عليه كما يليق بجلاله وعظمته، متطلع على عباده، رقيب عليهم، وهو مع علوه لا يخفى عليه شيء من أفعال عباده.

(لا يخفى عليه شيء من أعمالكم) كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[1] فهو سبحانه مع قربه من عابديه وسائله إلا أنه سبحانه أيضاً عال عليهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] **(أخرجه ابن مهدي : عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زر، عن عبد الله)** .

ورواه بنحوه المسعودي : عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله . قاله الحافظ الذهبي ، قال : وله طرق .

(ورواه بنحوه المسعودي : عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله . قاله الحافظ الذهبي) هذا أحد الأعلام الخمسة الذين ذكرهم شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب التوحيد، وهو الذهبي، وهو آخر من ذكر في كتابه .

---

(١) سورة المجادلة: ١.

(٢) سورة الشورى: ١١.

وعن العباس بن عبد المطلب ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «هل تدون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : بينهما مسيرة خمس مئة سنة. ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مئة سنة. وكثف كل سماء مسيرة خمس مئة سنة. وبين السماء السابعة والعرش بحر ، وبين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. والله تعالى فوق ذلك ، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم » أخرجه أبو داود وغيره. والله سبحانه وتعالى أعلم .

الآن يذكر المسافة بين السماء نفسها الواحدة، ما بين سماء وسماء خمس مئة عام، والآن نفس السماء ما هو كثف هذه السماء (**وعن العباس بن عبد المطلب** ﵁ **قال : قال رسول الله** ﷺ **: هل تدون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال: بينهما مسيرة خمس مئة سنة**) .

(**ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مئة سنة**) هذا يدل أيضاً على الحديث السابق لكن الزيادة (**وكثف كل سماء مسيرة خمس مئة سنة**) وهذا الشاهد، ولو حسب العاد ما بين السماء الدنيا مع كثافتها وإلى كثافة السماء الثانية، وكثافة السماء الثالثة وهكذا، لوجد آلاف الأعوام في مسيرتها، وكان السائل يأتي إلى النبي ﷺ وينزل عليه الوحي في حينه ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ – مباشرة– قُلْ هُوَ أَذًى ﴾[1] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ – ينزل عليه الوحي من هذه المسافة البعيدة – قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[2]

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٢.

(٢) سورة الإسراء: ٨٥.

يعني بسرعة عظيمة يسير فيها الملك إلى الأرض .

(وبين السماء السابعة والعرش بحر، وبين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض) يعني خمس مئة عام، وهذا من عظيم خلق الله، ففوقنا بحر، ومع ذلك لا يتساقط منه شيء علينا، وكذا السماء مبنية بلا عمد، ولا تقع على الأرض، بل ليست السماء محتاجة إلى الأرض، والله عز وجل مستو على عرشه، وهو مستغن عن عرشه، فهو جلا وعلا غني عن جميع خلقه سبحانه وتعالى ، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1] .

(والله تعالى فوق ذلك ، لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم) سبحانه كما قال جلا وعلا، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾[2] ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[3] سبحانه وتعالى **[أخرجه أبو داود وغيره]**.

(والله سبحانه وتعالى أعلم) ويكون المصنف رحمه الله قد ختم كتاب التوحيد، وهذا الكتاب النافع الموجز الجامع الواضح، الجامع لنصوص الكتاب والسنة المستنبط فيها من الآيات ومن الأحاديث، ولم يأتي المصنف به من أوله إلى آخره بكلمة: قلت، وإنما آيات ونصوص، وأقوال لبعض السلف فحسب، فلم يأت فيه بشيء من تلقاء نفسه .

---

(١) سورة الزمر: ٦٧.

(٢) سورة المؤمنون: ١٧.

(٣) سورة النساء: ١٢٦.

وقد شمل هذا الكتاب مع صغر حجمه أهم المهمات، وهو التوحيد، وأكثر فيه بل جله في توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية داخل فيه ضمناً، وختمه بتوحيد الأسماء والصفات؛ ليكون شاملاً لجميع أنواع التوحيد .

ومن حفظ هذا الكتاب وفهم معناه وعمل به فهو بإذن الله حج بينه وبين الله ﷻ ، ومنقذ للعبد من النار برحمة الله ﷻ ؛ لاشتماله على تحقيق التوحيد، وما يضاد ذلك، فإذا حقق العبد التوحيد وابتعد عن الشرك كانت الجنة هي مآله، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾[١] وحقيق لكل مسلم أن يتدارس هذا الكتاب حين بعد حي،ن وأن يعلمه لأولاده وأهل بيته؛ لأن ما فيه هو ما جاءت به الرسل، فالمصنف رحمه الله جمع لك ما حوته الشرائع، وجعله في هذا الكتاب المتقن .

فرحمه الله ﷻ رحمة واسعة، وجمعه مع الأنبياء والمرسلين، وجمعنا معهم برحمته وفضله وكرمه ومنه، وأن يجعلنا من عباده الموحدين، وأن يجنبنا وإياكم الشرك وذريتنا، ويصرف عنا وعنكم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا مفاتيح للتوحيد، مغاليق للشرك والبدع والشرور .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة الكهف: ١٠٧.

الفهرس